

الأغاني الجزء السادس عشر



شركة أبناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ | ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• الكلاسيك الحديثة

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ | ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية

بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ | ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١ م - ١٤٣٢ هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن حصين بن ثعلبة بن جُلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وأمه عَمْرَةُ بنت رَوَاحَةَ أُخْتُ عبد الله بن رَوَاحَةَ التي يقول فيها قَيْسُ بن الخَطِيم:

أَجَدَّ بِعَمْرَةَ غُنْيَانُهَا^(١) فَتَهْجُرْ أُمَّ شَانُنَا شَانُهَا
وَعَمْرَةُ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَا ءِ تَنْفَحُ بِالمَسْكِ أَرْدَانُهَا^(٢)

[المقارب]

وله صحبة بالنبي ﷺ، ولأبيه بشير بن سعد.

وكان جاء إلى النبي ﷺ ومعه رجل آخر ليشهدا معه غزوة له فيما قيل فاستصغرها فردَّهما.

وأبوه بشير بن سعد أول من قام يوم السَّقِيفَةِ من الأنصار إلى أبي بكر - رضي الله عنه - فبايعه، ثم توالى الأنصار فبايعته، وشهد بشيربيعة العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، قال: واستشهد يوم عَيْنِ التَّمْرِ مع خالد بن الوليد.

وكان النعمان عُثْمَانِيًّا وشهد مع معاويةَ بَصِيفَيْنِ، ولم يكن معه من الأنصار غيره، وكان كريماً عليه ربيعاً عنده وعند يزيد ابنه بعده، وعُمِّرَ إلى خلافة مروان بن الحكم، وكان يتولَّى حِمَصَ، فلما بويع لمروان دعا إلى ابن الزبير وخالف على مروان بن الحكم وذلك بعد قتل الضَّحَّاك بن قيسٍ بَمَرْجٍ رَاهِطٍ فلم يُجِبْهُ أهلُ حمص إلى ذلك، فهرب منهم وتبعوه فأدركوه فقتلوه، وذلك في سنة خمس وستين. ويقال: إن النعمان بن بشير أول مولودٍ وُلِدَ بالمدينة بعد قُدُومِ رسول الله ﷺ إليها، وقد قيل ذلك في عبد الله بن الزبير، إلا أن النعمان أول مولود ولد بعد مقدّمه عليه السلام من الأنصار، روى ذلك عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ حديثاً كثيراً.

(١) غنيانها: اكتفاؤها واستغناؤها.

(٢) أردانها: مفردها الرَدَن، وهو أصلُ الكُم.

حدثني أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبّاد بن العوّام عن الحصين:

عن الشّعبيّ قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت أُمّي عمرة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ قال: [فأتى رسول الله ﷺ] فقال: ابني من عمرة أعطيته فأمرتني أن أشهدك، فقال: أعطيت كلّ ولدك مثل هذا؟ قال: لا، فقال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا محمد بن سعد قال: حدثنا العُمري، عن الهيثم بن عديّ، عن مُجالد، عن الشّعبيّ قال:

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطياتهم، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير، وكان عثمانياً، وكان يُبغض أهل الكوفة لرأيهم في عليّ عليه السلام، فأبى النعمان أن يُنفذها لهم، فكلّموه وسألوه بالله، فأبى أن يفعل، وكان إذا خطب على المنبر أكثر من قراءة القرآن، وكان يقول: لا تروّ على منبركم هذا أحداً بعدي يقول: سمعت رسول الله ﷺ، فصعد المنبر يوماً فقام أهل الكوفة إليه فصاحوا: نشدك الله والزيادة، فقال: اسكتوا، فلما أكثروا قال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ مثل الضبع والضبّ والثعلب، فإن الضبع والثعلب أتيا الضبّ في وجاره فنادياه: أبا الحِسل، فقال: سمياً دعوتما. قالوا: أتيناك لتحكم بيننا، قال: في بيته يُؤتى الحكم. قالت الضبع: إني حللت عيّتي^(١) قال: ففعل الحرّة فعلت، قالت: فلَقَطْتُ ثَمرة، قال: طيباً لَقَطت، قالت: فأكلها الثعلب، قال: لنفسه نَظَر، قالت: فَلَطَمْتُهُ، قال: بِجُرْمه، قالت: فلطمني، قال: حُرّ انتصر، قالت: فافْض بيننا، قال: حَدَّث امرأة حديثين، فإن أبت فعشرة، فقال عبد الله بن هَمّام السَّلوليّ:

زيادتنا نعمان لا تحبسئها	خَفِ الله فينا والكتاب الذي تتلّو
فإنك قد حُمِلت مئاً أمانة	بما عجزت عنه الصّلاخمة ^(٢) البزل ^(٣)
فلا يكُ باب الشرّ تحسن فتحه	لدينا وباب الخير أنت له قفل
وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا تكن	لغيرك جمّات ^(٤) التّدَى ولك البُخل

(١) العيّنة: زبيل من آدم، وما يجعل فيه الثياب. جمعها عيّب وعياب وعيبات.

(٢) الصّلاخمة: الإبل الشديدة.

(٣) البزل: مفردا البازل، وهو الجمل في سنته التاسعة.

(٤) جمّات: مفردا جمّة وهي مجتمع ماء البئر.

وَأَنْتَ امْرُؤٌ حُلُوُّ اللِّسَانِ بَلِيغُهُ
وَقَبْلَكَ قَدْ كَانُوا عَلَيْنَا أئِمَّةٌ
إِذَا أَنْصَتُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسَنُوا
يَذُمُّونَ دَنِيَانَا وَهُمْ يَرْضَعُونَهَا
فِيَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنِّي أَخَوَكُمُ
وَمَنْ أَجَلُ إِيَوَاءِ النَّبِيِّ وَنَضْرِهِ
فَمَا بِالْهُ عِنْدَ الزِّيَادَةِ لَا يَحْلُو
يُهِمُّهُمْ تَقْوِيمُنَا وَهُمْ عُضْلُ^(١)
وَلَكِنَّ حَسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
أَفَاوِيْقُ^(٢) حَتَّى مَا يَدِرُّ لَهَا ثُعْلُ^(٣)
وَإِنِّي لَمَعْرُوفٌ أَبِي مِنْكُمْ أَهْلُ
يُحِبُّكُمْ قَلْبِي وَغَيْرَكُمْ الْأَصْلُ
[الطويل]

فقال النعمان بن بشير: لا عليه أن لا يتقرب فوالله لا أجزها ولا أنفذها أبداً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا [الأصمعي] قال: حدثني شيخ قديم من أهل المدينة. وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا [أبو غسان، عن أبي السائب المخزومي. وأخبرني الحسين بن يحيى المزداسي عن حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: ذكر لي عن جعفر بن مخرز الدوسي قال:

دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير فقال: والله لقد أخفقت أذناي من الغناء فأسمعوني، ف قيل له: لو وجَّهت إلى عزة الميلاء، فإنها من قد عرفت، فقال إي وربّ البنية^(٤) إنها لمن يزيد النفس طيباً والعقل شحذاً، ابعثوا إليها رسالتي، فإن أبت صرْتُ إليها، فقال له بعض القوم: إن الثُّقْلَةَ تشدُّ عليها لثقل بدنهما، وما بالمدينة دابةً تحملها، فقال النعمان: وأين النجائب^(٥) عليها الهوداج^(٦)؟ فوجَّه إليها بنجيب، فذكرت علةً، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه: أنت كنت أخبر بها، قوموا إليها، فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرَقوها، فأذنت وأكرمت واعتذرت، فقبل النعمان عذرها وقال لها: غنيني، فغنت:

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا فَتَهَجَّرَ أَمْ شَانُنَا شَانُهَا

(١) العُضْلُ: مفردا الأعصل وهو الشديد الغليظ.

(٢) أفأويق: مفردا فيقّة وهو اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين.

(٣) ثُعْلُ: زيادة في أطباء الناقة والبقرة والشاة.

(٤) البنية: الكعبة.

(٥) النجائب: مفردا النجبية وهي الناقة.

(٦) الهوداج: مفردا هودج.

وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَواتِ النِّسَاءِ تَنْفَحُ بِالمَسْكِ أَرْدَانُهَا
[المقارب]

قال: فَأُشِيرُ إِلَيْهَا أَنَّهَا أُمُّهُ، فَأَمْسَكَتْ، فَقَالَ لَهَا: غَنِينِي، فَوَاللَّهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا كَرَمًا وَطِيبًا وَلَا تُغْنِي سَائِرَ الْيَوْمِ غَيْرَهُ، فَلَمْ تَزَلْ تَغْنِيهِ هَذَا اللَّحْنَ فَقَطْ حَتَّى انصَرَفَ. قَالَ إِسْحَاقُ: فَتَذَاكِرُوا هَذَا الْحَدِيثَ عِنْدَ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ فَقَالَ: أَلَا أَزِيدُكُمْ فِيهِ طَرِيفَةً^(١)؟ فَقُلْنَا: بَلَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: قَالَ لَقِيطٌ وَنَحْنُ عِنْدَ سَعِيدِ الزَّبِيدِيِّ: قَالَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: إِشْتَقَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ إِلَى الْغَنَاءِ، فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِ عَزَّةَ، فَلَمَّا انصَرَفَ إِذَا امْرَأَةً بِالْبَابِ مُنْتَظِرَةً، فَلَمَّا خَرَجَ شَكَتْ إِلَيْهِ كَثْرَةَ غَشْيَانِ زَوْجِهَا إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهَا النُّعْمَانُ: لَاقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِقَضِيَّةٍ لَا تُرَدُّ عَلَيَّ، قَدْ أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ أَرْبَعًا: مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ، لَهُ مَرَّتَانِ بِالنَّهَارِ وَمَرَّتَانِ بِاللَّيْلِ:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ هِشَامٍ عَنِ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ حَمَادٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، وَأَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالُوا.

خَرَجَ أَعَشَى هَمْدَانَ إِلَى الشَّامِ فِي وَلايَةِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَلَمْ يَنْلُ فِيهَا حَظًّا، فَجَاءَ إِلَى النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ وَهُوَ عَامِلُ حَمَصَ، فَشَكَاَ إِلَيْهِ حَالَهُ، فَكَلَّمَ لَهُ النُّعْمَانُ الْيَمَانِيَّةَ وَقَالَ لَهُمْ: هَذَا شَاعِرُ الْيَمَنِ وَلِسَانِهِمْ، وَاسْتَمَاحَهُمْ لَهُ، فَقَالُوا: نَعَمْ، يُعْطِيهِ كُلُّ رَجُلٍ مِائَةَ دِينَارَيْنِ مِنْ عَطَائِهِ، قَالَ: لَا بَلْ أَعْطُوهُ دِينَارًا وَاجْعَلُوا ذَلِكَ مُعْجَلًا، فَقَالُوا لَهُ: أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَاحْتَسَبَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ عَطَائِهِ، فَفَعَلَ النُّعْمَانُ، وَكَانُوا عَشْرِينَ أَلْفًا، فَأَعْطَاهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَارْتَجَعَهَا مِنْهُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ، فَقَالَ الْأَعَشَى يَمْدَحُ النُّعْمَانَ:

وَلَمْ أَرِ لِلْحَاجَاتِ عِنْدَ التَّمَاسِهَا
إِذَا قَالَ أَوْفَى مَا يَقُولُ وَلَمْ يَكُنْ
مَتَى أَكْفَرَ التُّعْمَانَ لَا أَلْفَ شَاكِرًا
فَلَوْلَا أَخُو الْأَنْصَارِ كُنْتُ كَنَازِلِ
كُنْغَمَانَ نُعْمَانَ النَّدَى ابْنَ بَشِيرٍ
كَمُدِّلٍ إِلَى الْأَقْوَامِ حَبْلَ غُرُورٍ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ لَا يَقْتَدِي بِشَكُورٍ
ثَوَى^(٢) مَا ثَوَى لَمْ يَنْقَلِبْ بِنَقِيرٍ^(٣)

[الطويل]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَحَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمَهْلَبِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا

(١) الطريفة: الحديث يستطرفه من سمعه.

(٢) ثوى: نزل بالمكان وأطال الإقامة به.

(٣) نقير: النكتة في ظهر النواة.

عمر بن شبة قال: حدثني أبو يحيى الزهري قال: حدثني ابن أبي زريق قال:

شَبَّبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بَرْمَلَةَ بِنْتَ معاوية فقال:

رَمْلٌ هَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ غَزَالٍ إِذْ قَطَعْنَا مَسِيرَنَا بِالتَّمَنِّي
إِذْ تَقُولِينَ عَمْرُكَ اللَّهُ هَلْ شَيْءٌ وَإِنْ جَلَّ سَوْفَ يُسْلِيكَ عَنِّي
أَمْ هَلْ أَطْمَعْتُ مِنْ هَوَاكَ ابْنَ حَسَّاءَ نَ كَمَا قَدْ أَرَاكَ أَطْمَعْتَ مِنِّي
[الخفيف]

قال: فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب، ودخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العُلج من أهل يَثْرِبِ يتَهَكَّم بأعراضنا ويُشَبِّب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان وأنشده ما قال، فقال: يا يزيد ليست العقوبة من أحد أقبح منها بذوي المقدرة، ولكن أمهل حتى يقدّم وفد الأنصار ثم ذكرني به، قال: فلما قدموا ذكره به فلما دخلوا عليه قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك تُشَبِّب بَرْمَلَةَ بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أن أحداً أشرف لشعري منها لذكرته، قال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختاً يقال لها هند؟ قال: نعم، وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعاً فيكذب نفسه، قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك فأرسل إلى كعب بن جعيل فقال له: اهْجُج الأنصار، فقال: أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أذكك على الشاعر الكافر الماهر الأخطل، قال: فدعاه فقال له: اهْجُج الأنصار، فقال: أفرق من أمير المؤمنين، قال: لا تخف شيئاً، أنا لك بذلك، فهجاهم فقال:

وَإِذَا نَسَبْتَ ابْنَ الْفَرِيعَةِ خَلَّتَهُ كَالْجَحْشِ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارٍ
لَعَنَ الْإِلَهُ مِنَ الْيَهُودِ عَصَابَةً بِالْجِزْعِ بَيْنَ صُلَيْصِلٍ^(١) وَصِرَارٍ^(٢)
قَوْمٌ إِذَا هَدَرَ الْعَصِيرُ رَأَيْتَهُمْ حُمْرًا عِيُونُهُمْ مِنَ الْمُصْطَارِ^(٣)
خَلُّوا الْمَكَارِمَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا وَخَذُوا مَسَاحِيكُمْ بَنِي النَّجَارِ
إِنَّ الْفَوَارِسَ يَعْرِفُونَ ظُهُورَكُمْ أَوْلَادَ كُلِّ مُقَبِّحٍ أَكْأَرٍ^(٤)
ذَهَبَتْ قَرِيشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عِمَائِمِ الْأَنْصَارِ
[الكامل]

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فدخل على معاوية فحسر عمامته عن رأسه وقال: يا

(١) صليصل: موضع بطريق المدينة.

(٣) المصطار: الخمر.

(٢) صرار: وادٍ بالحجاز.

(٤) الأكأر: الحراث، جمعها أكرة.

أمير المؤمنين، أترى لؤماً؟ قال: لا بل أرى كرمًا وخيراً، فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار، قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم، قال: لك لسأته، وكتب فيه أن يؤتى به، فلما أُتِيَ به سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولاً، فأدخله عليه فقال: هذا الذي كنت أخافه، قال: لا تخف شيئاً، ودخل على معاوية فقال: علام أُرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا ويؤرمي من وراء جمرتنا؟ قال: هجا الأنصار، قال: ومن زعم ذاك؟ قال: النعمان بن بشير، قال: لا يُقبلُ قوله وهو المدعي لنفسه، ولكن تدعوه بالبيئة، فإن أثبت شيئاً أخذت له، فدعاه بالبيئة فلم يأت بها، فخلّاه فقال الأخطل:

وإني غداة استعبرت أم مالك
ولولا يزيد ابن الملوک وسعیه
فكم أنقذتني من خطوب حباله
ودافع عني يوم جلق غمرة
وبات نجياً في دمشق لحية
[يخافته طوراً وطوراً إذا رأى
أبا خالد دافعت عني عزيمة
وأطفأت عني نار نعمان بعدما
ولما رأى النعمان دوني ابن حرة
لراض من السلطان أن يتهددا
تجللت جذباراً^(١) من الشر أنكد
وخرساء لو يؤرمي بها الفيل بلدا
وهماً ينسين السلاف^(٢) المبردا
إذا هم لم ينم السليم وأقصدا
من الوجه إقبالا ألح وأجهدا
وأدركت لحمي قبل أن يتبددا^(٣)
أعد لأمر فاجر وتجردا
طوى الكشح إذا لم يستطعني وعردا^(٤)
[الطويل]

حدثني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي قال:

لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن جعيل بهجاء الأنصار قال له: أرادي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوماً أووا رسول الله ﷺ ونصروه؟ قال: أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منّا خبيث الدين نصراني، فدلّه على الأخطل.

(١) الجذبار: الناقة الضامرة والتي ذهب سنامها جمع حدابير.

(٢) السلاف: الخمر.

(٣) يتبدد: يتفرّق.

(٤) عرد: صلب وارتفع.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن أبي الخطاب قال:

لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص وتفاحشا كتب معاوية بن أبي سفيان إلى سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد، وما مدح أحداً غيره قط فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه، فأمسك عنهما، ثم وُلِّي مروان، فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه، فكتب ابن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيراً أثيراً مكيناً^(١) عند معاوية قال:

ليت شعري أغائب ليس بالشا	م خليلي أم شاهد نعمان
أية ما تكن فقد يرجع الغا	ئب يوماً ويوقظ الوسنان ^(٢)
إن عمراً وعامراً أبويننا	وحراماً قدماً على العهد كانوا
أفهم ما نعوك أم قلّة الكُتّاب أم أنت عاتب غضبان	
أم جفاء أم أعوزتك القراطي	س أم امري به عليك هوان
يوم أنبئت أن ساقِي رُضّت	وأتكم بذلك الرُكبَان
ثم قالوا إن ابن عمك في بلد	وى أمور أتى بها الحداث
فَتِطُّ ^(٣) الأرحام والود والصح	بة فيما أتت به الأزمان
إنما الرمح فاعلمن قنأة	أو كبعض العيدان لولا السنان

[الخفيف]

وهي قصيدة طويلة. فدخل النعمان بن بشير على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين إنك أمرت سعيداً بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة سوط، فلم يفعل، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه. قال: فتريد ماذا؟ قال: أريد أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به إلى سعيد. فكتب إليه معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة، فضربه خمسين، وبعث إلى ابن حسان بحلّة وسأله أن يعفو عن خمسين، ففعل وقال لأهل المدينة: إنما ضربني حدّ الحرّ مائةً وضربه حدّ العبد خمسين، فشاعت الكلمة حتى بلغت ابن الحكم، فجاء إلى أخيه فأخبره وقال: لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان،

(١) مكين: متمكن.

(٢) الوسنان: الكثير الثعاس.

(٣) تَطُّ: تَرَقُّ وتتحرك.

فبعث إليه مروان: لا حاجة لنا فيما تركت فهلّم فاقتصص من صاحبك، فحضر فضربه مروان خمسين أخرى.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني، عن يعقوب بن داود الثقفي، ومسلمة بن مجارب.

أن معاوية تزوج امرأة من كلب، فقال لامرأته ميسون أم يزيد بن معاوية: ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه، فأنتها فنظرت إليها ثم رجعت فقالت: ما رأيت مثلاً، ولقد رأيت خالاً تحت سُرَّتْها ليُوضَعَنَّ مكانه في حجرها رأس زوجها. فتطير من ذلك فطلقها، فتزوجها حبيب بن مسلمة، ثم طلقها فتزوجها النعمان بن بشير، فلما قُتِلَ وُضِعَ رأسه في حجرها. قالوا: وكان النعمان بن بشير، لما قُتِلَ الضحَّاك بن قيس بمرج راهط في خلافة مروان بن الحكم، أراد النعمان أن يهرب من حمص وكان عاملاً عليها فخالف ودعا لابن الزبير، فطلبه أهل حمص فقتلوه واحتزوا^(١) رأسه، فقالت امرأته هذه الكلبية: ألقوا رأسه في حجري فأنا أحقُّ به، فألقوه في حجرها فضمته إلى جسده فكفنته ودفنته.

أخبرني هاشم بن محمد أبو ذلف الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ قال: حدثنا أبو عبيدة قال:

نظر معاوية إلى رجل في مجلسه فراقه^(٢) حسناً وشارةً وجسماً، قال: فاستنطقه فوجده سديداً فقال له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين، قال: عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة الكثير عددها التي لا تمنع من دخل فيهم ولا تبالي من خرج منهم. فغضب النعمان بن بشير ووثب من بين يديه وقال: أما والله إنك ما علمت لسيء المجالسة لجليسك، عاق بزورك، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك، فأقسم عليه ألا جلس، فجلس فضاحكه معاوية طويلاً ثم قال له: إن قوماً أولهم غسان وآخرهم الأنصار لكرام، وسأله عن حوائجه فقضاها حتى رضي.

أول قول نعمان للشعر:

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري بخطه.

[أخبرني ابن حبيب قال: قال خالد بن كلثوم:

(١) احتزوا: قطعوا.

(٢) راقه: أعجبه.

خرج النعمان بن بشير^(١) في ركب من قومه، وهو يومئذ حديث السن، حتى نزلوا بأرض من الأزد^(٢) يقال لها حَفِير وحاضرتها بنو القَيْن، فأهدت لهم امرأة من بني القَيْن يقال لها لَيْلى هديةً، فبينا القوم يتحدثون ويذكرون الشعراء إذ قال بعضهم: يا نعمان هل قلت شعراً؟ قال: لا والله ما فعلت، فقال شيخ من بني الحارث بن الخزرج يقال له ثابت بن سِمَاك: لم تقل شعراً قط، قال: لا، قال: فأقسم لترُبطنَ إلى هذه السَّرْحَة^(٣) فلا تفارقها حتى يرتحلَ القومُ أو تقولَ شعراً، فقال عند ذلك وهو أول شعر قاله:

يا خَلِيلِي ودَّعا دار لَيْلى ليس مثلي يَحُلّ دارَ الهوانِ
[إِنَّ قَيْنِيَّةً تَحُلُّ مَحَلًّا فَحَفِيرًا فَجَنَّتِي تَرْفُلَانِ^(٤)]
لا تُؤَاتِيكَ فِي الْمَغِيبِ إِذَا مَا حال من دونها فُرُوعُ قَنَانِ
إِنَّ لَيْلى وَلَوْ كَلِفْتُ بَلِيلِي عاقها^(٥) عَنْكَ عَائِقٌ غَيْرُ وَاوِي^(٦)
[الخفيف]

قال: وضربَ الدهرُ على ذلك وأتى له زمن طويل، ثم إن لَيْلى القَيْنِيَّةَ قدمت عليه بعد ذلك وهو أمير على حِمَصَ، فلما رآها عرفها فأنشأ يقول:

أَلَا اسْتَأذَنْتُ لَيْلى فقلنا لها لِيَجِي^(٧) وما لك أن لا تَدْخُلِي بِسَلامِ
فإن أناساً زُرَّتْهُمْ ثُمَّ حَرَّمُوا عَلَيْكَ دُخُولَ الْبَيْتِ غَيْرُ كِرَامِ
[الطويل]

فأَحَسَنَ صَلَاتها، وَرَفَدَهَا^(٨) طول مقامها إلى أن رحلت عنه.

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود عن أبيه، عن مَشِيخَة من الأنصار قالوا:

حضرت وفودُ الأنصار بابَ معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سَعْدُ أَبُو دُرَّة. وقد حجب بعده عبد الملك بن مروان، فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ، فاستأذن لهم، فقال له عمرو: ما هذا اللَّقْبُ يا أمير المؤمنين؟ أَرَدَدِ القومَ إلى أنسابهم، فقال [له معاوية؛ إني أخاف من ذلك الشُّنْعَة].

(١) السَّرْحَة: الأتان التي أدركت ولم تحمل.

(٢) تَرْفُلَان: تتبختران.

(٣) عاقها: صرفها عن أمرها وحبسها.

(٤) وَاوِي: أَدْخَلِي.

(٥) لِيَجِي: لِيَجِي.

(٦) رَفَدَهَا: أَحَسَنَ ضيافتها.

فقال]: هي كلمة تقولها إن مضتْ عرَّتْهم ونقصتْهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم .
فقال له : اخرج فقال : من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل ، فقالها
الحاجب ، فدخل ولد عمرو بن عامر كلُّهم إلا الأنصار ، فنظر معاوية إلى عمرو
نَظَرَ مُنْكَر ، فقال له : باعدتْ جداً . فقال : اخرج فقل : من كان هاهنا من الأوس
والخزرج فليدخل . فخرج فقالها : [فلم يدخل أحدٌ ، فقال معاوية : اخرج فقل : من
كان هاهنا من الأنصار فليدخل فخرج فقالها] فدخلوا يقدِّمهم النعمانُ بن بشير وهو
يقول :

يَا سَعْدُ لَا تُعِدِّ الدِّعَاءَ فَمَا لَنَا نَسَبٌ نَجِيبٌ بِهِ سِوَى الْأَنْصَارِ
نَسَبٌ تَخَيَّرَهُ الْإِلَهُ لِقَوْمِنَا أَثْقِلُ بِهِ نَسَباً عَلَى الْكُفَّارِ
إِنَّ الَّذِينَ ثَوَّوْا بِبَدْرٍ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقَلِيبِ هُمْ وَقُودُ النَّارِ
[الكامل]

فقال معاوية لعمرو : قد كنا أغنياء عن هذا .

والنعمان بن بشير من المُعْرِقِينَ فِي الشَّعْرِ سَلَفًا وَخَلَفًا ، جده شاعر ، وأبوه وعمه
شاعران ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء .

سعد بن الحصين :

فأما جدُّه سعد بن الحُصَيْنِ فهو القائل :

إِنْ كُنْتَ سَائِلَةً وَالْحَقَّ مُعْتَبَةً فَالْأَزْدُ نَسَبَتْنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ
شُمُّ الْأَنْوَفِ لَهُمْ عِزٌّ وَمَكْرَمَةٌ كَانَتْ لَهُمْ مِنْ حَبَالِ الطُّودِ أَرْكَانُ
[البسيط]

الحصين بن سعد :

وعمه الحُصَيْنِ بن سعد أخو بشير بن سعد القائل :

إِذَا لَمْ أَزُرْ إِلَّا لِأَكُلْ أَكْلَةً فَلَا رَفْعَتْ كَفِّي إِلَيَّ طَعَامِي
فَمَا أَكَلْتُ إِنْ نَلْتُهَا بِغَنِيمَةٍ وَلَا جَوْعَةً إِنْ جُعْتُهَا بِغَرَامِ
[الطويل]

بشير بن سعد :

وأبوه بشير بن سعد الذي يقول :

لِعَمْرَةٍ بِالْبَطْحَاءِ بَيْنَ مُعَرِّفٍ وَبَيْنَ النَّطَاقِ مَسْكَنٌ وَمَحَاضِرُ

لَعَمْرِي لَحِيٍّ بَيْنَ دَارِ مُزَاحِمٍ
وَحَيٍّ جَلَالٍ لَا يُكَمِّشُ سِرْبُهُمْ
أَحَقُّ بِهَا مِنْ فَتِيَةٍ وَرَكَائِبٍ
تَقُولُ وَتُذَرِي الدَّمْعَ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا
أَبَاحَ لَهَا بِطَرِيقِ فَارِسَ غَائِطًا^(٧)
فَقَرَّبَتْهَا لِلرَّحْلِ وَهِيَ كَأَنَّهَا
فَأَوْرَدَتْهَا مَاءً فَمَا شَرِبَتْ بِهِ
فَبَاتَتْ سُرَّاهَا لَيْلَةً ثُمَّ عَرَسَتْ
وَبَيْنَ الْجُثَا لَا يَجْشَمُ^(١) السَّيْرَ حَاضِرُ^(٢)
لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْقَاصِيَاتِ^(٣) زَوَافِرُ^(٤)
يُقَطِّعُ عَنْهَا اللَّيْلَ عُوجُ ضَوَامِرُ^(٥)
لَعَلَّكَ نَفْسِي قَبْلَ نَفْسِكَ بَاكِرُ^(٦)
لَهُ مِنْ ذَرَا^(٨) الْجَوْلَانِ^(٩) بَقْلُ^(١٠) وَزَاهِرُ^(١١)
ظَلِيمُ نَعَامٍ بِالسَّمَاوَةِ نَافِرُ
سَوَى أَنَّهُ قَدْ بُلَّ مِنْهَا الْمَشَافِرُ^(١٢)
بِيشْرَبٍ وَالْأَعْرَابُ بَادٍ وَحَاضِرُ
[الطويل]

عود للنعمان :

قال خالد بن كلثوم: دخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

مُعَاوِيَ إِلَّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفُ
أَيْشَتُمُنَا عَبْدُ الْأَرَاقِمِ ضَلَّةً
فَمَا لِي ثَارٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ
وَأَرْعِ^(١٣) رُوَيْدًا لَا تَسْمُنَا دَنِيَّةً
مَتَى تَلْقَ مِنَّا عُصْبَةً خَزْرَجِيَّةً
وَتَلْقَاكَ خَيْلٌ كَالْقَطَا مُسْبَطْرَةً^(١٥)
لِحَى الْأَزْدِ مَشْدُودًا عَلَيْهَا الْعِمَائِمُ
وَمَا ذَا الَّذِي تُجْدِي عَلَيْكَ الْأَرَاقِمُ
فَدُونُكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْكَ الدَّرَاهِمُ
لَعَلَّكَ فِي غِبِّ الْحَوَادِثِ نَادِمُ
أَوْ الْأَوْسَ يَوْمًا تَخْتَرِمُكَ الْمَخَارِمُ^(١٤)
شَمَاطِيطُ^(١٦) أَرْسَالُ^(١٧) عَلَيْهَا الشَّكَاكِمُ^(١٨)

(١) يجشم: يتكلف على مشقة.

(٢) حاضر: مسرع في مشيه.

(٣) القاصيات: النوق الكريمات النجيبات المبعدة عن الاستعمال.

(٤) الزوافر: المخرجات أنفاسهن من التعب.

(٥) الضوامر: خامصات البطن.

(٦) باكر: سابق.

(٧) الغائط: المنخفض الواسع عن الأرض.

(٨) الذرا: الفناء.

(٩) الجولان: جبل بدمشق.

(١٠) بقل: مخصر، منبت.

(١١) زاهر: مزهر.

(١٢) المشافر: مفردها مشفر.

(١٣) أرع: إرحم.

(١٤) المخارم: الطرُق في الغِلْظ، وأوائل الليل.

(١٥) مسبطة: مُسرعة.

(١٦) شماطيط: متفرقة.

(١٧) أرسال: جماعات.

(١٨) شكائم: مفردها شكيمة وهي الحديدية المعترضة في فم الفرس من لجامه.

وَعِمْرَانُ حَتَّى تُسْتَبَاحَ الْمُحَارِمُ
وَتَبْيِضُ مِنْ هَوْلِ السِّیُوفِ الْمُقَادِمُ^(١)
فَتَعْيَا بِهِ فَالآنَ وَالْأَمْرُ سَالِمُ
مَوَارِيثُ آبَائِي وَأَبْيَضُ صَارِمُ
نَوَى الْقَسْبِ^(٢) فِيهِ لَهْذَمِي^(٣) خُثَارُمُ^(٤)
بِدُومَةِ مُوشِي^(٥) الذَّرَاعِينَ ضَارِمُ^(٦)
أَذَلَّتْ قَرِيشًا وَالْأَنْوْفُ رَوَاغُمُ
وَأَنْتَ بِمَا تُخْفِي مِنَ الْأَمْرِ عَالِمُ
وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ
وَطَارَتْ أَكْفُ مِنْكُمْ وَجَمَاعِمُ
وَأَنْتَ عَلَى خَوْفٍ، عَلَيْكَ التَّمَائِمُ^(٧)
وَمَنْ قَبْلُ مَا عُضَّتْ عَلَيْنَا الْأَبَاهِمُ^(٨)
مَكَانَ الشَّجَا^(٩) وَالْأَمْرُ فِيهِ تَفَاقُمُ
وَلَا ضَامِنَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ضَائِمُ^(١٠)
سَتُرْقَى بِهَا يَوْمًا إِلَيْكَ السَّلَالِمُ
لِتِلْكَ الَّتِي فِي النَّفْسِ مَتْنِي أَكَاتِمُ
تَرْقَى إِلَى تِلْكَ الْأُمُورِ الْأَشَائِمُ
وَلَكِنْ وَلِيَّ الْحَقِّ وَالْأَمْرِ هَاشِمُ

يُسَوِّمُهَا الْعَمْرَانُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
وَيَبْدُو مِنَ الْخَوْدِ الْغَرِيرَةِ حِجْلُهَا
فَتَطْلُبُ شَعْبَ الصَّدْعِ بَعْدَ انْبِثَاقِهِ
وَالْأَفْبَزِي^(١) لَامَةً تُبْعِيَّةً
وَأَسْمَرُ خَطِي^(٢) كَأَنَّ كُعُوبَهُ
[وَأَجْرُدُ خَوَارِ الْعِنَانِ كَأَنَّهُ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْهَدْ بِبَدْرِ وَقِيعَةٍ
فَسَائِلُ بِنَا حَيِّي لُؤْيِي بْنِ غَالِبٍ
أَلَمْ تَبْتَذِرْكُمْ يَوْمَ بَدْرِ سَيُوفُنَا
ضَرْبِنَاكُمْ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُكُمْ
وَعَادَتْ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَوَابِسُ
وَعُضَّتْ قَرِيشُ بِالْأَنَامِلِ بِغَضَّةٍ
فَكُنَّا لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ تَكِيدُهُ
فَمَا إِنْ رَمَى رَامٍ فَأَوْهَى صَفَاتِنَا
وَإِنِّي لِأَغْضِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
أَصَانَعُ فِيهَا عَبْدُ شَمْسٍ وَإِنِّي
[فَلَا تَشْتُمْنِي يَا ابْنَ حَرْبٍ فَإِنَّمَا
فَمَا أَنْتَ وَالْأَمْرُ الَّذِي لَسْتَ أَهْلُهُ

(١) المقادِم: ما يلي الأنوف.

(٢) البز: السلاح.

(٣) الخطي: الرمح.

(٤) اللهزمي: القاطع من الأسنان، والجر الواسع.

(٥) خثارم: غليظ الشفة.

(٦) موشي: منقوش.

(٧) الضارم: المحتد الغضب.

(٨) التمايم: مفردها التميمية، وهي خرزة أو ما يشبهها توضع على الولد للوقاية من العين ودفع الأرواح.

(٩) الشجا: جمع الإبهام وهو الأصبع الأول من اليد.

(١٠) الأباهم: جمع الإبهام وهو الأصبع الأول من اليد.

(١١) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(١٢) ضائم: ظالم.

إليهم يصير الأمر بعد شتاته فمن لك بالأمر الذي هو لازم
بهم شرع الله الهدى فاهتدي به ومنهم له هادٍ إمامٌ وحاكمٌ
[الطويل]

قال: فلما بلغت هذه القصيدة إلى معاوية أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه، فاستجار بيزيد بن معاوية، فمنع منه، وأرضوا النعمان حتى رضي وكف عنه.

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد ولم يضرب أخاه، حين تهاجيا وتقاذفا، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكي ذلك إليه فدخل إلى معاوية وأنشأ يقول:

يا ابن أبي سفيان ما مثلنا جارٍ عليه ملكٌ أو أميرٌ
أذكر بنا مُقَدَّم أفراسنا بالحنو^(١) إذ أنت إلينا فقيرٌ
واذكر غداة السَّاعدي الذي أترك بالأمرفيها بشيرٌ
فاحذر عليهم مثل بدرٍ فقد مر بكم يومٌ ببدرٍ عسيرٌ
إن ابن حسان له ثائرٌ فأعطه الحقَّ تصحَّ الصدورُ
ومثل أيام لنا سبَّبت ملْكَالكم، أمرك فيها صغيرُ
أما ترى الأزْدَ وأشياءها نحوكَ خُزراً كاظماتٍ^(٢) تزورُ
يطوف حولي منهم معشرٌ إن صلتُ^(٣) صالوا وهم لي نصيرُ
يأبى لنا الضَّيمَ فلا نُعتلى عزَّ منيعٌ وعديدٌ كثيرُ
وعنصرٌ في عزٍّ جرثومةٍ عاديةٌ تُنقل عنها الصُّخورُ
[السريع]

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال: حدثني العُمري، عن الهيثم بن عدي قال:

حضرت الأنصارُ بابَ معاوية ومعهم النعمان بن بشير، فخرج إليهم سعد بن أبي ذرَّة، وكان حاجبَ معاوية ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال له: استأذن لنا، فدخل فقال لمعاوية: الأنصارُ بالباب، فقال له عمرو بن العاص: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسباً، ارددهم إلى نسبهم، فقال له معاوية: إن علينا في ذلك شناعة، قال:

(١) الحنو: موضع.

(٢) كاظمات: كظم: ردَّ وحبس.

(٣) صلت: سطوت واستطلت.

وما في ذلك؟ إنما هي كلمة مكان كلمة ولا مردّ لها، فقال له معاوية: اخرج فناد: من كان بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فخرج فنادى بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار، فقال له اخرج فناد: من كان هنا من الأوس والخزرج فليدخل، فخرج فنادى ذلك، فوثب النعمان بن بشير فأنشأ يقول:

يا سعد لا تُعِدِّ الدُّعَاءَ فما لنا نَسَبٌ نُجِيبُ بِهِ سِوَى الْأَنْصَارِ
نَسَبٌ تَخَيَّرَهُ الْإِلَهِ لِقَوْمِنَا أَثْقَلُ بِهِ نَسَباً إِلَى الْكُفَّارِ
إِنَّ الَّذِينَ تَوَوَّأُوا بِبَدْرِ مَنْكُمُ يَوْمَ الْقَلِيبِ هُمْ وَقَوْدُ النَّارِ
[الكامل]

وقام مغضباً فانصرف، فبعث معاوية فردّه وترضّاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار.

ومن مختار شعر النعمان قوله، رواها خالد بن كلثوم فاخترت منها:

إِذَا ذُكِرْتُ أُمُّ الْحُوَيْرِثِ أَخْضَلْتُ دُمُوعِي عَلَى السَّرْبَالِ أَرْبَعَةً سَكْبَا
كَأَنِّي لَمَّا فَرَّقْتُ بَيْنَنَا النَّوَى أَجَاوِرُ فِي الْأَغْلَالِ تَغْلِبَ أَوْ كَلْبَا
وَكُنَّا كَمَاءِ الْعَيْنِ وَالْجَفْنِ لَا تَرَى لَوَاشٍ بَعَى نَقْضِ الْهَوَى بَيْنَنَا إِرْبَا
فَأَمْسَى الْوِشَاءُ غَيَّرُوا وَدَّ بَيْنَنَا فَلَا صِلَةَ تَرَعَى لِدَيٍّ وَلَا قُرْبَا
جَرَى بَيْنَنَا سَعْيِي الْوِشَاءُ فَأَصْبَحْتُ كَأَنِّي وَلَمْ أَذْنُبْ جَنِيْتُ لَهَا ذَنْبَا
فَإِنْ تَضْرَمِينِي^(١) تَضْرَمِي بِي وَاصِلًا لَدَى الْوَدِّ مِعْرَاضًا إِذَا مَا التَّوَى صَعْبَا
عَزُوفًا - إِذَا خَافَ الْهَوَانُ - عَنِ الْهَوَى وَيَأْبَى فَلَا يُعْطِي مَوَدَّتَهُ غَضْبَا
فَإِنْ أَسْتَطَعُ أَصْبِرُ وَإِنْ يَغْلِبُ الْهَوَى فَمِثْلُ الَّذِي لَا قِيْتُ كَلَّفَنِي نُصْبَا^(٢)
[الطويل]

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى:

أَهْيَّجْ دَمْعَكَ رَسْمُ الطَّلَلِ عَفَا غَيْرَ مُطَرِّدٍ كَالْخَلَلِ
نَعَمْ فَاسْتَهْلْ لِعِرْفَانِهِ يَسُجُّ^(٣) وَيَهْمِي^(٤) بِفَيْضِ سَبَلِ^(٥)
دِيَارِ الْأَلُوفِ وَأَثَرِ ابْنِهَا وَإِذْ أَنْتَ بِالْحَبِّ كَالْمُخْتَبَلِ

(٢) النُّصْبُ: البلاء والألم.

(٤) يَهْمِي: يَصُبُّ الدَّمْعَ.

(١) تَضْرَمِينِي: تَهْجِرُنِي وَتَقْطَعُنِي.

(٣) يَسُجُّ: يَنْصَبُّ.

(٥) السَّبَلُ: الْمَنْهَمَرُ كَالسَّيْلِ.

ل تحت الخدورِ بحُسنِ العَزَلِ
نَّ حينَ يقومُ جَزِيلُ الكَفَلِ
بِ باتٍ يُشَابُ بذَوْبِ العَسَلِ
بُعَيْدَ الكرى واختلافِ العَلَلِ^(٢)
[المتقارب]

والنَّجْمُ وهنا قد دنا لتَعَوُّرِ
بِسَحِيقِ مَسَكٍ في ذكِي العنبرِ
[الكامل]

صَرومٍ وَصُولِ حِبَالِ الخُلَلِ
ءِ صَافِي الثناء قليلِ العَذَلِ^(٤)
دِ واري الزنادِ بَعِيدِ القَفَلِ
عمودِ السُّرى بَذْمُولِ^(٥) الرَّمْلِ
عَلَى الأَيْنِ^(٨) ذو شِرَّةٍ^(٩) كالجملِ
[المتقارب]

ليالي تَسِي قلوبَ الرجا
من الناهضات بأعجازهم
كأنَّ الرُّضابَ^(١) وَصَوْبَ السحا
من اللَّيلِ خالطَ أنيابها

أخذ هذا المعنى منه جَمِيلٌ فقال:

وكانَ طارِقها على عَليِّ الكرى
يَشْتَمُ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ^(٣)

وفي هذه القصيدة يقول النعمان:

وأروَعَ ذي شَرَفٍ حَازِمٍ
كريمِ البلاءِ صبورِ اللقا
عظيمِ الرَّمادِ طويلِ العما
أَقَمْتُ له ولأَصْحابِهِ
مُدَاخَلَةً سَرُوحَةٍ^(٦) جَسْرَةٍ^(٧)

عبد الله بن النعمان:

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير عبدُ الله بن النعمان وهو القائل:

ماذا رجأؤك غائباً
وإذا دنوتَ يزييدُهُ
من لا يَسُرُّكَ شَاهِداً
منك الدُّنُو تَبَاعِداً

[مجزوء الكامل]

(١) الرُّضاب: الريق المرشوف.

(٢) العَلَل: الشُّربة الثانية، أو الشُّرب بعد الشُّرب قياماً.

(٣) معلولة: ممزوجة، مخلوطة.

(٤) العَذَل: العَذَل والعَذَل هي الملامة.

(٥) الذمُول: الناقة السريعة.

(٦) السَّرُوحَة: اللينة السهلة السير سريعه.

(٧) الجسرة: الطويلة الضخمة من الإبل.

(٨) الأَيْن: الإعياء والتعب.

(٩) شِرَّة: الحِدَّة والغِلظة.

عبد الخالق بن أبان:

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير، شاعرٌ مكثّر، وهو القائل في قصيدة طويلة:

وشاد أبونا الشيخُ عمرو بنُ عامرٍ بأعلى ذُرا العلياءِ رُكنا تائلاً
وخطَّ حياضَ المجدِ مُترعةً لنا ملاءً فعلً الصَّفوفِ منها وأنْهلاً
وأشرعَ فيها الناسَ بعدُ فما لهمُ من المجدِ إلَّا سُؤره حينَ أفْضلاً
وفي غيرنا مجدٌ من الناسِ كلِّهمُ فأما كمثِلِ العُشرِ من مَجْدنا فلا
[الطويل]

قوله أشعار كثيرة لم أحبَّ الإطالة بذكرها.

شبيب بن يزيد:

ومنهم شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير، شاعرٌ مكثّرٌ مُجيد، وهو القائل من قصيدة طويلة يُعاتب فيها بني أمية عند اختلاف أمرهم أيامَ الوليدِ بن يزيد وبعده، وأولُّها:

يا قلبُ صبراً جميلاً لا تمُتْ حَزناً قد كُنتَ من أن تُرى جلدَ القَوَى قَمِناً^(١)
[البسيط]

يقول فيها:

بل أيها الراكب المزجي مطيَّتهُ لُقِّيتَ حيثَ توجَّهتَ الثنا الحَسْناً
أبلغُ أميةَ أعلاها وأسفلها قولاً يُنفّرُ عن البابِها الوَسْناً
إنَّ الخلافةَ أمرٌ كان يُعْظِمْه خيارُ أولَكمُ قِدماً وأولُنا
فقد بقرتُم بأيديكم بطونكمُ وقد وُعِظْتُم فما أحسنتُم الأذْناً
لَمَّا سفكتُم بأيديكم دماءكمُ بغياً وغشيتُم أبوابكم دَرْناً
[البسيط]

إبراهيم بن بشير:

ومنهم إبراهيم بن بشير بن سعد أخو النعمان، شاعرٌ مكثّر، وهو القائل في قصيدة أولُّها:

(١) القَمين: الخلق الجدير.

أشأقك أظعان الحُدُوج^(١) البواكير
على كل فتلاء الذارعين جَسْرَة^(٥)
نعم فاستدرت عبْرَة العين لوعة
ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة
ألا رُبَّ ليلٍ قد سرُبتُ سَوادَه
ليالي يدعوني الصِّبا فأجيبه
وإذ لَمَّتِي مثلُ الجِنّاح أثيثة
فأصبحثُ قد ودّعتُ ذاكُم بعبرة
كنُخلِ التُّجَيْرِ^(٢) السابحاتِ^(٣) المواقِرِ^(٤)
وأعيسَ^(٦) نَضَّاحِ المَقْدِّ^(٧) عُذافِرِ^(٨)
وما أنت عن ذِكْرِي سُليمى بصابرٍ
من الدَّهرِ إلّا وقفَةٌ بالمَشاعرِ
إلى رُجَحِ الأعجازِ غُرِّ المَحاجرِ
أجرُ إزارِي عاصياً أَمَرَ زاجري
أَمْشِي الهُويْنَا لا يُرَوِّعُ طائري
مخافَةٌ ربي يوم تُبلى سرائري
[الطويل]

بنت النعمان :

وبنت النعمان بن بشير واسمها حميدة، وكانت شاعرة ذات لسان وعارضة
وشرّ، فكانت تهجو أزواجها، وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومي، وقيل : بل
كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد فقالت فيه :

كُهلٌ دِمَشَقٌ وشُبَّانُها أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَالِيَةِ
صُمَاحُهُمْ^(٩) كَصُمَاحِ التُّيُورِ سِ أَعْيَا عَلَى الْمِسْكِ وَالْغَالِيَةِ
وقَمَلٌ يَدِبُ دَبِيبَ الْجِرا دِ أَعْيَا الْغَدَاةَ عَلَى الْفَالِيَةِ^(١٠)
[المقارب]

فطلّقها فتزوجها رَوْح بن زُبَاع، فهجته وقالت تخاطب أخاها الذي زوجها من
رَوْح وتقول :

-
- (١) الحدوج: مفردا الحدج وهو مركب للنساء.
(٢) التُّجَيْر: (١) حصن قرب حضرموت، (٢) ماء جذاء قرية صفيّة.
(٣) السابحات: الخيل التي تبدو كالسباحة من شدة سرعتها.
(٤) المواقِر: مفردا موقرة وميقار وموقّر وموقرة وهي النخلة الفارعة.
(٥) الجسرة: الطويلة الضخمة من الإبل.
(٦) أعيس: الجمل الذي يخالط بياضه سواد.
(٧) المقدّ: ما بين الأذنين من خلف الرأس.
(٨) العُذافِر: الشديد الغليظ من الإبل.
(٩) الصُمّاح: العرق الممتن.
(١٠) الفالية: خنفساء رقطاء تألف العقارب والحيات، فإذا خرجت من جحرها، آذنت بها.

أَضَلَّ اللَّهُ حِلْمَكَ مِنْ غَلَامٍ متى كانت مناكِحَنا جُذَامُ
أَتَرْضَى بِالْأُكَارِعِ وَالذُّنَابَى وقد كُنَّا يَقِرُّ لَنَا السَّنَامُ
[الوافر]

وقالت تهجو روحاً:

بَكَى الْخَزُّ مِنْ رَوْحٍ وَأَنْكَرَ جِلْدَهُ وَعَجَّتْ عَجِيجاً مِنْ جُذَامِ الْمَطَارِفُ
وَقَالَ الْعَبَاءُ نَحْنُ كُنَّا ثِيَابَهُمْ وَأَكْسِيَّةٌ كُذْرِيَّةٌ وَقِطَائِفُ^(١)
[الطويل]

فطَلَّقَهَا رَوْحٌ وَقَالَ: سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَغْلاً يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَقِيئُهَا فِي
حِجْرِكَ، فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ الْفَيْضُ بْنُ [مُحَمَّدَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ] أَبِي عَقِيلِ الثَّقَفِيِّ،
فَكَانَ يَسْكُرُ وَيَقِيءُ فِي حِجْرِهَا، فَكَانَتْ تَقُولُ: أَجِيبَتْ فِيَّ دَعْوَةُ رَوْحٍ، وَقَالَتْ
فِي الْفَيْضِ:

سُمِّيتَ فَيْضاً وَمَا شَيْءٌ تَفَيْضُ بِهِ إِلَّا بِسَلْحِكَ^(٢) بَيْنَ الْبَابِ وَالْدَارِ
[البسيط]

وقالت فيه:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلُهَا^(٣) بَغْلُ
فَإِنْ نُتِجَتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرِيِّ وَإِنْ كَانَ إِقْرَافُ^(٤) فَمَا أَنْجَبَ الْفَحْلُ
[الطويل]

وهكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لها، وغيره يرويها لمالك بن أسماء
لما تزوج الحجاج أخته هنداً.

وهي القائلة لما تزوج الحجاج أختها أم أبان:

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو بَعْضَ مَا يَرْجُو الرِّجَالُ أَنْ تَنْكِحِيهِ مَلَكًا ذَا تَاجٍ
إِذَا تَذَكَّرْتُ نِكَاحَ الْحَجَّاجِ تَضَرَّمَ الْقَلْبُ بِحُزْنٍ وَهَاجٍ
وَفَاضَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ ثَجَّاجٍ لَوْ كَانَ نُعْمَانُ قَتِيلَ الْأَعْلَاجِ

(١) قطائف: مفرداها قطيفة، وهي دثار يلقى الرجل على نفسه.

(٢) السَّلْحُ: النِّجْو المائع وهو خاص بالطَّيْرِ والبَهِائم واستعماله للإنسان من باب التَّسَاهُلِ عَلَى التَّشْبِيهِ.

(٣) تَجَلَّلَ: علا وارتفع.

(٤) الإقْرَاف: أن يكون والد الغلام غير عربي.

مُسْتَوِيَّ الْخَلْقِ صَحِيحَ الْأَوْدَاجِ^(١) مَا نَلْتِ مَا نَلْتِ بِخَثَلِ الدَّرَاجِ^(٢)
[الرجز]

فأخرجها الحجاج من العراق إلى الشام:

صوت

نَفَرْتُ قُلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ
لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرِيبُ خَمَرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبٍ
لَا تَبْعَدَنَّ رَبِيعَةً بَنَ مُكَدَّمَ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذُنُوبٍ
لَوْلَا السَّفَارُ^(٣) وَبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ^(٤)
[الكامل]

الغناء لمالكٍ خفيف ثقیل، بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

يقال: إن الشعر لحسان بن ثابت، وقيل أيضاً: إنه لضرار بن الخطاب الفهري. وأخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال: الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق أحد بني فهر بن مالك، قال: ومن الناس من يرويها لمكرز بن حفص بن الأخيف العامري. وعمرو بن شقيق أولى بها.

(١) الأوداج: مفردا الودج وهو عرق في العنق.

(٢) الدراج: طائر شبيه بالحجل وهو هنا كناية عن أختها التي شبهتها بطائر الدراج.

(٣) السفار: السفر والارتحال. يقال أسفر البعير أي قَوِيَ السفر. والسفار أيضاً حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير فيخطم بها للتحكم بسيروه.

(٤) العرقوب: العرقوب من الدابة في رجلها بمثابة الركبة في يدها.

ذكر ربيعة بن مكدم ونسبه وخبره

وهذا الشعر قيل في قتل ربيعة بن مكدم بن عامر بن حُرثان بن جَذيمة بن عَلَقمة بن جَذل الطَّعان بن فِرَاس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين، قتله نُبَيْشَةُ بِنُ حبيب السُّلَمي في يوم الكَدِيد. وكان السبب في ذلك فيما ذكره لنا محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، ونسخت أيضاً من رواية الأَصمعي وحماد صاحب أبي غسان دماذ والأثرم، فجمعتها هاهنا.

قال أبو عبيدة: قال أبو عمرو بن العلاء: وقع تَدَارُؤٌ^(١) بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فِرَاس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فِرَاس رجلين من بني سليم بن منصور، ثم إنهم ودَّوهُمَا^(٢)، ثم ضرب الدهر من ضربه فخرج نُبَيْشَةُ بن حبيب السُّلَمي غازياً، فلقي طُعناً من بني كنانة بالكَدِيد، في رَكْب من قومه، وبَصَرَ بهم نفر من بني فِرَاس بن مالك، فيهم عبدُ الله بن جَذل الطَّعان بن فِرَاس والحارث بن مكدم أبو الفارعة، وقال بعضهم: أبو الفَرَعَة، وأخوه ربيعة بن مكدم، قال: وهو مجدورٌ يومئذٍ يُحْمَل في مِحْفَةٍ، فلما رآهم أبو الفارعة قال: هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم، فقال أخوه ربيعة بن مكدم: أنا أذهب حتى أعلم عِلْمَ القوم فأتاكم بخبرهم، فتوجه نحوهم، فلما ولي قال بعض الطُّعن: هرب ربيعة، فقالت أخته أم عَزَة بنت مكدم: أين تنتهي فَرَّةُ الفتى؟ فعطف وقد سمع قول النساء فقال:

لَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي غَيْرُ فَرِقٍ^(٣) لَأَطْعَنَّ طَعْنَةً وَأَعْتَنِقُ
أَعْمَلُ فِيهِمْ حِينَ تَحْمُرُ الْحَدَقُ عَضْباً حُسَاماً وَسِنَاناً يَأْتَلِقُ
[الرجز]

قال: ثم انطلق يعدو به فرسه. فحمل عليه بعض القوم، فاستطرد له في طريق الطعن وانفرد به رجل من القوم، فقتله ربيعة، ثم رماه نُبَيْشَةُ أو طعنه، فلحق بالظعن

(١) التدارؤ: التدافع في الخصومة.

(٢) ودوهما: دفعوا ديتهما.

(٣) الفَرِق: الجبان الخائف.

يَسْتَدِمِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى أُمِّهِ أُمِّ سَيَّارَ فَقَالَ: شُدِّي عَلَى يَدِي عِصَابَةً وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:
شُدِّي عَلَى الْعَصَبِ أُمِّ سَيَّارَ فَقَدْ رُزِيتَ فَارِسًا كَالدِّينَارِ
يَطْعَنُ بِالرَّمْحِ أَمَامَ الْأَذْبَارِ

[الرجز]

فَقَالَتْ أُمُّهُ:

إِنَّا بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ مُرَرُّوْ خِيَارُنَا كَذَلِكَ
مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنِ هَالِكٍ وَلَا يَكُونُ الرُّزْءُ إِلَّا ذَلِكَ

[الرجز]

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَشَدَّتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ عِصَابَةً، فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً، فَقَالَتْ: إِنْ شَرِبْتَ
الْمَاءَ مَتَّ فَكَرَّرَ عَلَى الْقَوْمِ. فَكَرَّرَ رَاجِعًا يَشُدُّ عَلَى الْقَوْمِ وَيُدْبِبُهُمْ^(١) وَنَزَفَهُ الدَّمَ حَتَّى
أُثْخِنَ^(٢)، فَقَالَ لِلظُّعْنِ: أَوْضِعْ رُكَابَكَ خَلْفِي حَتَّى تَنْتَهِيَنِي إِلَى أَدْنَى الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيِّ
فَإِنِّي لِمَا بِي، وَسَوْفَ أَقْفُ دُونَكَ لِهِمْ عَلَى الْعُقْبَةِ، وَأَعْتَمِدُ عَلَى رَمْحِي، فَلَنْ يُقَدِّمُوا
عَلَيْكَ لِمَكَانِي، فَفَعَلَنَ ذَلِكَ فَجَوْنَ إِلَى مَأْمَنِهِمْ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ: وَلَا نَعْلَمُ قَتِيلًا وَلَا مَيْتًا حَمَى ظُعَانِ
غَيْرِهِ، قَالَ: وَإِنَّهُ يَوْمُئِذٍ لَغَلَامٌ لَهُ دُؤَابَةٌ، قَالَ: فَاعْتَمَدَ عَلَى رَمْحِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ لِهِنَّ عَلَى
مَتْنِ فَرَسِهِ حَتَّى يَلْغَنَ مَأْمَنَهُنَّ وَمَا يُقَدِّمُ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ نَبِيْشَةُ بْنُ حَبِيبٍ: إِنَّهُ لِمَائِلُ
الْعَنْقِ وَمَا أَظْنَهُ إِلَّا قَدْ مَاتَ، فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ خُزَاعَةَ كَانَ مَعَهُ أَنْ يَرْمِيَ فَرَسَهُ، فَرَمَاهَا
فَقَمَصَتْ وَزَالَتْ، فَمَالَ عَنْهَا مَيْتًا. قَالَ: وَيُقَالُ: بَلِ الَّذِي رَمَى فَرَسَهُ نُبَيْشَةُ، قَالَ:
فَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَقَدْ فَاتَهُمُ الظُّعْنُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَلَحِقُوا يَوْمُئِذٍ أَبَا الْفَرْعَةَ الْحَارِثَ بْنَ
مَكْدَمٍ فَقَتَلُوهُ، وَأَلْقَوْا عَلَى رَبِيعَةَ أَحْجَارًا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ،
فَنَفَرَتْ نَاقَتُهُ مِنْ تِلْكَ الْأَحْجَارِ الَّتِي أُهِيلَتْ عَلَى رَبِيعَةَ، فَقَالَ يَرِثِيهِ وَيَعْتَذِرُ أَنْ لَا يَكُونَ
عَقْرَ نَاقَتِهِ عَلَى قَبْرِهِ، وَحَضَّ عَلَى قَتْلَتِهِ وَعَيَّرَ مَنْ فَرَّ وَأَسْلَمَهُ مِنْ قَوْمِهِ:

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيتَ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ
لَا تَنْفُرِي يَانَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ سَبَاءُ خَمَرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّفَارُ وَبُعْدُ خَرْقِ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ
فَرَّ الْفَوَارِسُ مِنْ رَبِيعَةَ بَعْدَمَا نَجَّاهُمْ مِنْ غَمَّةِ الْمَكْرُوبِ

(١) يَذَبُّ: يَكْثُرُ الدَّفْعُ.

(٢) أُثْخِنَ: أَوْهِنَ وَبَالِغَتِ الْجَرَاخَةِ فِيهِ.

يدعو عَلِيّاً حينَ أَسْلَمَ ظَهْرَهُ فَلَقَدْ دَعَوْتَ هُنَاكَ غَيْرَ مُجِيبٍ
[لَلَّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ إِنْ هُمْ لَمْ يَحْمُسُوا عَزْواً كَوَلِّغِ الذِّبِ
نِعَمَ الْفَتَى أَدَى نَبِيْشَةَ بَرْزَهُ يَوْمَ الْكَدِيدِ نَبِيْشَةُ بَنٍ حَبِيبٍ]
لَا يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةُ بَنُ مَكْدَمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنْوَبٍ
[الكامل]

قال أبو عبيدة: ويقال: إن الذي قال هذا الشعر هو ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَحَدُ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فِهْرٍ، وقال آخر: هو حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ، قال الأثرم: أنشدني أبو عبيدة مرةً أخرى هذا البيت:

وسقى الغواذي قبره بذَنْوَبٍ
واحتج به في قول الله عزَّ وجل: ﴿ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩] وسألته:
لمن هذا البيت؟ فقال: لِمُكْرَزِ بْنِ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيْفِ أَحَدِ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشِ الظَّوَاهِرِ، ولم يسمه هاهنا.
وقال عبد الله بن جَذَلِ الطَّعَانِ واسمه بلعاء:

وَأَطْلَبُنْ بِرَبِيعَةَ بَنٍ مَكْدَمٍ حَتَّى أَنْالَ عُصِيَّةَ بَنٍ مَعِيصٍ
[الكامل]

يقال: إن عُصِيَّةَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، وَهُوَ عُصِيَّةُ بْنُ مَعِيصٍ بَنٍ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ:
يَفْتَادُ كُلَّ طِمْرَةٍ^(١) مَمْحُوصَةٍ^(٢) وَمُقْلَصٍ^(٣) عَبَلٍ^(٤) الشَّوَى^(٥) مَمْحُوصٍ
[الكامل]

وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدَم، فقال أبو عبيدة: زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت يَحُضُّ عَلَى قَتْلَتِهِ:

وَلَأَصْرَفَنَّ سَوَى حُذَيْفَةَ مَدْحَتِي لِفَتَى الشِّتَاءِ وَفَارِسِ الْأَجْرَافِ^(٦)
مَأْوَى الضَّرِيكِ^(٧) إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ^(٨) مُخْلِيفٍ مِتْلَافٍ^(٩)

(١) الطَّمْرَةُ: الفرس الطويلة القوام. (٢) ممحوصة: الخالية من العيوب.

(٣) مُقْلَصٌ: الطويل القوائم. (٤) العبل: الضخم الغليظ.

(٥) الشَّوَى: الأطراف، القوائم.

(٦) الأجراف: مفردُها جرف وهو الكلاء الملتف أو الخصب، أو المال الكثير من المواشي وغيرها.

(٧) الضَّرِيكِ: الفقير فقراً شديداً فهو سيئ الحال.

(٨) الدَّسِيعَةُ: الهبة العظيمة. (٩) مِتْلَافٌ: مُهْدِرٌ لِلْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

من لا يزال يَكُبُّ كلَّ نَقِيلَةٍ كَوْمَاءُ^(١) غَيْرَ مَسَائِكِ^(٢) مِئْزَافٍ^(٣)
 رَحْبِ الْمَبَاءَةِ^(٤) وَالْجَنَابِ مَوْطَأً مَأْوَى لِكُلِّ مُدَفِّعٍ مِسْوَافٍ^(٥)
 فسقى الغواذي رُمْسَكَ^(٦) ابْنِ مُكْدَمٍ من صَوْبِ كلِّ مُجْلَجِلٍ وَكَفٍّ^(٧)
 أَبْلَغُ بَنِي بَكْرِ وَخُصَّ فَوَارِساً لِحِقُوا الْمَلَامَةَ دُونَ كلِّ لِحَافٍ
 أَسْلَمْتُمْ جَذَلَ الطَّعَانِ أَخَاكُمْ بَيْنَ الْكَدِيدِ وَقُلَّةِ الْأَعْرَافِ

[الكامل]

الأعراف: رمل. قال الأثرم: الأعراف: كلُّ ما ارتفع، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦].

حتى هوى مُتَزَايِلًا^(٨) أَوْصَالُهُ لِلْخَدَّ بَيْنَ جَنَادِلٍ^(٩) وَقِفَافٍ^(١٠)
 لِّلَّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ إِنَّهُمْ لَمْ يَشَارُوا عَوْفًا وَحِيَّ خُفَافٍ

[الكامل]

قال الأثرم: وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرّة لقيس بن الحطيم حين قتل قاتل أبيه.

تذكَر ليلي حُسْنَهَا وَصَفَاءَهَا

وقال ابن جِذَلِ الطَّعَانِ فِي ذَلِكَ أَيْضاً:

أَلَا لِّلَّهِ دَرُّ بَنِي فِرَاسٍ لَقَدْ أَوْرَثْتُمْ حُزْناً وَجِيعاً
 غَدَاةُ ثَوَى رَبِيعَةٍ فِي مَكْرٍ تَمْجُ عُرُوقُهُ عَلَقاً نَّجِيعاً^(١١)
 فَلَنْ أَنْسَى رَبِيعَةً إِذْ تَعَالَى بُكَاءُ الظُّغْنِ تَدْعُوياً رَبِيعاً

[الوافر]

وقال كعب بن زهير، وأمه من بني أشجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة،

(١) كوما: الناقة العظيمة السنام.

(٢) مسائك: مذعورة.

(٣) الميزاف: المعز التي يكون لها لبن فينقطع.

(٤) المباءة: المنزل.

(٥) المسواف: الذي يقوم بإهلاك ماله وإضاعته في غير موضعه.

(٦) رمسك: قيرك.

(٧) الوكاف: المتقطع الشديد.

(٨) متزاييل: متفرق، متقطع.

(٩) جنادل: مفردا جندل وهو ما يقبله الرجل من الحجارة.

(١٠) قفاف: مفردا قف، وهي الحجارة التي يغوص بعضها ببعض.

(١١) النجيع: حَبَطَ يضرب بالدقيق والماء يُوَجِّرُ الإِبِلَ وهو ما ينفع البدن من طعام أو شراب أو دواء.

يرثي ربيعة بن مكرم ويخصُّ على بني سُليم ويُعيِّر بالدماء التي أدَّوها إلى بني سُليم
وهم لا يُدركون قتلاهم عندهم بِدَرَكٍ قَتْلٍ ولا دِيَّةٍ :

بان الشبابُ وكلُّ إلفٍ بائنٌ ظعنُ الشبابِ مع الخليطِ الظاعنِ
قالت أُميمةٌ ما لجسمك شاحباً وأراك ذا بَثٍّ ولستَ بدائنِ
عُصِّي ملامك إنَّ بي من لومكم داءٌ أظنُّ مُماطلي أو فاتني
أبلغُ كنانةً غُثَّها وسمينَها النازِلين رِباعها بالقاطنِ
إنَّ المذلةَ أن تُطلَّ دماؤكم ودماءُ عوفٍ ضامِنٌ^(١) في العاهنِ^(٢)
أموالكم عَوْضٌ لهم بدمائهم ودماءُكم طُلْفٌ^(٣) لهم بظعائنِ^(٤)
طلبوا فأدركَ وثرَهم مولاهم وأبَتْ مَحامِلُكم إباءَ الحارنِ^(٥)
شَدُّوا المآزرَ واثَّاروا بأخيكم إن الحفائظَ نَعَمَ رُبْحُ الثامنِ
كيف الحياةَ ربيعةَ بنَ مكرم بعدي عليك بمزهرٍ^(٦) وأقاتنِ^(٧)
رَهَنَ العَريكةَ بالعَراءِ وحارثُ ففُتَّعُ القَراقرِ^(٨) بالمكانِ الواتنِ^(٩)
كم غادروا بك من أراميلٍ عُيِّل جَزَرَ الضُّباعِ ومن ضَريكِ^(١٠) واكنِ^(١١)
[الكامل]

وقالت أم عمرو أختُ ربيعة ترثي أخاها ربيعة :

ما بال عينك منها الدمعُ مُهراقٌ سَحَّافلا عازبٌ كَلاً ولا راقي
أبكى على هالكٍ أودَى وأوردني بعد التفرُّقِ حُزناً بعده باقي
لو كان يَرْجعُ مَيْتاً وَجَدَ ذي رَحِم أبقي أخى سالماً وَجدي وإشفاقي
لو كان يُفدَى لكان الأهلُ كُلُّهم وما أُمَرُّ من مالٍ له واقبي

(١) الضامن: الكافل.

(٢) العاهن: الضامن.

(٣) الطُلْف: الهدر، الذاهب سُدى.

(٤) الظعائن: مفردُها الظعينة، وهو الهودج سواء كان فيه امرأة أم لا.

(٥) الحارن: الدابة التي يُستدرَّ جريها فتقف.

(٦) مزهر: العود يضرب به، والذي يزهر النار ويقلِّبها للضيغان.

(٧) أقاتن: الرماح، أو الدِّقاق من الأسنة.

(٨) القراقر: الحادي الحسن الصوت.

(٩) الواتن: الشيء الدائم الثابت في مكانه.

(١٠) الضريك: الفقير السيئ الحال.

(١١) الواكن: الجالس المترع.

لَمْ يُغْنِهِ طَبُّ ذِي طَبٍّ وَلَا رَاقِي
لَاقَى الَّذِي كُلُّ حَيٍّ مِثْلَهُ لَاقِي
وَمَا سَرِيْتُ مَعَ السَّارِي عَلَى سَاقِي
مَا إِنْ يَجِفُّ لَهَا مِنْ ذِكْرِهِ مَا قِي
[البسيط]

حُزْنًا يَكَادُ لَهُ الْفُؤَادُ يَزُولُ
ظَلَّتْ لَذَكَرَاهِ الدُّمُوعُ تَسِيلُ
يُرْدِي^(١) بِشِكَّتِهِ^(٢) أَقْبُ^(٣) دُؤُولُ
وَالنَّاسُ إِمَّا هَالِكٌ وَقَتِيلُ
فَعَلَى رَبِيعَةٍ مِنْ نَدَاهُ قَبُولُ
تَبْكِي رَبِيعَةَ، غَادَةً^(٥) عُطْبُولُ^(٦)
يُعْطِي الْمَذَلَّةَ عَاجِزَ تَنْبِيلُ^(٧)
[الكامل]

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ حَشَاشَةٍ وَفُؤَاقٍ
عَلِقَابُ طَعْنٍ كَالسَّعِيبِ^(٩) ذُفَاقٍ
وَرَبِيعَ قَوْمِكَ آذْنَا بِفِرَاقٍ
فَرَجَّتْ كُرْبَتَهُ وَضِيقَ خِنَاقٍ
[الكامل]

كَتَابَ مِنْ كِنَانَةٍ كَالصَّرِيمِ^(١٠)

لَكُنْ سَهَامُ الْمَنَايَا مِنْ نَصَبِنَ لَهُ
فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعَدُنْكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ
أَبْكِي لِذِكْرَتِهِ عَبْرَى مَفْجَعَةٍ

وقال عبد الله أيضاً يرثيه :

خَلَّى عَلَيَّ رَبِيعَةً بَنَ مَكْدَمٍ
فَإِذَا ذَكَرْتُ رَبِيعَةَ بَنَ مَكْدَمٍ
نَعَمَ الْفَتَى حَيًّا وَفَارَسُ بُهْمَةٍ
سَقَتِ الْكَدِيدَ وَمِنْ بِهِ وَجَبِيَّةٌ
فَإِذَا لَقِيتَ رَبِيعَةَ بَنَ مَكْدَمٍ
كَيْفَ الْعِزَاءُ وَلَا تَزَالُ خَرِيدَةً^(٤)
يَأْبَى لِي اللَّهُ الْمَذَلَّةَ إِنَّمَا

وقال عبد الله أيضاً يرثيه :

دَعَتِ الظَّلْعَيْنَةَ يَا رَبِيعَةَ بَعْدَمَا
فَأَجَابَهَا وَالرُّمُحُ فِي حَيْزُومِهِ^(٨)
يَا رَيْطَ إِنَّ رَبِيعَةَ بَنَ مَكْدَمٍ
وَلَيْتَنِي هَلَكْتُ لِرُبِّ فَارَسٍ بِهْمَةٍ

وقال أيضاً يتوعد بني سليم :

وَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إِنْ لَمْ أُزْرِكُمْ

(١) يُرْدِي : يقتل .

(٢) شِكَّتِهِ : سلاحه .

(٣) الْأَقْبُ : الشديد الغليظ في الخصومة .

(٤) الْخَرِيدَةُ : البكر التي لم تُمَسَّ .

(٥) الْغَادَةُ : المرأة الناعمة اللينة البيّنة الغيد .

(٦) الْعُطْبُولُ : المرأة الفتية الجميلة .

(٧) التَّنْبِيلُ : القصير .

(٨) الْحَيْزُومُ : وسط الصدر .

(٩) السَّعِيبُ : اللُّعَابُ الممتد كالخيوط .

(١٠) الصَّرِيمُ : القطعة من الليل ، أو آخر الليل .

عَلَى قُبِّ^(١) الْبَطُونِ مُضَمَّرَاتٍ أَضَرَّ بَنِيَّهَا عِلْكَ الشَّكِيمِ^(٢)
[الوافر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال:
حدثني الطَّلْحِيُّ قال: أخبرنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيُّ ومحمد بن الحسن بن زُبالة
في مجلس واحد، قالوا:

مَرَّ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ بِقَبْرِ رَبِيعَةَ بْنِ مَكْدَمِ الْكِنَانِيِّ بِثُنْيَةِ غَزَالٍ وَيُقَالُ بِثُنْيَةِ كَعْبٍ
فَحَاصَتْ^(٣) بِهِ رَاحِلَتُهُ فَقَالَ:

نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ
لَا تَنْفَرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرِيبُ خَمَرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ
لَوْلَا السَّفَارُ وَبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعِرْقُوبِ
[الكامل]

فبلغ شعره بني كنانة فقالوا: والله لو عقرها لسُقنا إليه ألف ناقة سود
الحدق.

ربيعة ودريد:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني. قال حدثنا
أبو عبيدة قال:

خَرَجَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي فَوَارِسِ بَنِي جُشَمَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِوَادٍ لَبَنِي كِنَانَةَ يُقَالُ لَهُ
الْأَخْرَمُ، وَهُوَ يَرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي كِنَانَةَ، رُفِعَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْوَادِي مَعَهُ ظُعِينَةٌ،
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لِفَارِسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: صَحَّ بِهِ أَنْ خَلَّ عَنْ الظُعِينَةِ وَانْجُ بِنَفْسِكَ، وَهُوَ
لَا يَعْرِفُهُ، فَاتَّهَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَأَلَحَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَبَى أَلْقَى زَمَامَ الرَّاحِلَةِ وَقَالَ لِلظُعِينَةِ:

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سَيْرَ الْأَمَنِ سَيْرَ رَدَاحٍ^(٤) ذَاتِ جَاشٍ سَاكِنِ
إِنَّ انْثَنَائِي دُونَ قِرْنِي شَائِنِي وَأَبْلِي بِلَائِي وَاخْبُرِي وَعَايِنِي
[الرجز]

ثم حمل على الفارس فصرعه وأخذ فرسه فأعطاه الظُعِينَةَ، فبعث دريد فارساً

(١) قُبِّ البطون: ضامري البطون.

(٢) الشكيم: مفرد الشكيمة، وهي الحديد المعتبرضة في فم الفرس من اللجام.

(٣) حاصت: عدلت عن الطريق وحادت.

(٤) الرдах: المرأة العظيمة العجز الثقيلة الأوراك.

آخر لينظر ما صنع صاحبه فرآه صريعاً فصاح به، فتصامم^(١) عنه، فظن أنه لم يسمع فغشيته، فألقى الزمام إليها ثم حمل على الفارس فصرعه وهو يقول:

خَلَّ سَبِيلَ الْحُرَّةِ الْمَنِيْعَةِ إِنَّكَ لَأَقِ دُونَهَا رَبِيْعَةً
فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مُطِيْعَةٍ أَوْ لَا فَخُذْهَا طَعْنَةً سَرِيْعَةً
[الرجز]

فَالطَّعْنُ مِنِّي فِي الْوَعَى شَرِيْعَةً

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا، فانتهى إليهما فرآهما صريعين ونظر إليه يقود ظعينته ويجر رمحه، فقال له الفارس: خَلَّ عَنِ الطَّعْنَةِ، فقال لها ربيعة: أَفْصِدِي قَصْدَ الْبُيُوتِ، ثم أقبل عليه فقال:

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيْمٍ^(٢) عَابِسٍ أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَرَادَاهُمَا عَامِلٌ رُمَحَ يَابِسٍ

[الرجز]

ثم طعنه فصرعه فانكسر رمحه، فارتاب دريد وظن أنهم قد أخذوا الطعينة وقتلوا الرجل، فلحق بهم فوجد ربيعة لا رمح معه، وقد دنا من الحي، ووجد القوم قد قتلوا، فقال له دريد: أيها الفارس إن مثلك لا يُقتل، وإن الخيل ثائرة بأصحابها، ولا أرى معك رمحاً، وأراك حديث السن، فدونك هذا الرمح فأني راجع إلى أصحابي فمضبُط عنك. فأتى دريد أصحابه فقال: إن فارس الطعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي ولا طمع لكم فيه، فانصرف القوم وقال دريد:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِي الطَّعْنَةِ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلِ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً^(٣) ثُمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ
مَتَهَلَّلٌ تَبَدُّوْا أَسْرَةً وَجْهَهُ مِثْلَ الْحُسَامِ جَلَسَتْهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ^(٤)
يُزْجِي ظَعِيْنَتَهُ وَيَسْحَبُ رُمَحَهُ مَتَوَجِّهًا يُؤْمِنَاهُ نَحْوَ الْمَنْزَلِ
وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةِ رُمَحِهِ مِثْلَ الْبُغَاثِ خَشِيْنٍ وَقَعَ الْأَجْدَلِ^(٥)

(١) تصامم: جعل نفسه كالأصم.

(٢) الشتيمة: الكريه الوجه، والأسد العابس.

(٣) نهضة: فرصة.

(٤) الصيقل: شحاذ السيوف وجلأؤها، جمعها صياقل وصياقلة.

(٥) الأجدل: الصقر.

يا ليت شعري من أبوه وأمه
يا صاح من يك مثله لم يُجهل
[الكامل]

فقال ربعة :

إن كان ينفعك اليقين فسائلن
هل هي لأول من أتاهن هزة
إذ قال لي أدنى الفوارس منة
فصرفت راحلة الظعينة نحوه
وهتكت بالرمح الطويل إهابه
ومنحت آخر بعده جياشة
ولقد شفعتهم بأخر ثالث
عني الظعينة يوم وادي الأخرم
لولا طعان ربعة بن مكدّم
خلّ الظعينة طائعاً لا تندم
عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
فهوى صريعاً لليدين وللهم
نجلاء^(١) فاغرة^(٢) كشدق الأضجم^(٣)
وأبى الفرار لي الغداة تكرمي
[الكامل]

قال : فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربعة بن مكدّم أن أغاروا على بني
جشم رهط دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصّمة، فأخفى نسبه، فبينما
هو عندهم محبوس إذ جاء نسوة يتهادين إليه، فصرخت امرأة منهن فقالت : هلكنم
وأهلكتم، ماذا جرّ علينا قومنا؟ هذا والله الذي أعطى ربعة رمحه يوم الظعينة، ثم
ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي،
فسألوه من هو؟ فقال : أنا دريد بن الصّمة فمن صاحبي؟ قالوا : ربعة بن مكدّم، قال :
فما فعل؟ قالوا : قتلته بنو سليم . قال : فمن الظعينة التي كانت معه؟ قالت المرأة :
ريطة بنت جدل الطعان وأنا هي وأنا امرأته، فحبسه القوم وأمروا أنفسهم وقالوا : لا
ينبغي أن تُكفر نعمة دريد على صاحبنا، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا
برضا المخارق الذي أسره، وانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزّي دريداً عن ربعة نعمة
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه
سنجزّيه نُعمى لم تكن بصغيرة
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه
وكل فتى يُجزّى بما كان قدما
وإن كان شراً كان شراً مُدّما
بإعطائه الرمح السديد المُقوماً
وأهل بأن يُجزّى الذي كان أنعما

(١) نجلاء : واسعة طويلة .

(٢) فاغرة : نافذة واسعة .

(٣) الأضجم : المعوج الفم والشفة والشدق والذقن والعنق .

فلا تكفروه حَقَّ نُعْمَاهُ فَيْكُمْ ولا تركبوا تلك التي تَمْلَأُ الفَمَا
فلو كان حيًّا لَمْ يَضِقْ بِثَوَابِهِ ذِرَاعًا غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُعْدِمًا
فَفُكُّوا دَرِيدًا مِنْ إِسَارِ مُخَارِقٍ ولا تجعلوا الْبُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سُلْمًا
[الطويل]

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم فأطلقوه، وكسته رِيْطَةً وَجَهَّزته ولحق بقومه، ولم يزل كافًّا عن غزو بني فِرَاس حتى هلك.

ربيعة وعمر بن معد يكرب:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني محمد بن يعقوب بن أبي مريم العَدَوِيّ البصريّ قال: حدثني محمد الأزدي قال: حدثني أبو البلاد الغطفاني وقبيصة بن ميمون الصادريّ قالا:

سأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عَمَرُ بن معد يكرب الزبيديّ: من أشجع من رأيت؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أَحْيَلِ الناس، وعن أشجع الناس، وعن أجبن الناس، فقال له عمر: هات، قال: خرجت كأحسن ما رأيت، وكانت لي فرس شممقة^(١) طويلة سريعة الإنفاذ، تَمَطَّقُ^(٢) بِالْعَرَقِ، تَمَطَّقُ الشيخ بالمَرَقِ، فركبتها ثم أَلَيْتُ لا أَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلْتَهُ، فخرجت [وهي تتعدّى بي] فإذا أنا بفتى بين عُرْضَيْنِ^(٣) فقلت له: خذ حذرَكَ، فَإِنِّي قَاتِلُكَ، فقال: والله ما أنصفتني يا أبا ثور، أنا كما ترى أعزلُّ أَمِيلُ عَوَّارَةٍ، والعَوَّارَةُ: الَّذِي لَا تُرْسَ مَعَهُ، فَأَنْظِرْنِي حَتَّى آخِذُ نَبْلِي، فقلت: وما غَنَاؤُهَا عَنْكَ؟ قال: أَمْتَنُ بِهَا، قَلْتُ: خذها، قال: لا والله، أو تعطيني من العهود ما يُثْلِجُنِي^(٤) أَنْكَ لَا تُرَوِّعُنِي حَتَّى آخِذها، قال: فَأَثْلِجْتَهُ، فقال: وإله قریش لا آخذها أَبَدًا، فَسَلِمَ وَاللَّهِ مِنِّي وَذَهَبْتُ، فَهَذَا أَحْيَلُ الناس، فمضيت حتى اشتمل عليّ اللَّيْلُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ فِي قَمَرٍ بَاهِرٍ، كالنور الظاهر، إِذَا بَفَتَى عَلَى فَرَسٍ يَقُودُ ظَعِينَةً وَهُوَ يَقُولُ:

يَا لَدَيْنَا يَا لَدَيْنَا لِيَتَنَايَعْدَى عَلَيْنَا
ثُمَّ يُبْلَى مَا لَدَيْنَا

[مجزوء الرمل]

(١) الشممقة: السريعة النشيطة.

(٢) تَمَطَّقُ: تَذَوَّقُ مع إصدار صوت باللسان والغار الأعلى.

(٣) العُرْضُ: هو سفح الجبل. (٤) يثْلِجُنِي: يطمئنني.

ثم يُخرج حَنْظَلَةً من مَخْلَاتِهِ، ثم يرمي بها في السماء فلا تبلغ الأرض حتى يَنْظُمُهَا بِمَشَقِّصٍ من نَبْلِهِ، فَصَحَّتْ به: خذ حذرَكَ ثكلتَكَ أملكُ فإني قاتلك، فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض، فقلت: إن هذا إلاَّ استخفافٌ، فدنوت منه وصحت به: ويلك ما أجْهَلُكَ: فما تَحْلَحَلْ ولا زال عن موضعه، فشككت بالرمح في إهابه فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة. فمضيت وتركته، فهذا أجبنُ الناس ثم مضيت فأصبحت بين دَكَاذِكُ هَرْشَى إلى غزال، فنظرت إلى أبيات، فعدلت إليها، فإذا فيها جَوَارٍ ثلاث كأنهن نجومُ الثريا، فبكين حين رأيَني، فقلت: ما يبكيكن؟ فقلن: لما ابتُلينا به منك، ومن ورائنا أختٌ لنا هي أجملُ منّا، فأشرفت من فدْفِدِ^(١)، فإذا بشخصٍ لم أرَ شيئاً قط أجمل من وجهه، فإذا بغلامٍ يخصِف نعله عليه دُؤَابَةٌ يسحبها، فلما نظر إليّ وثب على الفرس مبادراً، ثم ركض فسبقني إلى البيوت فوجدهن قد ارتعن، فسمعتة يقول لهن: مهلاً نَسِيَّاتِي لَا تَرَوْعَنَ إن يُمنعَ اليومَ نساءً تُمنَعَنَ
أرْخِينِ أذِيالَ المُرُوطِ وَارْتَعَنَ

[الرجز]

قال: فلما دنوت منه قال: أطرُدْني أو أطرُدْكَ؟ قلت: بل أطرُدْكَ، فركض وركضت في أثره، حتى إذا أمكنت السَّنانَ من لِفْتَتِهِ، وَاللَّفْتَةُ أسفلُ من الكتف، اتكأت عليه، فإذا هو واللّه مع لَبِّ فرسه، ثم استوى في سرجه فقلت: أَقْلَنِي، فقال اطرُدْ، فتبعته حتى إذا ظننت أن السنانَ بين ناغِيهِ^(٢) اعتمدت عليه فإذا هو واللّه قائم على الأرض والسَّنانَ زالِج^(٣)، ثم استوى على فرسه فقلت: أَقْلَنِي، قال: اطرُدْ، فطرده حتى إذا أمكنت السنانَ من مَتْنِهِ اتكأت عليه وأنا أظن أنني قد فرغت منه، فمال في سرجه حتى نظرت إلى بدنه في الأرض، ومضى السنانَ زالِجاً، ثم استوى على فرسه وقال: أبعد ثلاث تريد ماذا؟ أطرُدْني ثكلتَكَ أملكُ، فوليت وأنا مرعوب منه، فلما غشيني وجدت مَسَّ السنان، فالتفت فإذا هو يَطْرُدْني بالرمح بلا سنان، فكف عني واستنزلني فنزلت، ونزل واللّه فجَزَّ ناصيتي وقال: انطلق فإني أَنَفْسُ بك عن القتل، فكان ذلك واللّه يا أمير المؤمنين عندي أشدُّ من الموت، فذلك أشجع من رأيت، وسألت عن الفتى فقيل: ربيعُهُ بن مكدم الفِرَاسِيُّ من بني كنانة.

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر، وفيه خلاف للأوّل

(١) فدْفِد: الفلاة، والمكان الصلب الغليظ والمرتفع.

(٢) الناغض: أصل العنق.

(٣) الزالِج: السهم الذي يتزلج عن القوس بسرعة.

قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن موسى الهذلي قال: حدثني سكين بن محمد قال:

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال له: يا أبا ثور، من أين أقبلت؟ قال: من عند سيد بني مخزوم أعظمها هامةً، وأمدّها قامةً وأقلّها ملامّةً، وأفضلها حلماً، وأقدمها سلماً، وأجرئها مُقَدِّماً، قال: ومن هو؟ قال: سيف الله وسيف رسوله، قال: وأي شيء صنعت عنده؟ قال: أتيت زائراً فدعا لي بكعب^(١) وقوس^(٢) وثور^(٣). فقال عمر: وأبيك إن في هذا لشبعاً. قال: لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي ولك، قال أما والله إني لأكل الجذعة^(٤) وأشرب اللبن رثيثة^(٥) وصرفاً^(٦)، فلم تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: أي أحياء قومك خير؟ قال: مدحج وكلّ قد كان فيه خير [شداد فوارسها. فوارس أبطالها] أهل الرباح والرماح، قال عمر: فأين سعد العشيرة؟ قال: هم أشدنا شريساً^(٧). وأكثرنا خميساً^(٨)، وأكرمنا رئيساً، هم الأوفياء البررة، المساعير الفجرة. قال عمر: يا أبا ثور، ألك علم بالسلاح؟ قال: على الخبير سقطت، سل عما بدا لك، قال: أخبرني عن النبل، قال: منايا تُخطئ وتُصيب، قال: فأخبرني عن الرُمح، قال: أخوك وربما خانك، قال: أخبرني عن الثرس، قال: ذاك مجنّ وعليه تدور الدوائر، قال: أخبرني عن الدرع، قال: مشعلة للفارس منعبة للراجل. قال: أخبرني عن السيف قال: عنه قارعتك أمك، فقال له عمر: لا بل أمك، قال له عمرو: لا بل أمك فرفع عمر الدرّة فضرب بها عمراً وكان مُحْتَبِياً^(٩) فأنحلت حَبْوتَه، فاستوى قائماً وأنشأ يقول:

أَتَضْرِبُنِي كَأَنَّكَ ذُو رَعَيْنٍ بِخَيْر مَعِيشَةٍ أَوْ ذُو نَوَاسٍ
فَكَمْ مَلِكٍ كَرِيمٍ قَدْ رَأَيْنَا وَعِزُّ ظَاهِرِ الْجَبْرُوتِ قَاسِي
فَأُضْحَى أَهْلُهُ بَادُوا وَأُضْحَى تَنَقَّلَ مِنْ أَنْاسٍ فِي أَنْاسٍ

[الوافر]

قال: صدقت يا أبا ثور، وقد هدم ذلك كله الإسلام، أقسمت عليك إلا

(١) الكعب: القطعة من السمن.

(٢) القوس: ما يتبقى من التمر في أسفل الحلة.

(٣) الثور: اللبن الجامد.

(٤) الجذعة: الواحدة من الإبل إذا دخلت في سنتها الخامسة.

(٥) الرثيثة: اللبن الحامض يمزج بالحلو.

(٦) الصرف: اللبن الخالص.

(٧) الشريس: الشدة والغلظة.

(٨) الخميس: الجيش.

(٩) مُحْتَبِياً: مشتمل بالرداء.

جلست، فجلس فقال له عمر - رضي الله عنه - : هل كِعتَ^(١) من فارس قط ممن لقيت؟ قال: اعلم يا أمير المؤمنين أنني لم أستحل الكذب في الجاهلية فكيف أستحلّه في الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلي خيل بني زُبيد: أغيروا بنا على بني البكاء، فقالوا: بعيد علينا المغار، فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سَراة، فقال عُمَرُ: وما علمك بأنهم سراة؟ قال: رأيت مَرَاوِدَ خيل كثيرة وقُدُوراً مُثَفَّاءً، وقبابَ أدم، فعرفت أن القوم سراة فكمئْتُ خيلي حَجَرَةً، وجلست في موضع أسمع كلامهم، وإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمة لها فجلست بين صواحب لها، ثم دعت وليدة من ولأئدها فقالت: ادعي فلاناً، فدعت لها رجلاً من الحيّ فقالت له: إن نفسي تحدثني أن خيلاً تُغير على الحيّ، فكيف أنت إن زوجتك نفسي؟ فقال: افعل واصنع، فجعل يصف نفسه فيُفِرط، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي، وأقبلت على صواحباتها فقالت: ما عنده خير، ادعي لي فلاناً، فدعت آخر فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه، فأجابها بنحو جوابه، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيي وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا خير أيضاً، ثم قالت للوليدة: ادعي لي ربيعة بن مكدم، فدعته فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إِنَّ أَعْجَزَ الْعَجَزِ وَصَفُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ، ولكني إن لقيت أَعَذَّرْتُ، وحسبُ المرء غَنَاءً أن يُعَذِّرَ، فقالت له: قد زوجتك نفسي فاحْضُرْ غداً مجلس الحيّ ليعلموا ذلك، فانصرف من عندها. وانتظرتُ حتى ذهب الليل ولاح الفجر، فخرجت من مكمني فركبت فرسي وقلت لخيلى: أغيري، فأغارت وتركتها، وقصدت نحو النسوة ومجلسهن، فكشفت عن خيمة المرأة، فإذا أنا بامرأة تامة، فلما ملأت عينها مني أهوت إلى درعها فشقتة وقالت: واثكلاه، والله ما أبكي على مال ولا على تلاح، ولكن على أخت لي من وراء هذا القَوْزِ^(٢) تبقى بعدي في مثل هذا الغائط فتهلك ضيعةً. وأهوت بيدها إلى قَوْزِ رمل إلى جانبهم. فقلت: هذه غنيمة من وراء غنيمة، فدفعت فرسي حتى أوفيت على الأنقاء^(٣) فإذا أنا برجل جلد نجد^(٤) أهلب^(٥) أغلب يخصف^(٦) نعله، وإلى جانبه فرسه وسلاحه، فلما رأيته رمى بنعله ثم استوى على فرسه وأخذ رمحه ومضى وما يحفل بي، فطفقت أشجره^(٧)

(١) كِعت: جَبُئْتُ.

(٢) القَوْز: الرمل المتراكم العالي، الكثيبة من الرمل.

(٣) الأنقاء: مفردها النقا وهو القطعة من الرمل.

(٤) النجد: الضابط للأمر، الوقور.

(٥) الأهلب: الكثير الشعر.

(٦) يخصف: يخرز نعله أي يصلحها.

(٧) أشجر: أوكز.

بالرمح خَفَقاً^(١) وأقول له: يا هذا استأسِرْ، فمضى ما يحفلُ بي حتى أشرف على الوادي، فلما رأى الخيل تحوي نَعْمَه استعبر باكياً وأنشأ يقول:

قد علمتُ إذ مَنَحْتَنِي فاها أني سَأَحْوِي اليومَ مَنْ حَوَاها
بل ليت شعري اليوم من دهاها

[الرجز]

فأجبتَه فقلت:

عَمَرُوا عَلَى طولِ الوَجَى^(٢) دهاها بالخيـل يحميها على وجاها
حتى إذا حلَّ بها احتواها

[الرجز]

فحمل عليّ وهو يقول:

أَهَنَّ نُضْرُ العِيشِ فِي دارِ نَدَمٍ أفيض دَمْعاً كَلِّمَ فاضِ انْسِجَمٍ
أنا ابنُ عبدِ اللَّهِ محمودِ الشَّيْمِ مُؤْتَمَنُ الغِيبِ وَفِيّ بالذَّمِّمِ
أَكْرَمَ من يمشي بساقٍ وقَدَمِ كالليث إن همَّ بتَقْصَامِ قَصَمِ

[الرجز]

فحملت عليه وأنا أقول:

أنا ابنُ ذي التقلِيدِ في الشهرِ الأصَمِّ أنا ابنُ ذي الأكَالِ قَتَّالِ البُهَمِ
مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كما أودَّتْ إِرَمَ أتركه لَحْماً على ظَهرِ وَضَمِ

[الرجز]

فحمل عليّ وهو يقول:

هذا حَمَى قد غاب عنه ذائِدُهُ أَلَمُوتِ وَزْدُ والأَنَامِ وارِدُهُ

[الرجز]

وحمل عليّ فضربني، فَرُغْتُ وأخطأني، فوقع سيفُه في قَرَبُوسٍ^(٣) السَّرَجِ فقطعه وما تحته حتى هجم على مَنَسِجِ الفرس، ثم ثَنِيَّ بضربة أخرى فَرُغْتُ وأخطأني فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس وصرت راجلاً فقلت له: ويحك من أنت؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقَدِّم عليّ إلا ثلاثة الحارث بن ظالم

(١) الخفق: الضرب الخفيف.

(٢) الوجى: الحفا، أو الألم الذي يصيب حوافر الخيول من كثرة السير.

(٣) قربوس: هو جنو السرج جمعها قرايس.

للْعُجْبِ وَالْحِيَلَاءِ، وَعَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ لِلْسِّنِّ وَالتَّجْرِيبَةِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ لِلْحَدَاثَةِ وَالْغِرَّةِ، فَمَنْ أَنْتَ وَيْلَكَ؟ قَالَ: بَلِ الْوَيْلُ لَكَ فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ، قَالَ: وَأَنَا رَبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ. قُلْتُ: يَا هَذَا إِنِّي قَدْ صَرْتُ رَاجِلاً فَاخْتَرِ مِنِّي إِحْدَى ثَلَاثَ: إِنْ شِئْتَ اجْتَلَدْنَا بِسَيْفِينَا حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَزُ مِنَّا، وَإِنْ شِئْتَ اصْطَرَعْنَا فَأَيْنَا صَرَعَ صَاحِبُهُ حَكَمَ فِيهِ، وَإِنْ شِئْتَ سَأَلَمْتُكَ وَسَأَلَمْتَنِي، قَالَ: فَالْصَّلَحُ إِذَا كَانَ لِقَوْمِكَ فِيكَ حَاجَةٌ، وَمَا بِي أَيْضاً عَلَى قَوْمِي هَوَانٌ، قُلْتُ: فَذَلِكَ لَكَ، وَأَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّى أَتَيْتُ أَصْحَابِي وَقَدْ حَازُوا نَعْمَهُ فَقُلْتُ: هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي كَعْتُ عَنْ فَارَسٍ قَطٌّ مِنَ الْأَبْطَالِ إِذَا لَقِيَتْهُ؟ قَالُوا: نَعِيدُكَ مِنْ ذَلِكَ، قُلْتُ: فَانْظُرُوا هَذَا النِّعَمَ الَّذِي حَزَمْتُمُوهُ فَخَذُوهُ مِنِّي غَدَاً فِي بَنِي زُبَيْدٍ فَإِنَّهُ نَعَمٌ هَذَا الْفَتَى وَوَاللَّهِ لَا يُوصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ وَأَنَا حَيٌّ، فَقَالُوا: لِحَاكَ اللَّهُ مِنْ فَارَسٍ قَوْمِ أَشْقِيئِنَا حَتَّى إِذَا هَجَمْنَا عَلَى الْغَنِيمَةِ الْبَارِدَةِ فَتَأْتِنَا^(١) عَنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْ ذَاكَ وَأَنْ تَهْبُوَهَا لِي وَلِرَبِيعَةَ بْنِ مَكْدَمٍ، فَقَالُوا: وَإِنَّهُ لَهُوَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَردَّوْهَا وَسَأَلَمْتُهُ فَأَمِنَ حَرْبِي وَأَمِنَتْ حَرْبُهُ حَتَّى هَلَكَ.

وفي بعض الأراجيز التي جرت بين عمرو بن معد يكرب وربيعة بن مكدّم غناء وقد جُمع شعراهما معاً في لحن واحد وهو:

صوت

أَنَا ابْنُ ذِي التَّقْلِيدِ فِي الشَّهْرِ الْأَصَمِّ أَنَا ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَتَّالُ الْبُهِمِّ^(٢)
أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ وَقَدَّمَ مَنْ يَلْقَنِي يُودِ كَمَا أُوْدَتْ إِرْمُ
أَتْرَكَهُ لِحِمَاءٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمَّ كَاللِّيثِ إِنْ هَمَّ بِتَقْصَامٍ قَصَمَّ
مَوْتَمَنُ الْغَيْبِ وَفِيَّ بِالْذَمِّ

[الرجز]

ذكر أحمد بن يحيى أن الغناء في هذا الشعر لِحُنَيْنٍ: خفيف ثَقِيلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لَا بِنَ سَرَجِسَ الْمَلَقَّبِ قَرَارِيطَ.

حدثني قُمْرِيَّةُ جَارِيَةُ عَمْرُو بْنِ بَانَةَ أَنَّهَا أَخَذَتْ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْعَلَاءِ هَذَا اللَّحْنَ فَقَالَ: انْظُرِي أَيَّ صَوْتٍ أَخَذْتَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُهُ عَنْ مُخَارِقٍ، فَلَمَّا اسْتَوَى لِي قَالَ

(١) فُتَّتْ: كَفَّتْ.

(٢) الْبُهِمُّ: مفردُهَا الْبُهِمَةُ وَهُوَ الشَّجَاعُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ يُوْتَى.

لي مخارق: انظر أي صوت أخذت، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكي، فلما غنيته الرشيد أطربه فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول، عن الطرسوسي.

عن ابن الأعرابي قال: أجود بيتٍ وصفت به الطعنة قولُ أهبان بن عاديّا قاتل ربيعة بن مكرم حيث يقول:

ولقد طعنْتُ ربيعة بن مكرم يومَ الكديد فخرَّ غير مُوسدٍ
في ناقعٍ شَرِقتُ بما في جوفه منه بأحمر كالعقيق المُجسد^(١)

[الكامل]

صوت

أدركت ما مئيتُ نفسي خالياً لله دُرُك يا ابنة النُعمانِ
إني لحلفك بالصليب مُصدّق والصُّلبُ أصدقُ حلفَةِ الرُّهبانِ
ولقد ردّدتِ على المُغيرةِ ذهنه إنَّ الملوكة بطيئة الإذعانِ

[الكامل]

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفي يقوله في هند بنت النعمان بن المنذر لما خطبها فردته، وخبره في ذلك وغيره يُذكر هاهنا إن شاء الله.

والغناء لحنين ثاني ثقل بالنصر عن الهشامي.

(١) المجسد: الممزوج بالزعران.

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن مُعَتَّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِيٍّ وهو ثقيف. ويكنى أبا عبد الله، وكان يكنى أبا عيسى، فغيّرَها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكناه أبا عبد الله. وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبي عمرو بن طُوَيْلَم بن جُعَيْل بن عمرو بن دُهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وكان المغيرة من ذُهاة العرب وحَزَمَتِها وذوي الرأي منها والحِجَل الثاقبة، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام: مُغيرة الرأي. وكان يقال: ما اعتَلَج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزَمهما.

وصحب النبي ﷺ وشهد معه الحديبية وما بعدها، وبعثه أبو بكر رضوان الله عليه إلى أهل البُحَيْر. وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام. وكان أعور. أصيبت عينه في يوم اليرموك، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، فلما أراد مراسلة رُسُتَم لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعقل، فبعث به إليه، وكان السِّفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب. وولاه عمر - رضي الله عنه - عِدَّة ولايات أحدها البصرة، فَفُتِحَ - وهو واليها - مَيْسَانٌ ودَسْتُمَيْسَانٌ وأَبْرُقْبَادُ. وقاتل الفُرس بالمرعات فهزمهم ونهض إلى من كان بسوق الأهواز فقاتلهم وهزمهم وفتحها، وانحازوا إلى نَهْرٍ تَيْرَى وماذَرَ الكبرى، فزحف إليهم فقاتلهم وخرج إلى المشرق مع النعمان بن مُقَرَّن. وكان المغيرة على ميسرته، وكان عمر قد عهد إن هلك النعمان فالأمير حُذيفة، فإن هلك حذيفة فالأمير المغيرة بن شعبة. ولما فُتحت نَهَاوَنْدُ سار المغيرة في جيش إلى هَمَذَانَ ففتحها، وولاه عمر بعد ذلك الكوفة، فقتل عمر وهو واليها، وولاه إياها معاوية بن أبي سفيان فكان عليها إلى أن مات بها.

وهو أول من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ورَتَّب الناس فيه، فأعطاهم على الديوان، ثم صار رُسْماً لهم بعد ذلك يحتذونه.

قال محمد بن سعد كاتب الواقدي: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني

محمد بن سعيد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفي وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم قالوا:

قال المغيرة بن شعبه كُنَّا قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ مَتَمَسِّكِينَ بِدِينِنَا وَنَحْنُ سَدَنَةُ اللَّاتِ، فَأُرَانِي لَوْ رَأَيْتَ قَوْمًا قَدْ أَسْلَمُوا مَا تَبِعْتَهُمْ، فَأَجْمَعُ نَقَرٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ الْوُفُودَ عَلَى الْمُقَوْسِ وَأَهْدُوا إِلَيْهِ هَدَايَا، فَأَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ مَعَهُمْ، فَاسْتَشَرْتُ عَمِي عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، فَهَنَانِي وَقَالَ لِي: لَيْسَ مَعَكَ مِنْ بَنِي أَبِيكَ أَحَدٌ، فَأَبَيْتُ إِلَّا الْخُرُوجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ وَلَيْسَ مَعَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَحْلَافِ غَيْرِي، حَتَّى دَخَلْنَا الْإِسْكَندَرِيَّةَ إِذَا الْمُقَوْسُ فِي مَجْلَسٍ يُطَلُّ عَلَى الْبَحْرِ، فَرَكِبْتُ قَارِبًا حَتَّى حَازَيْتُ مَجْلِسَهُ، فَنَظَرُ إِلَيَّ فَأَنْكَرَنِي وَأَمَرَ مَنْ يُسَائِلُنِي: مَا أَنَا وَمَا أُرِيدُ؟ فَسَأَلَنِي الْمَأْمُورُ فَأَخْبَرْتَهُ بِأَمْرِنَا وَقُدُومِنَا عَلَيْهِ، فَأَمَرَ بِنَا أَنْ نُنْزَلَ فِي الْكَنِيسَةِ وَأَجْرَى عَلَيْنَا ضِيَاغَةً، ثُمَّ دَعَا بِنَا فَنَظَرَ إِلَى رَأْسِ بَنِي مَالِكٍ فَأَدْنَاهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ: أَكُلُّ الْقَوْمِ مِنْ بَنِي مَالِكٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مِنَ الْأَحْلَافِ، فَعَرَفَهُ إِيَّايَ، فَكُنْتُ أَهْوَى الْقَوْمِ عَلَيْهِ، وَوَضَعُوا هَدَايَاهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ بِقَبْضِهَا وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَازٍ، وَفَضَّلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَقَصَّرَ بِي فَأَعْطَانِي شَيْئًا قَلِيلًا لَا ذِكْرَ لَهُ وَخَرَجْنَا، فَأَقْبَلْتُ بَنُو مَالِكٍ يَشْتَرُونَ هَدَايَا لِأَهْلِيهِمْ وَهُمْ مَسْرُورُونَ وَلَمْ يَعْزُضْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَيَّ مَوَاسَاةً. وَخَرَجُوا وَحَمَلُوا مَعَهُمْ خَمْرًا. فَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهَا وَأَشْرَبَ مَعَهُمْ وَنَفْسِي تَأْبَى أَنْ تَدْعَنِي مَعَهُمْ، وَقُلْتُ: يَنْصَرِفُونَ إِلَى الطَّائِفِ بِمَا أَصَابُوا وَمَا حَبَاهُمْ بِهِ الْمَلِكُ وَيَخْبِرُونَ قَوْمِي بِتَقْصِيرِهِ بِي وَازْدِرَائِهِ إِيَّايَ، فَأَجْمَعْتُ عَلَى قَتْلِهِمْ، فَقُلْتُ: أَنَا أَجْدُ صُدَاعًا. فَوَضَعُوا شَرَابَهُمْ وَدَعَوْنِي فَقُلْتُ: رَأْسِي يُصَدِّعُ، وَلَكِنِّي أَجْلِسُ وَأَسْقِيكُمْ، فَلَمْ يُنْكِرُوا شَيْئًا، وَجَلَسْتُ أَسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ الْقَدَحَ، فَلَمَّا دَبَّتِ الْكَأْسُ فِيهِمْ اشْتَهَوْا الشَّرَابَ فَجَعَلْتُ أَصْرِفُ^(١) لَهُمْ وَأَتْرَعُ^(٢) الْكَأْسَ فَأَهْمَدَتْهُمْ الْكَأْسُ حَتَّى نَامُوا وَمَا يَعْقِلُونَ، فَوُثِّبْتُ إِلَيْهِمْ فَقَتَلْتَهُمْ جَمِيعًا وَأَخَذْتُ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ، فَقَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدْتَهُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَعَلَيَّ ثِيَابُ السَّفَرِ، فَسَلَّمْتُ بِسَلَامِ الْإِسْلَامِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَكَانَ بِي عَارِفًا فَقَالَ: ابْنَ أَخِي عُرْوَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ جِئْتُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِنْ مِصْرَ أَقْبَلْتُمْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ الْمَالِكِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَكَ؟ قُلْتُ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بَعْضُ

(١) أَصْرِفُ: اسْقِيهِم الْخَمْرَ الْخَالِصَ غَيْرَ الْمَمْزُوجِ.

(٢) أَتْرَعُ: أَمْلَأُ.

ما يكون بين العرب ونحن على دين الشُّرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ﷺ لِيَحْمُسَهَا ويرى فيها رأيه فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدق بمحمد ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أما إسلامك فنقبله، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ولا نَحْمُسُهَا لأن هذا عَدْرٌ والغدر لا خير فيه». فأخذني ما قرب وما بُعد، فقلت: يا رسول الله إنما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة: فقال: إنَّ الإسلام يُجِبُّ ما كان قبله، وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً، فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن يحمل عمي عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية. قال المغيرة: وأقيمت مع النبي ﷺ حتى اعتمر عُمرَةُ الحُدَيْبِيَّةِ في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، فكانت أولَ سَفَرَةٍ خرجت معه فيها، وكنت أكون مع أبي بكر - رضي الله عنه -، وألزم النبي ﷺ فيمن يلزم، وبعثت قريشَ عامَ الحُدَيْبِيَّةِ عروة بن مسعود إلى النبي ﷺ، فأتاه فكلمه وجعل يمس لحية رسول الله ﷺ. وأنا قائم على رأسه ﷺ - مقنّع في الحديد - فقلت لعروة وهو يمس لحية رسول الله ﷺ: اكفف يدك قبل أن لا تصل إليك، فقال عروة: يا محمد من هذا؟ فما أفضّه وأغلظه، فقال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، فقال عروة: يا عدو الله ما غسلت عني سِوَأَكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ يا عَدْر.

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا أحمد بن الهيثم الفِرَاسِي قال: حدثنا العُمَرِيُّ، عن الهيثم بن عديّ، عن مجالد، عن الشعبي قال:

قال المغيرة بن شعبة: أول ما عرفتني به العرب من الحزم والدَّهَاءِ أني كنت في ركب من قومي في طريق لنا إلى الحيرة فقالوا لي: قد اشتهينا الخمرة، وما معنا إلا درهم زائف، فقلت: هاتوه وهَلُمُّوا^(١) زَقَيْنَ، فقالوا: وما يكفيك بدرهم واحد زائف زِقٌّ واحد؟ قلت: أعطوني ما طلبت وخَلَاكُمْ ذَمٌّ، ففعلوا وهم يهزؤون من قولي، فصببت في أحد الزقين شيئاً من ماء ثم جئت إلى خمار بالحيرة فقلت له: كِلْ^(٢) لي مِلءَ هذا الزق. فملاًه، فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته إياه، فقال لي: ما هذا ويحك أمجنون أنت؟ فقلت: ما لك؟ فقال: إن ثمن هذا الزق عشرون درهماً جيداً، وهذا درهم زائف، فقلت له: أنا رجل بدويّ وظننت أن هذا يصلح فإن صلح وإلاّ فخذ شرابك، فاكتال مني ما كاله وبقي في زَقِيّ من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء، فأفرغته في الزق الآخر وحملتُهما على ظهري وخرجت، فصببت في الزق الأول ماء

(١) الزَقُّ: الجلد الذي يُجَزُّ ولا يتنف للشراب وغيره جمعها الأزقاق والزقاق والزقان.

(٢) كِلْ: زن.

ودخلت إلى خمار آخر فقلت إنني أريد ملء هذا الزق خمرًا، فانظر إلى ما معي منه، فإن كان عندك مثله فأعطني فنظر إليه، وإنما أردت أن لا يستريب بي إذا رَدَدَت الخمر عليه، فلما رآه قال: عندي أجود منه، قلت: هات، فأخرج إليّ شراباً فاكتلته في الزق الذي فيه الماء، ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لي مثل قول صاحبه، فقلت: خذ خمرك، فأخذ ما كان لي وهو يرى أنني خلطته بالشراب الذي أريته إياه، وخرجت فجعلته مع الخمر الأول، ثم لم أزل أفعل ذلك بكل خمار في الحيرة حتى ملأت زقي الأول وبعض الآخر، ثم رجعت إلى أصحابي فوضعت الزقين بين أيديهم ورددت درهمهم، فقالوا: ويحك أي شيء صنعت؟ فحدثتهم، فجعلوا يعجبون، وشاع لي الذكر في العرب بالدهاء حتى اليوم.

أول من خضب بالسواد:

وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن معاوية التَّيسَابُوري قال: حدثنا داود بن خالد، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس قال:

أول من خضب السواد المغيرة بن شعبة، خرج على الناس وكان عهدهم به أبيضَ الشعر، فعجب الناس منه.

قال محمد: وأخبرني شهاب بن عبَّاد قال: حدثنا إبراهيم بن حميد الرُّوَاسِيُّ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم.

عن المغيرة بن شعبة قال: كنت جالساً عند أبي بكر - رضي الله عنه - إذ عُرض عليه فرس له، فقال له رجل من الأنصار: احملني عليها، فقال أبو بكر: لأنَّ أحمل غلاماً قد ركب الخيل أحبُّ إليَّ من أن أحملك عليها، فقال له الأنصاري: أنا خير منك ومن أبيك. قال المغيرة: فغضبت لَمَّا قال ذلك لأبي بكر - رضي الله عنه -، فقامت إليه فأخذت برأسه فركبته وسقط على أنفه، فكأنما كان عِدْلِي مَزَادَة، فتوعدني الأنصار أن يَسْتَقِيدُوا مني، فبلغ ذلك أبا بكر - رضي الله عنه - فقام فقال: إنه بلغني عن رجل زعموا أنني مُقِيدُهُم من المغيرة، ووالله لأن أخرجهم من ديارهم أقرب إليهم من أن أقيدهم وَرَعَة الله الذين يَزْعُونَ إليه.

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشَّيْعِي وحبیب بن نصر المهلبی قالَا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن سلام الجُمَحِيُّ قال: حدثنا حسان بن أبي العلاء الرِّياحي، عن أبيه، عن الشَّعْبِيِّ قال:

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر، وهي بدير هند متنصرة

عمياء بنت تسعين سنة، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة، قالت: أنت عامل هذه المدرة؟ تعني الكوفة قال: نعم، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً إليك نفسك، فقالت: أما والله لو كنت جئت تبغي جمالاً أو ديناً أو حسباً لتزوجناك ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر، وهذا الصليب أمر لا يكون أبداً، أو ما يكفيك فخراً أن تكون في ملك النعمان وبلاده تدبرها كما تريد، وبكت، فقال لها: أي العرب كان أحب إلى أبيك؟ قالت: ربيعة، قال: فأين كان يجعل قيساً؟ قال: بحيث كان يراهم من طاعته، قال: فأين كان يجعل ثقيفاً؟ قالت: رويدك لا تعجل، بينا أنا ذات يوم جالسة في خدر لي إلى جنب أبي إذ دخل عليه رجلان: أحدهما من هوازن والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول: إن ثقيفاً منا فأنشأ أبي يقول:

إن ثقيفاً لم تكن هوازننا ولم تناسب عامراً ومازنا
إلا قريباً فانشروا المحاسنا

[الرجز]

فخرج المغيرة وهو يقول:

أذركت ما مئيت نفسي خالياً لله دُرُك يا ابنة النُعمان
[الكامل]

وذكر الأبيات التي مضت وذكرت الغناء فيها.

أخبرني محمد بن خلف قال: أخبرني الحارث بن محمد قال: قال أبو عبيدة قال العلاء بن جرير العنبري:

بينما حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخيف من منى وهو مكفوف^(١) إذ زفر زفرة ثم أنشأ يقول:

وكأن حافرهما بكل خميلة صاع يكيل به شحیح مُعْدِم
عاري الأشاجع من ثقيف أصله عبْدٌ ويزعم أنه مَنْ يَفْدُم
[الكامل]

قال: والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم، فلما أتاه بها الرسول قال: من بعث بهذه؟ قال: المغيرة بن شعبة سمع ما قلت، فقال: واسوأته. وقبّلها.

(١) مكفوف: أعمى.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى العتكي قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال:

أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة، فيهن ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص وهي أم ابنه حمزة بن المغيرة، وعائشة بنت جرير بن عبد الله.

وقال أبو اليقظان: صلى المغيرة بن شعبة بالناس سنة أربعين في العام الذي مات فيه علي بن أبي طالب عليه السلام، فجعل يوم الأضحى يوم عرفة وأظنه خاف أن يُعزل لسبق ذلك، فقال الراجز:

سيري رويداً وابتغي المغيرة
كلفتها الإدلاج بالظهيره
[الرجز]

قال: وكان المغيرة مطلقاً، فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكني رجل مطلق، فاعتدذن.

أقسام النساء:

وكان يقول: النساء أربع، والرجال أربعة: رجل مُدَّكر وامرأة مُؤنثة فهو قوام عليها، ورجل مؤنث وامرأة مذكورة فهي قوامه عليه، ورجل مذكر وامرأة مذكورة فهما كالوعلين ينتطحان، ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يتأتیان بخير ولا يفلحان.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الأصمعي قال: حدثنا أبو هلال عن مطير الوراق قال:

قال المغيرة بن شعبة: نكحت تسعاً وثمانين امرأة أو قال: أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت امرأة منهن على حُبٍّ، أمسكها لولدها ولحسنها، ولكذا وكذا، قال أبو زيد: وبلغني أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة فقال: أنا أعلمكم بهنَّ، تزوجت ثلاثاً وتسعين امرأة، منهن سبعون بكرة، فوجدت اليمانية كثوبك، أخذت بجانبه فاتبعك بقيته، ووجدت الربيعية أمتك، أمرتها فأطاعتك، ووجدت المضربية قرناً إن ساورتَه غلبته أو غلبك.

حدثنا ابن عمار قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم قال:

رأى المغيرة امرأة له تَحَلَّلُ بعد صلاة الصبح فطلقها، فقالت: عَلَامَ طَلَّقَنِي؟ قيل: رَأَاكَ تَحَلَّلِينَ فظن أنك أكلتِ، فقالت: أبعدهُ اللهُ والله ما أتخلل إلا من السواك.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن زيد بن أسلم.

أن رجلاً جاء فنأدى يستأذن لأبي عيسى على أمير المؤمنين، فقال عمر - رضي الله عنه -: أيكم أبو عيسى؟ قال المغيرة بن شعبة: أنا، فقال له عمر هل لعيسى من أب؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبي عبد الله وأبي عبد الرحمن؟ فقال له رجل من القوم: أشهد أن النبي ﷺ كناه بها، فقال له عمر: إن النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنا لا أدري ما يفعل بي. فكناه أبا عبد الله.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثني أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: وحدثني عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ قال: كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة، وجريز بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وحجر بن عدي، وكلهم كان أعور، وكان المغيرة والأشعث وجريز يوماً متواقفين بالكُناسة، فطلع عليهم أعرابي فقال لهم المغيرة: دعوني أحرّكه، قالوا: لا تفعل فإن للأعراب جواباً يؤثّر، قال: لا بد، قالوا: فأنت أعلم، قال له: يا أعرابي هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه زانياً، فوجم^(١) ثم تجلّد^(٢) فقال: هل تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم أعرفه، ذاك رجل لا يعرى قومه، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك. قال: فهل تعرف جريز بن عبد الله؟ قال: وكيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عرفت عشيرته. قالوا له: قبّحك الله فإنك شرّ جليس، فهل تحب أن يؤقرّ بعيرك هذا مالا وتموت أكرم العرب؟ قال: فمن يبلّغه أهلي إذن. فانصرفوا عنه وتركوه.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثني أبو سعيد السكري قال: حدثنا محمد بن أبي السري - واسم أبي السري سهل بن سلام الأزدي - قال: حدثني هشام بن محمد قال: أخبرنا عوانة بن الحكم قال:

خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذٍ ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بعد غب مطر يسير في ظهر الكوفة والحواف فلقي ابن لسان الحمرة أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة، فقال له المغيرة: من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال من السماوة، قال: كيف تركت الأرض خلفك؟ قال عريضة أريضة. قال: وكيف كان المطر؟ قال: عقى الأثر، وملاً الحفر، قال: ممن أنت؟ قال: من بكر بن وائل،

(١) وجم: سكت على غيظ.

(٢) تجلّد: تكلف.

قال: كيف علمك بهم؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم، قال: فما تقول في بني شيبان؟ قال: سادتنا وسادةً غيرنا، قال: فما تقول في بني دُهل؟ قال: سادة نوكى، قال: فقيس بن ثعلبة؟ قال: إن جاورتهم سرقوك، وإن اتّمتهم خانوك. قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاغ النَّقْد^(١) وعراقيب^(٢) الكلاب. قال: فما تقول في بني يَشْكُر؟ قال: صريح تحسبه مولى بمنظره، قال هشام: لأن في ألوانهم حُمرة، قال فَعِجْل؟ قال: أحلاس الخيل، قال: فحَنيفة؟ قال: يطعمون الطعام، ويضربون الهام^(٣)، قال: فَعَنْزَة؟ قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً، قال: فَضْبَيْعَة أضجم؟ قال: جَدْعاً وَعَقْراً، قال: فأخبرني عن النساء، قال: النساء أربع: ربيع مربع، وجميع يجمع، وشيطان سَمَمَع^(٤)، وغل لا يخلع، قال: فَسْر، قال: أما الربيع المربع فالتى إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك. وأما التى هي جميع يجمع فالمرأة تنزوجها ولها نسب فتجمع نسبك إلى نسبها وأما الشيطان السَمَمَع فالكالحة في وجهك إذا دخلت، والمولولة في إثرك إذا خرجت، وأما الغل الذى لا يخلع فبنت عمك السوداء القصيرة الفوهاء^(٥) الدَمِيمَة^(٦) التى قد نثرت لك بطنها، إن طَلَّقْتها ضاع ولدك، وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك. فقال له المغيرة: بل أنفك ثم قال له: ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة؟ قال أعور زَنَاء، فقال الهيثم: فضّ الله فاك، ويلك هذا الأمير المغيرة، فقال: إنها كلمة والله يقال، فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستون أو سبعون أمة فقال له: ويحك هل يزني الحُرّ وعنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهن المغيرة: ارمين إليه بحليكن ففعلن، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة.

أخبرني عبيد الله بن محمد قال: حدثنا الخزاز، عن المدائني، عن أبي مِخْنَف، وأخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال: حدثنا الحسين بن نصر قال: حدثني أبي نُصْر بن مزاحم قال: حدثنا عمر بن سعد عن أبي مِخْنَف عن رجاله.

أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اكتب إلى معاوية فوالله الشام ومُرّه بأخذ البيعة لك، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك. فقال

(١) النَّقْد: الرعاغ من الناس والسفلة.

(٢) العراقيب: مفردها العرقوب، وهو من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

(٣) الهام: مفردها الهامة، وهي رأس كل شيء.

(٤) سممع: صغير الرأس واللحية، وهو الداھية أيضاً.

(٥) الفوهاء: الواسعة الفم.

(٦) الدميمة: الحقيرة.

عليّ عليه السلام: ما كنت مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصِداً. فانصرف المغيرة وتركه، فلما كان من غد جاءه فقال: إني فكرت فيما أشرتُ به عليك أمس فوجدته خطأ ووجدت رأيك أصوب، فقال له عليّ: لم يَخَفْ عليّ ما أردت، قد نصحتني في الأولى وغششتني في الآخرة، ولكنني والله لا آتي أمراً أجِد فيه فساداً لديني طلباً لصلاح دنيائي. فانصرف المغيرة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني إبراهيم بن سعيد بن شاهين قال: حدثني عبد الله قال: حدثني محمد بن يونس الشيرازي قال: حدثني محمد بن غسان الضبي قال: حدثني زاجر بن عبد الله الثقفي مولى الحجاج بن يوسف قال:

كان بين المغيرة بن شعبة وبين مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع، فتضرع له المغيرة وتواضع في كلامه حتى طمع فيه مصقلة واستعلى عليه فشمته وقذفه، فقَدَّمه المغيرة إلى شريح وهو القاضي يومئذ وأقام عليه البيعة، فضربه الحد، فألى مصقلة أن لا يُقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حياً، وخرج إلى بادية بني شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة، ثم دخل الكوفة فتلقاه قومه وسلّموا عليه، فما فرغ من التسليم حتى سأله عن مقابر ثقيف، فأرشدوه إليها، فجعل قوم من مواليه يلتقطون الحجارة فقال: ما هذا؟ قالوا، ظننا أنك تريد أن ترجم قبره، فقال: ألقوا ما في أيديكم، فألقوه، وانطلق حتى وقف على قبره ثم قال: والله لقد كنت ما علمتُ نافعاً لصديقك، ضائراً لعدوك، وما مثلك إلا كما قال مُهَلْهَل في أخيه كليب:

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْماً وَعِزْماً وَخَصِيماً^(١) أَلَدَا مِعْلَاقٍ^(٢)
حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَزْبَدَ لَا يَنْفَعُ فَعَمِيهِ السَّلِيمَ نَفْثُ الرَّاقِي
[الخفيف]

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان، عن أحمد بن القاسم، عن العُمري عن الهيثم، عن مجالد عن السَّعْبِي.

أن مصقلة قال له: والله إني لأعرف شبيهي في عروة ابنك، فأشهد عليه بذلك وجلده الحد. وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

أخبرني محمد بن عبد الله الرّازي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني عن مسلمة بن محارب قال:

(١) الخصيم: المخاصم جمعها خصماء وخصمان.

(٢) المعلاق: اللسان وكل ما علق به.

قال: رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر فتحفظه بعد وفاته وتخلّفه في أهله؟ فقال عمر: بلى إني لأحب ذاك، فإذهب إلى عائشة فاذكر ذلك لها وعُدْ إليّ بجوابها، فمضى الرسول إلى عائشة فأخبرها ما قال عمر، فأجابته إلى ذلك وقالت: نعم وكرامة، ودخل عليها بعقب ذلك المغيرة بن شعبة فرآها مهمومة فقال لها: ما لك يا أم المؤمنين؟ فأخبرته برسالة عمر وقالت: إنّ هذه جاريةٌ حَدَثَةٌ وأردتُ لها أَلَيْنَ عيشاً من عمر، فقال لها: عليّ أن أكفيك، وخرج من عندها فدخل على عمر فقال: بالرّفاء والبنين، قد بلغني ما أتيتك من صِلَةِ أبي بكر في أهله وخِطْبَتِك أُمّ كلثوم، فقال: قد كان ذاك، قال: إلا أنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك، وهذه صبية حديثة السنّ فلا تزال تُنكر عليها الشيء فتضربها فتصيح يا أبتاه فيغمك ذلك، وتتألم له عائشة ويتذكّرون أبا بكر فيكون عليه، فتجدد لهم المصيبة مع قرب عهدها في كل يوم، فقال له: متى كنت عند عائشة وأصدقني؟ فقال: آنفاً، فقال عمر: أشهد أنهم كرهوني فتضمّنت لهم أن تصرفني عما طلبتُ، وقد أعفيتهم، فعاد إلى عائشة فأخبرها بالخبر، وأمسك عمر عن معاودتها.

قصة اتهامه بامرأة:

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عليّ بن محمد عن سليمان الباقلانيّ، عن قتادة، عن غنيم بن قيس قال:

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرقطاء، فلقيه أبو بكره فقال له: أين تريد؟ قال: أزور آل فلان، فأخذ بتلابيبه وقال: إن الأمير يُزار ولا يزور.

وحدثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر - رضي الله عنه - أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز قالوا: حدثنا عمر بن شبة، فرواه عن جماعة من رجاله بحكايات متفرقة [فذكرت أسانيدنا أجمع هاهنا، وجمعت ما تفرق من الحكايات] قال عمر بن شبة: حدثني أبو بكر العَلَمِيُّ قال: أخبرنا هشام عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن، عن أبيه، عن أبي بكره، قال عمر بن شبة وحدثنا أيضاً عمرو بن عاصم قال: حدثني حماد بن سلمة، عن علي بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكره. قال أبو زيد عمر بن شبة [وحدثنا علي بن محمد عن حبان بن موسى عن مجالد عن الشعبي، قال]: وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري

قال: حدثنا عوف، عن قَسَّامة بن زُهَيْر، قال أبو زيد عمر بن شبة: قال الواقدي حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان.

قال: وحدثني علي بن أبي هاشم، عن إسماعيل بن أبي عبله عن عبد العزيز بن صُهَيْب، عن أنس بن مالك.

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، وكان أبو بكره يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول له: آتي حاجة. فيقول له: حاجة ماذا؟ إن الأمير يُزار ولا يزور، قال: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكره. قال: فبينما أبو بكره في غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزيد ورجل آخر يقال له شبل بن مَعبد وكانت غرفة جاريته تلك بحذاء غرفة أبي بكره، فضربت الريح باب غرفة المرأة ففتحته، فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها، فقال أبو بكره: هذه بليّة ابئلتيم بها فانظروا، فنظروا حتى أثبتوا، فنزل أبو بكره حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة فقال له: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا، قال: وذهب ليصلي بالناس الظهر فمنعه أبو بكره وقال له: واللّه لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت، فقال الناس: دعوه فليصل فإنه الأمير واكتبوا بذلكم إلى عمر، فكتبوا إليه، فورد كتابه بأن يقدموا عليه جميعاً، المغيرة والشهود، وقال المدائني في حديثه عن حبان بن موسى: وبعث عمر بأبي موسى الأشعري على البصرة، وعزم عليه أن لا يضع كتابه عن يده حتى يُرَجِّل المغيرة بن شعبة، قال علي بن أبي هشام في حديثه: إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يُرحله من وقته: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين، تتركه يتجهز ثلاثاً ثم يخرج، قال: فصلينا صلاة الغداة بظهر المُرَبَّد ودخلنا المسجد، فإذا هم يصلون: الرجال والنساء مختلطين، فدخل رجل على المغيرة فقال له: إني رأيت أبا موسى في جانب المسجد عليه بُرنس، فقال له المغيرة: ما جاء زائراً ولا تاجراً، فدخلنا عليه ومعه صحيفة مثل هذه؛ فلما رأنا قال: أمير؟ فأعطاه أبو موسى الأمير الكتاب، فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره فقال له أبو موسى: مكانك تجهّز ثلاثاً، وقال آخرون: إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته، فقال له المغيرة: لقد علمت ما وُجِّهت له فألاً تقدمت فصليت، فقال له أبو موسى: ما أنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء، فقال له المغيرة: فإنني أحب أن أقيم ثلاثاً لأتجهّز، فقال: قد عزم عليّ أمير المؤمنين أن لا أضع عهدي من يدي إذا قرأته عليك حتى أرُحِّلك إليه، قال: إن شئت شفّعني وأبررت قسم أمير المؤمنين، قال: فكيف؟ قال: تؤجلني إلى الظهر وتمسك الكتاب في يدك، قال:

فلقد رُئي أبو موسى يمشي مقبلاً ومدبراً وإن الكتاب لفي يده معلّق بخيط، فتجهز المغيرة، وبعث إلى أبي موسى بعقيلة جارية عربية من سبئي اليمامة من بني حنيفة، ويقال: إنها مولدة الطائف ومعهما خادم لها. وسار المغيرة حين صلى الظهر حتى قدم على عمر - رضي الله عنه - . قال في حديث محمد بن عبد الله الأنصاري: فلما قدم على عمر قال له: إنه قد شهد عليك بأمرٍ إن كان حقاً لأن تكون ميت قبل ذلك كان خيراً لك.

قال أبو زيد: وحدثني الحَكَمُ بن موسى قال: حدثنا يحيى بن حمزة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري عن مصعب بن سعد.

أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جلس ودعا بالمغيرة والشهود، فتقدم أبو بكر فقال له: رأيته بين فخذيهما؟ قال: نعم والله لكأنني أنظر إلى تَشْرِيمِ جُدْرِي بفخذيها، فقال له المغيرة: لقد ألفت النظر، فقال له: ألم أك قد أثبت ما يخزيك الله به؟ فقال له عمر: لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرْوَدُ في المكحلة، فقال: نعم أشهد على ذلك، فقال له: اذهب عنك مغيرة، ذهب ربعك، ثم دعا نافعاً فقال له: علام تشهد؟ قال: على مثل شهادة أبي بكر. قال: لا حتى تشهد أنه يلج فيه ولوج المروود في المكحلة.

فقال: نعم حتى بلغ قُدْذَه، فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نصفك، ثم دعا الثالث فقال: علام تشهد؟ فقال: على مثل شهادة صاحبي، فقال له علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : اذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك، قال: حتى مكث يبكي إلى المهاجرين فبكوا، وبكى إلى أمهات المؤمنين حتى بكين معه، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة، قال: ثم كتب إلى زياد فقدم على عمر، فلما رآه جلس له في المسجد، واجتمع له رؤوس المهاجرين والأنصار، قال المغيرة: ومعي كلمة قد رفعتها لأكلم القوم، قال: فلما رآه عمر مقبلاً قال: إني لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين.

قال أبو زيد: وحدثنا عفان قال: حدثنا السري بن يحيى قال: حدثنا عبد الكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهدي قال:

لما شهد عند عمر الشاهد الأول على المغيرة تغير لذلك لون عمر، ثم جاء آخر فشهد فانكسر لذلك انكساراً شديداً، ثم جاء رجل شاب يخطر بين يديه، فرفع عمر

رأسه إليه وقال له: ما عندك يا سَلَحَ العُقَاب - وصاح أبو عثمان صيحةً تحكي صيحة عمر - قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى عليّ. وقال الآخرون قال المغيرة: فقلت إلى زياد فقلت: لا مخبأ لعِطَر بعد عروس، ثم قمت فقلت: يا زياد اذكر الله واذكر موقفك يوم القيامة فإن الله وكتابه ورسله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمي إلا أن تتجاوز إلى ما لم تر [ما رأيت، فلا يحملك شرّ منظر رأيتَه على أن تتجاوز إلى ما لم] تر، فوالله لو كنتَ بين بطني ووطنها ما رأيتَ أين سلكَ دَكرِي منها، قال فبرقت عيناه واحمرّ وجهه وقال: يا أمير المؤمنين: أمّا أنْ أُحَقِّ ما حَقَّ القومُ فليس ذلك عندي، ولكنني رأيتَ مجلساً قبيحاً، وسمعت نفساً حثيثاً وانبهاراً، ورأيتَ متبطّنها، فقال له: رأيته يدخله كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. وقال غيرُ هؤلاء: إن زياداً قال له: رأيته يدخله كالميل في المكحلة؟ فقال: لا. وقال غيرُ هؤلاء: إن زياداً قال له: رأيته رافعاً برجليها، ورأيتَ خصيتيه تتردّدان بين فخذيها، ورأيتَ حفراً شديداً وسمعت نفساً عالياً، فقال له: رأيته يُدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ فقال: لا، فقال عمر: الله أكبر، قم إليهم فاضربهم، فقام إلى أبي بكرة فضربه ثمانين، وضرب الباقيين، وأعجبه قولُ زياد، ودرأ عن المغيرة الرجم فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب: فإني أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا، فهمّ عمر يضربه، فقال له عليّ عليه السلام: إن ضربته رَجُمْتَ صاحبك، ونهاه عن ذلك، قال: يعني أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين فوجب بذلك الرّجْم على المغيرة.

قال: واستتاب عمر أبا بكرة، فقال: إنما تستتيني لتُقبَلَ شهادتي. قال: أجل، قال: لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا. قال: فلما ضُربوا الحدّ قال المغيرة: الله أكبر، الحمد لله الذي أخزاكم، فقال له عمر: اسكت، أخزى الله مكاناً رأوك فيه، قال: وأقام أبو بكرة على قوله، وكان يقول: والله ما أنسى رَقَطَ فخذيها، قال: وتاب الاثنان فقبلت شهادتهما، قال: وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا دُعي إلى شهادة يقول: اطلب غيري فإن زياداً قد أفسد عليّ شهادتي.

قال أبو زيد: وحدثني سليمان بن داود بن علي قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده قال:

لما ضُرب أبو بكرة أمرت أمّه بشاةٍ فذُبَحَتْ وجَعَلَتْ جلدُها على ظهره، قال: فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

حدثنا ابن عمار والجوهريُّ قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد عن يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبي قال:

كانت أم جميل بنت عمرو التي رُمي بها المغيرة بن شعبة بالكوفة تختلف إلى المغيرة في حوائجها فيقضيها لها، قال: ووافقت عمرَ بالموسم والمغيرة هناك، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: نعم هذه أم كلثوم بنت عليّ فقال له عمر: أتتجاهل عليّ؟ والله ما أظن أبا بكره كذب عليك، وما رأيته إلا خفت أن أرمي بحجارة من السماء.

حدثني أحمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن عباد قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي جعفر قال:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لئن لم ينه المغيرة لأتبعه أحجاره، وقال غيره: لئن أحدث المغيرة لأتبعه أحجاره.

أخبرني ابن عمار والجوهرى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا المدائني قال:

قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصة:

لو أن اللوم يُنسب كان عبداً قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركت الدين والإسلام لماً بدت لك غدوة ذات النصيف
وراجعت الصبا وذكرت لهواً من القينات والقمر اللطيف
[الوافر]

أخبرني الجوهرى وابن عمار قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني المدائني، عن عبد الله بن سلم الفهري قال:

لما شخّص المغيرة إلى عمر رأى في طريقه جارية فأعجبته فخطبها إلى أبيها فقال له: أنت على هذه الحال؟ قال: وما عليك أن أعفّ فهو الذي نريد، وإن أقتل ترثني، فزوجه، قال أبو زيد: قال الواقدي: تزوجها بالرقم^(١) وهي امرأة من بني مُرة، فلما قدم بها على عمر قال له: إنك لفارغ القلب طويل السبق^(٢).

وقال محمد بن سعد: أخبرني محمد بن عبد الله الأسدي قال: حدثنا مسعر عن زياد بن علاقة قال:

سمعت جرير بن عبد الله الأسدي حين مات المغيرة بن شعبة يقول: استغفروا لأمركم هذا فإنه كان يحب العافية، قال:

(١) الرقم: موضع بالمدينة ومنه السهام الرميّات.

(٢) السبق: شدة العُلْمَة.

وكان المغيرة أصهب^(١) الشعر جداً أكشف^(٢) بفرق رأسه قرون أربعة أقلص الشفتين مهتوماً^(٣)، ضخم الهامة عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين. قال: وقال الواقدي: حدثني محمد بن أبي موسى الثقفي عن أبيه قال: مات المغيرة بن شعبة بالكوفة في سنة خمسين في خلافة معاوية وهو ابن سبعين سنة، وكان رجلاً طوالاً أصيبت عينه يوم اليرموك.

صوت

جَنِيَّةٌ أُولَهَا جَنْ يَعْلَمُهَا رَمِيَ الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَالَهَا وَتَرُ
إِنْ كَانَ ذَا قَدْرًا يُعْطِيكَ نَافِلَةً مَنَا وَيَحْرَمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدْرُ
[البسيط]

الشعر لمحمد بن بشير الخارجي، والغناء لإبراهيم هزج بالبنصر عن الهشامي.

(١) الأصهب: الأشقر.

(٢) الأكشف: الذي انحسر مقدّم رأسه وكُشِفَ.

(٣) المهتوم: المكسور الثنايا من أصولها.

أخبار محمد بن بشير ونسبه

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عَقِيل بن أسعد بن حبيب بن سَيَّار بن عدي بن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدَوَان الخارجي من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن عوف بن قيس عيلان بن مضر [ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة نُسبا إلى أمهما جديلة بنت مُرّ بن أَد بن طابخة بن إلياس بن مُضر] ويكنى محمد بن بشير أبا سليمان، شاعر فصيح حجازي مطبوع من شعراء الدولة الأموية، وكان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَةَ القُرَشِيّ أحد بني أسد بن عبد العزى، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن لأُمهم هند بنت أبي عبيدة، ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى، وكان لمحمد بن بشير فيه مدائح ومراثٍ مختارة هي عيون شعره، وكان يَبْدُو في أكثر زمانه ويقيم في بوادي المدينة فلا يكاد يحضر مع الناس.

أخبرني بقطعة من أخباره الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثني مصعب الزبيري، قال أحمد: وحدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني سليمان بن عيَّاش السعدي وعمي مصعب. وحدثني قطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق، عن الزبير، عن سليمان بن عيَّاش، وقد ذكرت كل ذلك في مواضعه قال ابن أبي خَيْشَمَةَ في روايته عن مصعب وعن الزبير عن سليمان بن عيَّاش:

كان الخارجي واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عَقِيل بن سعد بن حبيب بن سَيَّار بن عدي بن عوف بن بكر شاعراً فصيحاً، ويكنى أبا سليمان، فقدم البصرة في طلب ميراث له، فخطب عائشة بنت يحيى بن يَعْمَر الخارجيَّة من عَدَوَان فأبت أن تتزوجه إلا بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز أو يكون أمرها في الفرقة إليها، فأبى أن يفعل ذلك وقال:

أَرِقَ الْحَزِينُ وَعَادَهُ سُهْهُدُهُ	لَطَوَارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرِدُهُ
وَذَكَرْتُ مَنْ لَانَتْ لَهُ كَبِيدِي	فَأَبَى فَلَيْسَ تَلِينُ لِي كَبِيدُهُ
وَأَبَى فَلَيْسَ بِنَازِلٍ بِلَدِي	أَبْدَأُ وَلَيْسَ بِمُصْلِحِي بَلَدُهُ
فَصَدَعْتُ - حِينَ أَبَى - مَوَدَّتَهُ	صَدَعْتُ الزَّجَاجَةَ دَائِمَ أَبْدُهُ

وعرفتُ أن الطَّيْرَ قد صدقتُ يوم الكُدَايةَ شرَّ ما تعدُّه
فاصبرْ فإنَّ لكل ذي أَجَلٍ يوماً يجيء فينقضي عَدُّه
ماذا تعاتب من زمانك إذ ظعن الحبيب وحلَّ بي كَمْدُه

[الكامل]

قالا: وخاطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك فقال له: إنها امرأة بَرَزَةٌ^(١) عاقلة ولا يُفْتَاتُ على مثلها بأمرها، وما عنك من رغبة، ولكنها امرأة في خُلُقها شَدَّةٌ ولها غَيْرَةٌ، وقد بلغني أن لك زوجتين وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما فانظر في أمرك وشاور فيه، فإما أن أقمت بالبصرة معها فعفَّتْ لك عن صاحبتيك إذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عِشْرَةٌ، وإن شئت ففارقهما وأخرجها معك. فصار إلى رَحْله مغموماً، وشاور ابنَ عمِّ له يقال له وَرَّادُ بْنُ عَمْرِو في ذلك، فقال له: إنَّ في يحيى بن يعمر لرغبةً لثروته وكثرة ماله وما ذكرته من جمال ابنته وما نحب أن تفارق زوجتيك، وكانت إحداهما ابنة عمه والأخرى من أشجع، فتقيم معها هذه السنة بالبصرة ونمضي نحن، فإن رغبتَ فيها تمسَّكتَ بها وأقمتَ بمكانك وإن رغبتَ في العُودِ إلى بلدك كتبتُ إلينا فجئناك حتى تنصرف معنا. ففكر ليلته أجمع في ذلك، ثم غدا عازماً على الرجوع إلى الحجاز وقال:

لئن أقمتُ بحيثُ الفيضِ في رَجَبٍ حتى أَهْلَ به من قابلٍ رَجَبَا
وراح في السَّفَرِ وَرَّادٌ وهَيَّجَنِي إنَّ الغريب إذا هَيَّجَتْهُ طَرِيبَا
إنَّ الغريب يَهْيِجُ الحُزْنَ صَبَوَتُهُ^(٢) إذا المصاحبُ حيَّاه وقد رَكِبَا
قد قلتُ أُمسِ لورَّادٍ وصاحِبِه عوجاً على الخارجيّ اليومَ واحتسبا
أو أَبْلِغَا أُمَّ سَعْدٍ أَنْ غَائِبَهَا أغيا على شفعاء الناس فاجتنبا
لما رأيتُ نَجِيَّ القومِ قلتُ لهم هل يَعْدُونَ نَجِيَّ القومِ ما كُتِبَا
وقلتُ إني متى أَجْلُبُ شفاعتكم أندم وإنَّ أَشَقَّ العَيِّ ما اجْتَلِبَا
وإنَّ مثلي متى يَسْمَعُ مقالَتكم ويعرفُ العينَ يَنْزِعُ قبل أن يَجِبَا
إني وما كَبُرَ الحُجَّاجُ تحملهم بُزْلُ المطايا بِجَنَبِي نَخْلَةَ عُصْبَا
وما أَهْلٌ به الداعي وما وقفتُ عُلياً ربيعةً ترمى بالحِصَا الحَصْبَا^(٣)

(١) البرزة: المرأة التي كبرت سنّها فتبرز للرجال وتجالسهم مع الحفاظ على هيبتها ووقارها.

(٢) الصَّوَة: جَهْلَةُ الفُتُوَة.

(٣) الحصب: الحطب الذي يُرمى في النَّارِ لَتُسَجَّرَ به.

جَهْدًا لَمَنْ ظَنَّ أَنِّي سَوْفَ أَطْعَمُهَا
أَبْتَغِي الْحُسْنَ فِي أُخْرَى وَأَتْرَكُهَا
وَلَا انْقَضَى الْهَمُّ مِنْ سَعْدَى وَمَا عَلِقْتُ
وَمَا خَلَوْتُ بِهَا يَوْمًا فَتَعَجَّبَنِي
يَا أَيُّهَا السَّائِلِي مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ
كَمْ مِنْ شَفِيعٍ أَتَانِي وَهُوَ يَحْسِبُ بِي
فَإِنْ يَكُنْ لِهَوَاهَا أَوْ قَرَابَتِهَا
هُمَا عَلَيَّ فَإِنْ أَرْضَيْتُهَا رَضِيتُ
كَائِنْ ذَهَبْتُ فَرْدَانٍ بِكَيْدِهِمَا
وَقَدْ ذُهِيتَ فَلَمْ أَصْبَحْ بِمَنْزِلَةٍ
وَيْلُ أُمِّهَا خُلَّةٌ لَوْ كُنْتُ مُسْجِحَةً^(١)
أَنْتِ الظَّعِينَةُ لَا يُرْمَى بِرُمَّتِهَا

عَنْ رُبْعِ غَانِيَةٍ أُخْرَى لَقَدْ كَذَبَا
فَذَاكَ حِينَ تَرَكْتُ الدِّينَ وَالْحَسْبَا
مَنْنِي الْحَبَائِلُ حَتَّى رَمَتْهَا حَقْبًا^(٢)
إِلَّا غَدَاً أَكْثَرَ الْيَوْمَيْنِ لِي عَجْبَا
مَهْلًا فَإِنَّكَ قَدْ كَلَّفْتَنِي تَعْبَا
حَسْبًا فَأَقْصِرُهُ مِنْ دُونَ مَا حَسْبَا
حَبٌّ قَدِيمٌ فَمَا غَابَا وَلَا ذَهَبَا
عَنِّي وَإِنْ غَضِبْتُ فِي بَاطِلٍ غَضِبَا
عَمَا طَلَبْتُ وَجَاءَا بِمَا طُلِبَا
إِلَّا أَنْزَاعٌ مِنْ أَسْبَابِهَا سَبَبَا
أَوْ كُنْتُ تُرْجَعُ مِنْ عَصْرِيكَ مَا ذَهَبَا
وَلَا يُفْجَعُهَا ابْنُ الْعَمِّ مَا اصْطَحَبَا
[البسيط]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني سليمان بن عياش السعدي قال:

قدم أعرابٌ من بني سليم أقحمتهم السنَّةُ إلى الرُّوحاء، فخطب إلى بعضهم رجلٌ من الموالي من أهل الروحاء فزوجه، فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة ووالها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، فاستعداه الخارجي على المولى، فأرسل إليه إبراهيم وإلى النُّفَرِ السُّلَمِيِّينَ، ففرَّق بين المولى وزوجته، وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه، فقال محمد بن بشير في ذلك:

شهدت غداة خُصِمَ بني سليم
قضيت بسُنَّةٍ وحكمت عدلاً
إذا غُمَزَ القَنَا وَجِدْتُ لِعَمْرِي
إذا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزْتُ

وُجُوهاً مِنْ قِضَائِكَ غَيْرَ سُودٍ
وَلَمْ تَرِثِ الْحُكُومَةَ مِنْ بَعِيدٍ
قَنَاتُكَ حِينَ تُغْمَزُ خَيْرَ عُودٍ
أَبِي الْقَسْرِ بِأَنْنَةِ الصُّعُودِ

(١) الْحَقَبُ: مفردُها الحِقْبَةُ وهي المَدَّةُ لا وقت لها أو السَّنَةُ.

(٢) مُسْجِحَةٌ: لطيفةٌ لَيِّنةٌ.

حمى حديبا لحوم بنات قوم وهم تحت التراب أبو الوليد
وفي المائتين للمولى نكال وفي سلب الحواجب والخدود
إذا كافأتهم ببنات كسرى فهل يجد الموالى من مزيد
فأئى الحق أنصف للموالى من اضهار العبيد إلى العبيد
[الوافر]

وحدثني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني سليمان بن عياش قال:

كان للخارجي عبداً، فكان يتلطف له ويخدمه حتى أعتقه وأعطاه مالا، فعمل به وربح فيه، ثم احتاج الخارجي بعد ذلك إلى معونة أو قرض في نائبة لحقته، فبعث إلى مولاه في ذلك، وقد كان المولى أثري واتسعت حاله، فحلف له أنه لا يملك شيئاً، فقال الخارجي في ذلك:

ويسعى لك المولى ذليلاً مدقعا^(١) ويخذلك المولى إذا اشتد كاهله^(٢)
فأمسك عليك العبد أول وهلة ولا تنفلت من راحتك حباله
[الطويل]

وقال أيضاً:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهداً لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا
حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش السعدي قال:

كان محمد بن بشير الخارجي بين زوجتين له، وكان يسكن الروحاء، فأجذب عليه منزله، فوجه غنماً له إلى سحابة وقعت برجفان، وهو جبل مطل على مضيق [يليل، فشقت عينيها عنه] فقال لزوجتيه: لو تحولتما إلى غنمنا، فقلنا له: بل تذهب فتطلع إليها وتصرفها إلى موضع قريب حتى نوافيك فيه، فمضى وزودتاه وطبين وقالتا: اجمع لنا اللبن ووعدتاه موضعاً من رجفان يقال له ذو القشع، فانطلق فصرف غنمه إلى ذلك الموضع، ثم انتظرهما فأبطأتا عليه، وخالفته سحابة إليهما فأقامتا وقالتا: يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا، فجعل يصعد في الجبل وينزل ويتبصرهما فلا يراهما، فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا فقال: أنزل فأتحدث إليهما، فإذا هو بامرأة

(١) المدقع: الراضي بالدون من المعيشة.

(٢) اشتد كاهله: قوي عوده وهنا بمعنى كثر ماله واستغنى.

مُسِنَّةً ومعها بنت لها شابة، فأعجبته فقال لها: أتزوِّجيني ابتكِ هذه؟ قالت: إن كنت كُفُواً^(١) فَعَلْتُ، فانتسب لها فقالت: أعرف النسب ولا أعرف الوجه، ولكن يأتي أبوها، فجاء أبوها فعرفه. وأخبرته امرأته بما طلب فقال: نَعَمْ، وزوجه إياها، فساق إليها قطعة من غنمه ثم بنى بها وانتظر، فلم ير زوجته تقدمان عليه، فارتحل إليهما بزوجه وبقية غنمه، فلما طلع عليهما وقف فأخذ بيدها ثم أنشأ يقول:

كَأَنِّي مُوفٍ لِلْهَلَاكِ عَشِيَّةً

بأسفل ذات القشع منتظر الطويل
طُرِدْتُ بَطِيَّ الْوُطْبِ^(٢) فِي الْبُلُقِ^(٣) وَالْقَفْرِ
لِنَاخِذٍ بِيضَاءِ التَّرَائِبِ وَالتَّحْرِ
بجِئْدَاءِ^(٥) فِي ضَالِّ بَوَجْرَةٍ أَوْ سِدْرِ
إِذَا وُدِيتْ لِي مَا وُدِيتَنِّ مَا أَمْرِي
[الطويل]

وَأَنْتَنَ تَلْبَسَنَّ الْحَدِيدَةَ بَعْدَمَا
فَكَانَ الَّذِي قَلْتَنَ أَعْدِدْ بَضَاعَةَ
كَأَنَّ سُمُوطَ^(٤) الدُّرِّ مِنْهَا مَعْلَقٌ
تَكُونُ بِلَاغَاثِمٍ لَسْتُ بِمُخْبِرٍ

حدثنا الحسين بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب. قال
أحمد بن زهير: وحدثني الزبير بن بكار قال: حدثني سليمان بن عياش، قال:
كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مُزَيْنَةٍ وكان قومها قد جاوروههم، ثم
جاء الربيع وأخصبت بلاد مزينة فارتحلوا، فقال محمد بن بشير:

أَنَّ التَّفْرُقَ مِنْ عَشِيَّةٍ أَوْ عَدِ
عَلِقَ حَبَائِلَ هَائِمٍ لَمْ يَعْهَدِ
صَلَّتِ وَأَسْوَدَ فِي النَّصِيفِ^(٦) مَعْقِدِ
قَمَرٌ تَوَسَّطَ لَيْلِ صَيْفٍ مُبْرِدِ
إِنَّ الْجَمَالَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَدِ
فِيهَا مُعَاهَدَةُ النَّصِيحِ الْمُرْشِدِ

لَوْ بَيَّنْتُ لَكَ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهَا
لَشَكُوتُ إِذْ عَلِقَ الْفَوَادُ بِهَائِمٍ
[وَتَبَرَّجْتُ لَكَ فَاسْتَبْتُكَ بِوَاضِحٍ
بِيضَاءِ خَالِصَةِ الْبَيَاضِ كَأَنَّهَا
مُوسُومَةٌ بِالْحَسَنِ ذَاتِ حَوَاسِدِ
لَمْ يُطْغِهَا شَرَفُ الشَّبَابِ وَلَمْ تَضِعْ

(١) الكفو: المماثل، المناسب للزواج.

(٢) الوطْب: سقاء اللين جمعها أوطْبٌ ووطاب وأوطاب.

(٣) البُلُق: الأراضي التي لا تنبت، مفردها بلقاء.

(٤) السُمُوط: مفردها السَّمَط، وهو خيط النظم، وقلادة أطول من المخنقة.

(٥) الجيداء: طويلة الجيد.

(٦) النَّصِيف: الخمار.

خَوْدٌ^(١) إِذَا كَثُرَ الْكَلَامُ تَعَوَّذْتُ
وَكَأَنَّ طَعْمَ سَلَاةٍ^(٢) مَشْمُولَةٍ
وَتَرَى مَدَامَعَهَا تُرْقِرُقُ مُقْلَةً
مَاذَا إِذَا بَرَزَتْ غَدَاةٌ رَحِيلَهَا
وُلِدَتْ بِأَسْعَدِ أَنْجُمٍ فَمَحَلُّهَا
أَلَّهُ يَصْحَبُهَا وَيَسْقِي دَارَهَا
بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمْتُ تَقْصِدُ^(٣)
تَنْصَبُ فِي إِثْرِ السَّوَاكِ الْأَغْيَدِ
حَوْرَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِثْمِ
مُحْسِنٍ تَحْتَ رِقَاقِ تِلْكَ الْأَبْرَدِ
وَمَسِيرَهَا أَبَدًا بَطَلَقِ الْأَسْعَدِ
خَضِلَ الرَّبَابِ^(٤) سَرَى وَلَمَّا يَرْعُدِ
[الكامل]

أخبرني الحسن بن علي: قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثني الزبير قال: حدثني سليمان بن عياش قال:

صحب محمد بن بشير رفقة من فُضَاعَة إلى مكة، وكانت فيهم امرأة جميلة، فكان يسايرها ويحدثها، ثم خطبها إلى نفسه فقالت: لا سبيل إلى ذلك لأنك لست بعشيري ولا جاري في بلدي ولا أنا ممن تُظْعِنُهُ رَغْبَةً من بلده ووطنه، فلم يزل يحدثها ويسايرها حتى انقضى الحج، ففرق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما فقال في ذلك:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي مِنْ مُخَدَّرَةٍ
مِنْ رَفْقَةِ صَاحِبُونَا فِي نَدَائِهِمْ
حَتَّى إِذَا الْبُدُنُ كَاسَتْ^(٥) فِي مَنَاحِرِهَا
وَحَلَّقَ الْقَوْمُ وَاعْتَمُوا عَمَائِمَهُمْ
أَقْبَلْتُ أَسْأَلُهَا مَا بَالُ رَفْقَتِهَا
فَقَرَّبْتُ لِي وَاحْلُولْتُ مَقَالَتِهَا
أَنْتَى يَنَالُ حِجَازِي بِحَاجَتِهِ
يَوْمًا بَدَا لِي مِنْهَا الْكَشْحُ^(٦) وَالْكَتْدُ^(٧)
كُلُّ حَرَامٍ فَمَا دُمُوا وَلَا حُمِدُوا
يَعْلُو الْمَنَاسِمَ^(٨) مِنْهَا مُزِيدٌ جَسِدُ
فَحَلَّ كُلُّ حَرَامٍ رَأْسَهُ لَبِيدُ
وَمَا أَبَالِي أَغَابَ الْقَوْمُ أَمْ شَهِدُوا
وَخَوَّفَتْنِي وَقَالَتْ بَعْضُ مَا تَجِدُ
إِحْدَى بَنِي الْقَيْنِ أَذْنَى دَارَهَا بَرْدُ
[البسيط]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال:

- (١) الخود: الحسنات الخلق، الشابة جمعها خودات وخود.
(٢) تقصد: توجز في الكلام.
(٣) السلافة: الخمر.
(٤) الرباب: مفردا الربابة وهي السحابة البيضاء.
(٥) الكشع: ما بين السرة ووسط الظهر.
(٦) الكتد: مجتمع الكتفين من الإنسان.
(٧) كاست: مشت على ثلاثة قوائم.
(٨) المناسم: مفردا المنسم وهو خف البعير.

خطب محمد بن بشير امرأة من قومه فقالت له: طلق امرأتك حتى أتزوجك، فأبى وانصرف عنها وقال في ذلك:

أطلب الحسن في أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا
هي الطعينة لا يرمى برمتها ولا يُفجّعها ابنُ العمِّ ما اصطحبا
فما خلوتُ بها يوماً فتعجبني إلّا عداً أكثرَ اليومين لي عجباً
[البسيط]

حدثني عيسى بن الحسين قال: حدثني الزبير بن بكار قال: بلغني أن صالح بن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب الجُمحي يروي شيئاً من أخبار الخارجيِّ وأشعاره، فأرسلت إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى كان من الكتاب، وسألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا قال.

زعم الخارجيُّ واسمه محمد بن بشير، وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عَدَوَان، وكان يسكن الرّوحاء قال: بينا نحن بالروحاء في عام جَدَب قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحُصين وابنُ أخيه، وإذا بقطار ضخم كثير الثقل يَهْوِي، قادم من المدينة، حتى نزلوا جانب الروحاء الغربي، بيننا وبينهم الوادي وإذا هم من الأنصار، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فلبثنا أياماً ثم أنا بسليمان بن الحُصين يقول لي: أرسل إليّ النساءُ يقلن: أما لكم حاجةٌ في الحديث؟ فقلت لهن: فكيف برجالكن؟ قلن: بلغنا أن لكم صاحباً يُعرف بالخارجي صاحبَ صيد، فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه وخلوتم وتحدثتم، قال: فقلت لسليمان: بشّس لعمرؤ الله ما أردت بي، أذهب إلى القوم فأغرهم وآثم وأتعب، وتناولون أنتم حاجتكم دوني؟ ما هذا رأي، فقال لي سليمان: فأنظرنني إذا أرسل إلى النساء وأخبرهن بقولك، فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت، فقلن: قل له: احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك، وعلينا أن نحتال لك المرة الأخرى. قال الخارجي: فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم وذكرت لهم الصيد، فطارت إليه أنفسهم، فخرجت بهم وأخذت لهم كلاباً وشباكاً وتزوّدوا لثلاث، وانطلقت أحدثهم وألهيهم، فحدثتهم بالصدق حتى نفذ [ثم حدثتهم بما يشبه الصدق حتى نفذ] ثم صرّحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث، وجعلت لا أحدثهم حديثاً إلّا قالوا صدقت، وغبت بهم ثلاثاً ما أعلم أنا عايئاً صيداً فقلت في ذلك:

إنني لأعجب مني كيف أفككُهُمْ^(١) أم كيف أخدع قوماً ما بهم حَمَقُ

(١) أفككُهُمْ: أصرفهم عن رأيهم وأقلبهم عنه.

أَظْلُ فِي الْبَيْدِ الْهَيْمِ وَأَخْبَرَهُمْ
وَلَوْ صَدَقْتُ لَقُلْتُ الْقَوْمَ قَدْ قَدِمُوا
أَمْ كَيْفَ تُحَرِّمُ أَيْدٍ لَمْ تَخُنْ أَحَدًا
وَنَرْتَمِي الْيَوْمَ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ
يَرْمُونَ أَحْوَرٍ مَخْضُوبًا بِغَيْرِ دَمٍ
تَسْعَى بِكَلْبَيْنِ تَبْغِيهِ وَصِيدَهُمْ
مَا زِلْتُ أَحْدِرُهُمْ^(١) حَتَّى جَعَلْتَهُمْ
وَلَوْ تَرَكْتَهُمْ فِيهَا لَمَزَقَهُمْ
إِنْ كُنْتُمْ أَبَدًا جَارِي صَدِيقَكُمْ
فَمَتَّعُونِي فَإِنِّي لَا أَرَى أَحَدًا

[البسيط]

قال سليمان بن عياش: ومات سليمان بن الحُصَيْن هذا، وكان خليلاً للخارجي، مصافياً له، وصديقاً مخلصاً، فجزع عليه وحزن حزناً شديداً فقال يرثيه:

يَا أَيُّهَا الْمَتَمَنِّي أَنْ تَكُونَ فَتًى
إِنْ تَرَحَّلَ الْعَيْسُ كَيْ تَسْعَى مَسَاعِيهِ
لَوْ سَرَّتْ فِي النَّاسِ أَقْصَاهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ
تَبْغِي فَتًى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مَا وَجَدُوا
أَعْدُدَ ثَلَاثَ خِصَالٍ قَدْ عُرِفْنَ لَهُ
مِثْلَ ابْنِ لَيْلَى لَقَدْ خَلَى لَكَ السُّبُلَا
يُشْفَقُ عَلَيْكَ وَتَعْمَلُ دُونَ مَا عَمَلَا
فِي شُقَّةِ الْأَرْضِ حَتَّى تُحْسِرَ الْإِبْلَا
مِثْلَ الَّذِي غَيَّبُوا فِي بَطْنِهَا رَجُلَا
هَلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سُبَّ أَوْ بِخِلَا

[البسيط]

قال سليمان بن عياش: لما مات عبد العزيز بن مروان ونُعيَ إلى أخيه عبد الملك تمثّل بأبيات الخارجي هذه وجعل يردّها ويبيكي.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي عن أبيه قال:

قال الرشيد يوماً لجلسائه: أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خَفِرة^(٤) كريمة،

(١) أَحْدِرُهُمْ: أَنزَلَهُمْ مِنْ عَلْوٍ إِلَى الْأَسْفَلِ.

(٢) مُزَيِّنَةٌ: قَبِيلَةٌ.

(٣) الطَّرْقُ: الْفَجْ.

(٤) الْخَفْرَةُ: الشَّدِيدَةُ الْحَيَاءِ.

فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت، فقال لي: إيه يا ابن مصعب، أما إنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها
موسومة بالحسن ذات حواسد
وترى مدامعها ترقرق مقلّة
خود إذا كثر الكلام تعوذت
لم يطغها شرف الشباب ولم تضع
وتعرضت لك فاستبتك بواضح
وكأن طعم سلافه مشمولّة
قمر توسط جُنح ليل مُبرد
إن الحسان مظنة^(١) للحسد
حوراء ترغب عن سواد الإثم
بحمى الحياء وإن تكلم تقصد
فيها معاهدة النصيح المرشد
صلت وأسود في النصيف معقد
بالريق في إثر السواك الأغيد
[الكامل]

فقال الرشيد: هذا والله الشعر لا ما أنشدتمونه سائر اليوم، ثم أمر مؤدّب ابنه محمد الأمين وعبد الله المأمون فروّاهما الأبيات.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني سليمان بن عياش قال:

كان محمد بن بشير الخارجي يتحدث إلى عبدة بنت حسان المزينة ويقيم عندها أحياناً، وربما بات عندها ضيفاً لإعجابه بحديثها، فنهاها قومها عنه وقالوا: ما مبيت رجل بامرأة أيم^(٢)؟ فجاءها ذات يوم فلم تدخله خباءها وقالت له: قد نهاني قومي عنك، وكان قد أمسى فمنعته المبيت وقالت: لا تبث عندنا فيظنّ بي وبك سوء. فانصرف وقال فيها:

ظلتُ لدى أبياتها وكأنني
أخيرٌ إمّا جلسةً عند كاره
فإنك لو أكرمت ضيفك لم يعب
وقد كان ينمّيها إلى ذروة العلا
أسيرٌ معنّى في محلّله^(٣) كبُل^(٤)
وإمّا مُراحٍ لا قريب ولا سهل
عليك الذي تأتين حمو ولا بعْل
أب لا تخطّاه المطيّة والرحل

(١) المظنة: التهمة.

(٢) الأيم: من لا زوج لها سواء كانت بكراً أو ثيباً.

(٣) المخلخل: موضع الخلخال من الساق.

(٤) الكبُل: أعظم القيود.

[فهل أنتِ إِلَّا جِنَّةٌ^(١) عبقريّةٌ^(٢)]
 وهل أنتِ إِلَّا نَبْعَةٌ كان أصلها
 صدّدتِ امرأاً عن ظلّ بيتك ما له
 يخالط مَنْ خالطت من حبكم خَبْلُ
 نُضاراً فلم يفضحك فرْعٌ ولا أَصْلُ
 بواديك لولاكم صديقٌ ولا أَهْلُ
 [الطويل]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن زهير قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال:

خرج محمد وسليمان ابنا عُبيد الله بن الحُصَيْن الأسلميان حتى أتيا امرأة من الأنصار من بني ساعدة، فبرزت لهما وتحدثا عندها وقالا لها: هل لك في صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت: من هو؟ قالا: محمد بن بشير الخارجي، قالت: لا حاجة بي إلى لقائه ولا تَجِئْني به معكما، فإنكما إن أتيتما به لم أبرز لكما، فجاءا به معهما وأخبراه بما قالت لهما، وأجلساه في بعض الطريق، وتقدّما إليها، فخرجت إليهما، وجاءهم الخارجي بعد خروجها إليهما فرحبا به وسلما عليه، فقالت لهما: من هذا؟ قالا: هذا الخارجي الذي كنا نخبرك به، فقالت: والله ما أرى فيه من خير وما أشبهه إِلَّا بعبدنا أبي الجَوْن، فاستحيا الخارجي وجلس هنيهة ثم قام من عندها، وعَلِقَها قلبه فقال فيها:

ألا قَدْ رابني^(٣) وَيَرِيبُ غيري
 وَأَصْبَحْتَ المودّةُ عند ليلي
 ذهبْتُ وقد بدا لي ذاك منها
 وأنسى غيظَ نفسي إنَّ قلبي
 [فلا قلبٌ يُبَصِّرُ كلَّ ذنبٍ
 فدعها لستُ هاجيها وراجعُ
 عشيّةَ حُكْمِها حَيْفٌ^(٤) مُريبُ
 منازل ليس لي فيها نصيبُ
 لأهجوها فيغلبني النَّسِيبُ^(٥)
 لمن واددتُ فائتته قريبُ
 ولا راضٍ بغير رضى غضوبُ
 حديثك إن شأكما عَجِيبُ
 [الوافر]

قال: وبلغ الأشجعيّة زوجة محمد بن بشير ما قالت له الأنصارية فعيّرته بذلك وكانت إذا أرادت غيظه كتته أبا الجون فقال في ذلك:

وأبدي الهدايا^(٦) ما رأيتُ مُعاتباً
 من الناس إِلَّا الساعديّة أجملُ

(٢) العبقريّة: التي ليس فوقها شيء.

(٤) الحَيْف: الظلم والجور.

(٦) الهدايا: مفردها الهدى وهو ما يساق للكعبة.

(١) الجِنَّة: طائفة من الجن.

(٣) رابني: حيرني واختلط عليّ.

(٥) النَّسِيب: الغزل.

وقد أخطأني يومَ بطحاءِ مَعْمَرٍ لها كُفَفٌ^(١) تصطاد فيها وأُحْبِلُ
وقد قال أهلي حينَ كُنيتَ كنيَةً أبا الجون فاكسبُ مثلها حينَ ترحلُ
وإن باتَ إِيضاعي^(٢) بأمرٍ مسرَّةٍ لَكُنَّ فما تَسَخَطُنَ في العيشِ أطولُ
[الطويل]

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا الزبير قال: حدثني سليمان بن عياش قال:

اجتمع محمد بن بشير الخارجي وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة فواقفا نسوة من بني غفار يتحدثن، فجلسا إليهن وتحدثا معهن حتى تفرقن، وبقيت واحدة منهن تحدث الخارجي وتستنشده شعره حتى أصبحوا، فقال لهم رجل مرّ بهم: أما تزدجرون عن هذا الشعر وأنتم حرّم ولا تدعون إنشاده وقول الزور في المسجد؟ فقالت المرأة: كذبت لعمر الله، ما قول الشعر بزور ولا السلام والحديث حرام على مُحَرَّم ولا مُجَلٍّ، فانصرف الرجل. وقال فيها الخارجي:

أما لك أن تزورَ وأنتِ خلُوُ فما برحتِ تُعيرُكِ مقلتيها
صحيح القلبِ أختَ بني غفارِ فتعطيك المنيّة في استتارِ
وتسهو في حديث القوم حتى تبيّنَ بعضُ أهلِكَ ما تُوارِي
فمئتِ يا قلبُ ما بك من دفاعِ فيُنْجيكِ الدفاعُ ولا فراري
فلم أر طالبا بدمٍ كمثلي أوذَّ وحُسْنِ مَطْلُوبٍ بشارِ
إذا ذكرا بشاري قلتُ سَفِيًّا لشاري ذي الخواتم والسَّوَارِ
وما عرفتُ دمي فتَبُوءَ منه برهنٍ في حبالِي أو ضِمَارِ^(٣)
وقد زعم العواذل أن يومي ويومك بالمحصبِ ذي الجمارِ
من الأعباء^(٤) ثم زعمت أن لا وقلتُ لذي التنازع والتَّمارِي^(٥)
كذبتُم ما السلامُ بقول زور ولا اليومُ الحرامُ بيومِ ثارِ
ولا تسليمنّا حرُماً بِجُرم ولا الحبُّ الكريم لنا بعارِ

(١) الكُفَف: مفردا الكُفَّة وهي جبل الصائِد.

(٢) الإيضاع: الإسراع في السير.

(٣) الضُّمار: الدِّين غير المؤجل.

(٤) الأعباء: مفردا العبء وهو الحمل، والثقل من أي شيء كان.

(٥) التَّماري: الشُّك.

فإن لم نلقَكم فسقى الغوادي بالآذِك والرويات^(١) السَّواري

[الوافر]

قال سليمان: وفي هذه المرأة يقول الخارجي وقد رحلوا عن مكة فودَّعها وتفرقوا:

يا أحسن الناس لولا أنَّ نائلها وإنما دُلَّها سحرٌ لطالبه هل تذكرين كما لم أنس عهدكُم قولي وركبكِ قد مالت عمائمهم يا ليت أني بأثوابي وراحلي وقد أطلت اعتلالاً دون حاجتنا ما بال وأيك^(٢) إذ عهدي وعهدكُم فكان حظك منها نظرةً طرفت أكننت أبخل من كانت مواعده وقد نظرت وما ألفت من أحد أبقت شجى^(٣) لك لا تنساه، قادهه جنيةً أولها جنُّ تعلَّمها تجلو بقادمتي ورقاء عن بردٍ خوذ مبثلةً رياء معاصمها إذا مجاسدُها اغتالت فواضلها إن هبت الريح حنت في تنسُمها بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت ألا رسول إذا ناءت يُبلِّغها [أنني بآية وجد قد ظفرت به

قدماً لمن يبتغي ميسورها عسر وإنما قلبها للمشتكي حجر وقد يدوم لعهد الخلَّة الذَّكر وقد سقاهم بكأس السكر السَّفر عبدٌ لأهلك هذا العام مُؤتجر بالحجِّ أمض فهذا الحِلُّ والتَّفرُّ إلفان ليس لنا في الودِّ مُزدجر إنسان عَيْنك حتى ما بها نُظَر دِيناً إلى أجل يُرجى ويُنتظر يعتاده الشَّوق إلا بدؤه النَّظر في أسود القلب لم يشعر به بشر رَمي القلوب بقوس ما لها وتر حُمِرِ المفاغِر في أطرافها أشر قَدْر الثَّياب ولا طول ولا قصر منها روادفُ فَعِمات ومُؤتزر كما يُجاوبُ عود القَيْنَةِ الوتر في الحجِّ، ليلة إحدى عشرة القمر عتاً وإن تُمس تُولف بيننا المِرر^(٤) مني ولم يك في وجدي بكم ظفر

(١) الرويات: مفردا الروية وهي السَّحابة الشديدة المطر.

(٢) الوأي: العدد من النَّاس.

(٣) الشجى: الحزن والغَم.

(٤) المِرر: مفردا المِرّة وهي الفعلة الواحدة.

قَتِيلُ يَوْمٍ تَلَاقِينَا وَأَنْ دَمِي
تَقْضِينَ فِيَّ وَلَا أَقْضِي عَلَيْكَ كَمَا
عَنْهَا وَعَمَّنْ أَجَارَتْ مِنْ دَمِي هَدْرًا
يَقْضِي الْمَلِكُ عَلَى الْمَمْلُوكِ يُقْتَسَرُ
مَنَا وَيَعْجِزْنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ
[البسيط]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير قال: حدثني سليمان بن عياش قال:

كان الخارجي قدم البصرة فتزوج بها امرأة من عدوان كانت موسرة، فأقام عندها بالبصرة مدة ثم استوحم^(١) البصرة فطالبها بأن ترحل معه إلى الحجاز فقالت: ما أنا بتاركة مالي وضيعتي هاهنا تذهب وتضيع وأمضي معك إلى بلد الجذب والفقر والضيق، فإمّا أن أقمت هاهنا أو طَلَقْتَنِي، فطلقها وخرج إلى الحجاز ثم ندم وتذكرها فقال:

بَاتَتْ لَعِينُكَ عِبْرَةً وَسُجُومًا^(٢)
طِيفَ لَزِينَبَ مَا يَزَالُ مُؤَرَّقِي
وَإِذَا تَعَرَّضَ فِي الْمَنَامِ خِيَالُهَا
أَجْعَلْتَ ذَنْبَكَ ذَنْبَهُ وَظَلَمْتَهُ
وَلَئِنْ تَجَنَّيْتَ الذُّنُوبَ فَإِنَّهُ
وَلَقَدْ أَرَاكَ غَدَاةً بِنْتٍ وَعَهْدُكُمْ
أُضْحَتْ تَحْكُمُكَ التَّجَارِبُ وَالنُّهَى
وَتَوَتَّ بِقَلْبِكَ زَفْرَةً وَهُمُومًا
بَعْدَ الْهُدُوءِ فَمَا يَكَادُ يَرِيْمُ
نَكَأَ الْفُؤَادَ خِيَالُهَا الْمَحْلُومُ
عِنْدَ التَّحَاكُمِ وَالْمُدِلُّ ظُلُومُ
ذُو الدَّاءِ يَعْذِرُ وَالصَّحِيحُ يَلُومُ
فِي الْوَصْلِ لَا حَرَجٌ وَلَا مَذْمُومُ
عَنْهُ وَيَكْفُلُهُ بِكَ التَّحْكِيمُ
[الكامل]

صوت

بَرَأ الْأَلَى عَلِقُوا الْحَبَائِلَ قَبْلَهُ
وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَعَاقَنِي
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَبِّهِ
ضَعَفْتُ مَعَاهِدُ حُبِّهِنَّ مَعَ الصَّبَا
فَنَجَوْا وَأَصْبَحَ فِي الْوِثَاقِ يَهِيمُ
عَلَقَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمُ
وَعَلَى جَفَائِكَ إِنَّهُ لَكَرِيمُ
وَمَعَ الشَّبَابِ قَبْلَ وَهُوَ مَقِيمُ

(١) استوحم: لم يستمر.

(٢) السُّجُوم: قطر الدَّمِ وسيلانه قليلاً أو كثيراً.

وَعَتَبْتَ حِينَ صَحَحْتَ وَهُوَ بَدَائِهِ شَتَّانَ ذَاكَ مَصَحَّحٌ وَسَقِيمٌ
وَأَرَيْتَهُ ذَنْباً فَعَاذَ بِحِلْمِهِ إِنْ الْمَحَبَّ عَنْ الْحَبِيبِ حَلِيمٌ
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ تَبْخَلِينَ وَشَفَّهَ شَوْقٌ إِلَيْكَ وَإِنْ بَخَلْتَ أَلِيمٌ
[الكامل]

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الدَّارِمِيُّ خَفِيفَ رَمْلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ، وَفِيهِ لِعَرِيبٍ
خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ، وَهُوَ الَّذِي يَغْنَى الْآنَ وَيَتَعَارَفُهُ النَّاسُ.

أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلِيمَانُ بْنُ عِيَاشٍ
قَالَ:

كَانَ الْخَارِجِيُّ مَنْقُطَعاً إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ يَكْفِيهِ مُؤْنَتُهُ
وَيُفْضَلُ عَلَيْهِ وَيُعْطِيهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا يُغْنِيهِ وَيَغْنِي قَوْمَهُ وَعِيَالَهُ مِنَ الْبُرِّ وَالتَّمْرِ وَكُسُوةِ
الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَيُقْطَعُ الْقِطْعَةُ بَعْدَ الْقِطْعَةِ مِنْ إِبْلِهِ وَغَنَمِهِ، وَكَانَ مَنْقُطَعاً إِلَيْهِ وَإِلَى
زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ وَابْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ وَكُلُّهُمْ بِهِ بَرٌّ وَإِلَيْهِ مُحْسِنٌ، فَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ [وَكَانَ
يَنْزِلُ الْفَرَشَ مِنْ مَلَكٍ وَكَانَ الْخَارِجِيُّ يَنْزِلُ الرُّوحَاءَ] فَقَالَ يَرِثِيهِ:

أَلَا أَيُّهَا النَّاعِي ابْنَ زَيْنَبَ غُدُوَّةً نَعَيْتَ النَّدَى دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ
لِعَمْرِي لَقَدْ أَمْسَى قَرَى الضَّيْفِ عَاتِماً^(١) بَذَى الْفَرَشَ لَمَّا غَيَّبَتْكَ الْمَقَابِرُ
إِذَا سُوفُوا نَادَوْا صَدَاكَ وَدُونَهُ صَفِيحٌ^(٢) وَخَوَارٌ مِنَ الثَّرْبِ مَائِرُ
يُنَادُونَ مِنْ أَمْسَى تَقَطَّعُ دُونَهُ مِنْ الْبَعْدِ أَنْفَاسُ الصَّدُورِ الزَّوَاغِرُ
فَقُومِي اضْرَبِي عَيْنِيكَ يَا هِنْدُ لَنْ تَرِي أَباً مِثْلَهُ تَسْمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ
[الطويل]

قَالَ الزَّبِيرُ: فَحَدَّثَنِي سَلِيمَانُ بْنُ عِيَاشٍ قَالَ: كَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدَةَ عِنْدَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهَا جَزَعَتْ عَلَيْهِ جُزْعاً شَدِيداً وَوَجِدَتْ وَجْداً عَظِيماً،
فَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ الْخَارِجِيَّ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهَا وَيُعْزِيَهَا وَيُؤْسِيَهَا عَنْ
أَبِيهَا، فَدَخَلَ مَعَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

فَقُومِي اضْرَبِي عَيْنِيكَ يَا هِنْدُ لَنْ تَرِي أَباً مِثْلَهُ تَسْمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ
وَكَنتِ إِذَا فَاخَرْتَ أَسْمَيْتِ وَالِدَا يَزِينُ كَمَا زَانَ الْيَدَيْنِ الْأَسَاوِرُ

(١) العاتم: المبطئ.

(٢) الصفيح: وجه كل شيء عريض أو الحجر الممدد العريض، وهو هنا كناية عن القبر.

فإن تُعُولِيه يَشْفِ يَوْمُ عَوِيلِه
ويحزنُكَ لَيَالَتْ طَوَالٌ وقد مضت
فلقَاكَ رَبُّ يَغْفِر الذَّنْبَ رَحْمَةً
[إذا ما ابن زاد الركب لم يمس ليلة
وقد علم الأقوام أن بناته
غليكَ أو يعذرك بالتَّوْح عاذرُ
بذي الفَرْش لَيَالَتْ تُسَرُّ قصائرُ
إذا بُلِيَتْ يَوْمَ الحِسَاب السرائرُ
قفا صَفَر لم يقرب الفرش زائرُ]
صَوَادِقُ إذْ يَنْدِبْنَه وَقَوَاصِرُ
[الطويل]

قال: فقامت هند فصكَّت وجهها وعينيها وصاحت بويلها وحربها، والخارجي يبيكي معها حتى لقياً جهداً، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دعوتك ويحك؟ فقال له: أظننت أني أعزيها عن أبي عبدة؟ والله ما يسليني عنه أحد، ولا لي عزاء عن فقده فكيف يسليها عنه من ليس يسلوه؟

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني الزبير قال: حدثني سليمان بن عياش قال:

وعد رجلٌ محمدَ بنَ بشير الخارجي بقلوص ثم مَطَّله فقال فيه يذمه ويمدح
زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

لَعَلَّكَ وَالْمَوْعُودُ حَقٌّ وَفَاؤُهُ
فإن الذي ألقى - إذا قال قائل
أقول لمن يبدي الشَّمَات، وقوله
دعوتُ وقد أخلفتني الوأي^(٢) دعوة
بَدَا لَكَ فِي ذَاكَ الْقَلُوص بَدَاءُ
من الناس هل أحسستها - لَعْنَاءُ^(١)
عَلَيَّ وَإِشْمَاتُ الْعَدُوِّ سَوَاءُ
بَزَيْدٍ فَلَمْ يَضْلِلْ هُنَاكَ دُعَاءُ
[الطويل]

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن فبعث إليه بقلوص من خيار إبله فقال يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعَةٍ
وزيدٌ ربيعُ الناس في كل شَتْوَةٍ
حَمُولٌ لِأَشْنَاقِ^(٣) الدِّيَات كَأَنَّهُ
نفى جَدَبَهَا وَاخْضَرَ بِالْغَيْثِ عَوْدُهَا
إذا اخْتَلَفَتْ أَنْوَاؤُهَا وَرُعُودُهَا
سراجُ الدُّجَى إذْ قَارَنْتَهُ سُعُودُهَا^(٤)
[الطويل]

(١) لَعْنَاء: مطرودة.

(٢) الوأي: الوعد.

(٣) الأشناق: مفردها الشَّتَق وهو الأرش.

(٤) السُّعُود: النجوم، وهي عشر كواكب يقال لكل واحد منها سعد.

أخبرني عيسى قال: حدثني الزبير قال: حدثني سليمان بن عياش قال:

نظر الخارجي إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرج، فهتف بهم فقال:

ألم تروا أنَّ فتًى سيِّداً راح على نعش بني مالك
لا أنفُس العيش لمن بعده وأنفُس الهلك على الهالك
[السريع]

وقال أيضاً:

ألا أيها الباكي أخاه وإنما يُبكي بيوم الفد فد الأخوان
أخي يوم أحجار الثمام بكيته ولو حُمَّ يومي قبله لكانني
تداعت به أيامه واخترمته وأبقين لي شجواً بكل مكان
فليت الذي ينعى سليمان غدوةً بكى عند قبري مثلها ونعاني
ولو قسمت في الجن والإنس لوعتي عليه بكى من حرّها الثقلان^(١)
ولو كانت الأيام تطلب فديةً إليه وصرف الدهر ما ألواني^(٢)
[الطويل]

أخبرنا عيسى قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال:

خرج محمد بن بشير يرمي الأزوى ومعه جماعة فيهم رجل من الموالي من أهل
السَّيَّالة، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها، فزلت قدمه عنها، فصاح
حتى سقط إلى الأرض وأحدث في ثيابه، فقال الخارجي في ذلك:

حُرِّق يا صفاةً في ذراكٍ بالنار إن لم تمنعي أزواكٍ
تعلَّمي أنَّ بذِي الأراكِ أيتهما الأزوى ذوي عراكِ
قوماً أعدوا شبك الشباك يبعون ضبعاً قتل أباك
[نعم ملوئ الحيد^(٣) المذاك^(٤)] إذ صوّت الحالب في أخراك
ولم يقل مُنتصِحاً إياك بين مقاطيها^(٥) ركبت فاك
فعدت والطعن على كلاك [مثل الأضاحي بيد النسائك]
يرمي بالاكْتاف على الأوزاك كما أطحت العبد عن صفاك

(٢) ألواني: استطاعاني.

(١) الثقلان: الجن والإنس.

(٤) المذاك: الحجر الذي يُسحق عليه الطيب.

(٣) الحيد: العقد في قرون الوعول.

(٥) المقاطي: مفردها المُقط وهو الخيط الذي يُصاد به الطير.

أَمَّا السَّيَالِيُّ فَلَنْ يَنْسَاكَ لَوْ يَرْتَمِيكَ النَّاسُ مَا رَمَاكَ
[الرجز]

أخبرني عيسى قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال:

كانت عند الخارجي بنت عم له فهجاه بعض قرابتها، فأجابه الخارجي، فغضبت زوجته وقالت: هجوت قرابتي، فقال الخارجي في ذلك:

فَأَمَّا مَا أَقُولُ لَهُمْ فَعَابَتْ عَلَيَّ وَقَدْ هُجِيتُ فَمَا تَعِيبُ
فَرُمْتُ وَقَدْ بَدَا لِي ذَاكَ مِنْهَا لَأَهْجُوهَا فَيَمْنَعُنِي النَّسِيبُ
فَلَا قَلْبٌ يُبْصِرُ كُلَّ ذَنْبٍ وَلَا رَاضٍ بِغَيْرِ رِضَا غَضُوبٍ
[الوافر]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثني مصعب. قال

وحدثني الزبير، عن سليمان بن عياش قال:

تزوج الخارجي جارية من بني ليث شابة وقد أسنَّ وأسنَّت زوجته العدوانية فضربت دونه حجاباً وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها فجلسن عندها يلهون ويتغنين ويضربن بالدفوف، وعرف ذلك محمد فقال:

لئنْ عانسٌ قد شاب ما بينَ قَرْنِهَا إلى كعبها وامْتُصَّ عنها شابُهَا
صَبَتْ فِي طَلَابِ اللّهُوِ يَوْمًا وَعَلَّقَتْ حجاباً لقد كانت ستيراً حجابُهَا
لقد مُتَّعَتْ فِي العِيشِ حَتَّى تَمَتَّعَتْ مِنَ اللّهُوِ إِذْ لَا يُنْكَرُ اللّهُوَ بِأُهَا
فَبَيْنِي بَرْغَمٍ ثُمَّ طَلَّيْ فَرَبَمَا ثَوَى الرِّغْمُ مِنْهَا حَيْثُ يَثْوِي نِقَابُهَا
لِبَيْضَاءَ لَمْ تُنْسَبْ لَجَدٍّ يَعِيبُهَا هِجَانٍ وَلَمْ تَنْبَحْ لئِمًّا كِلَابُهَا
تَأَوَّدُ فِي المَمْشَى كَأَنَّ قِنَاعَهَا عَلَى ظَبِيَّةِ أَدْمَاءَ طَابَتْ ثِيَابُهَا
مَهْفَهْفَةٌ الْأَعْطَافِ خَفَّاقَةُ الْحَشَى جَمِيلٌ مُحَيَّاهَا قَلِيلٌ عِتَابُهَا
إِذَا مَا دَعَتْ بِأَبْنَيْ نِزَارٍ وَنَازَعَتْ ذُرًّا المَجْدِ لَمْ يُرَدِّدْ عَلَيْهَا انْتِسَابُهَا
[الطويل]

حدثنا الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا الزبير بن بكار

قال: حدثني عمي، عن الضحاك بن عثمان قال:

لما ولي إبراهيم بن هشام الحرّمين دخل إليه محمد بن بشير الخارجي، وكان له قبل ذلك صديقاً، فأعرض عنه ولم يُظهر له بشاشة ولا أنساً ثم عاوده فاستأذنه في

الإنشاد، فأعرض عنه وأخرجه الحاجب من داره، وكان إبراهيم بن هشام تيّاهاً شديداً
الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذاه صاح به:

يا ابنَ الهشامَيْنِ طُراً حَزَتْ مَجْدَهُمَا وما تَخَوَّنَه نَقْضُ وإِمْرَارُ
لا تُشْمِتَنَّ بي الأعداءَ إنْهُمْ بيني وبينك سُمَّاعٌ ونُظَّارُ
[وإنْ شُكِرِي إنْ رُدُّوا بَعْيِظْهُمْ في ذَمِّه اللَّهَ إعلَانٌ وإِسْرَارُ]
فاكُرُّ بنائلكَ المَحمودَ من سَعَةٍ عَلَيَّ إنْكَ بالمَعروفِ كَرَّارُ^(١)

[البسيط]

فقال لحاجبه: قل له يرجع إليّ إذا عدت، فرجع فأدخله عليه وقضى دينه وكساه
ووصله وعاد إلى ما عهده منه.

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثني مصعب، عن أبيه قال:
عبر بعروة بن أذينة حِمَارُهُ عند ثنية العُوَيْلِ فقال عروة:

لَيْتَ العُوَيْلِ^(٢) مَسْدُودٌ وَأَصْبَحَ مِنْ فوقِ الثَّنِيَّةِ فِيهِ رَذْمٌ يَأْجُوجُ
فِيَسْتَرِيحُ ذَوو الحَاجَاتِ مِنْ غَلَطِ ويسلك السَّهْلَ يَمْشِي كُلُّ مَنْتُوجِ^(٣)

[البسيط]

فقال محمد بن بشير الخارجي يردّ عليه:

سَبْحَانَ رَبِّكَ بَيْتٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ مَا يَسْدُدُ اللَّهَ يُصْبِحُ وَهُوَ مَرْتُوجُ^(٤)
وَهَلْ يُسَدُّ وَلِلْحُجَّاجِ فِيهِ إِذَا مَا صَعَدُوا فِيهِ تَكْبِيرٌ وَتَلْجِجُ^(٥)
مَا زَالَ مِنْذَ أَذَلَّ اللَّهَ مَوْطِئَهُ وَمِنْذَ أَذَنَّ إِنَّ الْبَيْتَ مَحْجُوجُ
يُهْدِي لَهُ الْوَفْدُ وَفَدَ اللَّهَ مُطْرَفُهُ^(٦) كَأَنَّهُ شُطْبُ^(٧) بِالْقَدِّ^(٨) مَنْسُوجُ
خَلَّ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا إِنْ زَائَرَهَا وَالسَّاكِنِينَ بِهَا الشُّمُّ الْأَبَالِيجُ^(٩)
لَا يَسُدُّ اللَّهَ نَقْباً كَانَ يَسْلُكُهُ الـ بِيضُ الْبَهَالِيلِ وَالْهُوجُ^(١٠) الْعَنَاجِيجُ^(١١)

(١) كَرَّار: مكثر العود.

(٢) العويل: الغليظ/ وهنا موضع.

(٣) منتوج: مؤخر.

(٤) مرتوج: مغلق.

(٥) التلجج: المبالغة في الدعاء وغيره.

(٦) المُطْرَف: العبادة من الخز.

(٧) الشُّطْب: مفردا الشطبة، وهي طريقة السيف في متنه.

(٨) القَدِّ: قدر الشيء.

(٩) الأبالج: الواضح.

(١٠) الهوج: مفردا هوجاء وهي الناقة المسرعة الطائشة.

(١١) العناجيج: جياذ الخيل والإبل.

لوسدّه اللّهُ يوماً ثم عَجَّ له من يَسْلُكُ النّقْبَ أَمسى وهو مفروجُ
[البسيط]

أخبرني الحسن قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب قال:

كان للخارجي أخ يقال له بشار بن بشير، وكان يجالس أعداءه ويعاشر من يعلم أنه مُباينٌ له، وفيه يقول:

وإني قد نصحتُ فلم تُصدّقْ بنصحي واعتددتُ فما تبالي
أراني قد بدا لي أن نُصحي لَعَيِّكَ واعتدادي في ضلالِ
فكم هذا أذودُك عن قِطاعي كَتَدْوِيدِ المَحَلَّةِ^(١) النّهالِ^(٢)
فلا تَبْغِ الذنوبَ عليّ واقصِدْ لأمرِك من قِطاعٍ أو وصالِ
فسوف أرى خالك من تُصافي إذا فارقتني وترى خاللي
وإن جزاء عهدك إذ تُولّي بأن أغضي وأسكت لا أبالي
[الوافر]

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني سليمان بن عيَّاش قال:

كان الخارجي معجباً بزوجه سعدى، وكانت من أسوأ الناس خلقاً وأشدّهم على عَشِيرٍ، فكان يلقي منها عَنَتاً، فغاضبها يوماً لقول آذته به واعتزلها وانتقل إلى زوجته الأخرى فأقام عندها ثلاثاً، ثم اشتاق إلى سعدى وتذكّرها وبدأ له في الرجوع إلى بيتها فتحول إليها وقال:

أراني إذا غالبتُ بالصبر حُبّها أبى الصبر ما ألقى بسعدى فأغلبُ
وقد علمتُ عند التعائب أننا إذا ظلمتُنا أو ظلمنا سنُعْتَبُ
وإني وإن لم أجنِ ذنباً سأبتغي رضاها وأعفو ذنبها حين تُذنبُ
وإني إذا أذنبتُ فيها يزيدني بها عجباً من كان فيها يُؤنَّبُ
[الطويل]

أخبرني عيسى قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عيَّاش قال:

كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه ويجالس أعداءه فقال الخارجي فيه:

(١) المحلّة: الإبل المطرودة عن الماء.

(٢) النّهال: العطاش.

كفاني الذي ضيّعت متي وإنما
صنيعة من ولاءك سوء صنيعةها
أبى لك كسب الخير رأيي مقصّر
إذا هي حثّته على الخير مرة
فلولا رجال كاشحون^(١) يسرهم
إذا كان إن زلت بك النعل زلة
وإني متى أحمل على ذاك أطلع
فإن تك أحلام ترد إخواننا
سأنهاك نهياً مجملاً وقصائداً
ومن يجتلب نحوي القصائد يجتلب
إذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني الزبير قال: حدثني سليمان بن
عياش قال:

لما دفن زيد بن الحسن وانصرف الناس عن قبره جاء محمد بن بشير إلى
الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه، فأخذه بعضادتي الباب وقال:
أعينني جوداً بالدموع وأسعداً
ولا زيد إلا أن يجود بعبرة
وما كنت تلقى وجه زيد ببلدة
لعمري أبي الناعي لعمت مصيبة
وأنتى لنا أمثال زيد وجده
وكان حليفه السماحة والندي
غدت غدوة ترمي لؤي بن غالب
أغر بطاحي بكت من فراقه

بني رجم ما كان زيد يهينها
على القبر شاكي نكبة يستكينها
من الأرض إلا وجه زيد يزينها
على الناس واختصت قصياً رصينها
مبلغ آيات الهدى وأمينها
فقد فارق الدنيا نداها ولينها
بجعدي الثرى فوق امرئ ما يشينها
عكاظ فبطحاء الصفا فحججونها

(١) كاشحون: مضمرون العداوة.

(٢) الضداع: وجع الرأس.

(٣) الحري: التهاب الثآليل.

[الطويل]

فقل لِّلتي يعلو على الناس صوُّها
[وأرملة تبكي وقد شقَّ جيبُها
ولو فقِهَتْ ما يفقه الناس أصبحت
نعاه لنا الناعي فظَلْنَا كأننا
وزالت بنا أقدامنا وتقلَّبت
وآب أولو الألباب مِنَّا كأننا
سقى الله سُقيا رحمة تُرَبِّ حفرة
ألا لا أعان الله من لا يُعينُها
عليه فآبَتْ وهي شعثٌ قرونها]
خواشعَ أعلام الفلاة وعينُها
نرى الأرض فيها آية حان حينُها
ظهورُ روابيها بنا وبُطونُها
يرون شِمَالاً فارقَتْها يَمِينُها
مُقيم على زيدٍ ثراها وطِينُها
[الطويل]

قال فما رُئي يومٌ أكثر باكياً من يومئذٍ.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِرَاس
قال: حدثني العُمريُّ، عن لَقِيظ، قال:

كان محمد بن بشير الخارجي من أهل المدينة، وكانت له بنت عم سَرِيَّة
جميلة، وخطبها غير واحد من سَرَوَات قريش فلم ترضه، فقال لأبيهِ: زَوِّجْنِيهَا، فقال
له: كيف أزوجكها وقد ردَّ عَمُّكَ عنها أشراف قريش؟ فذهب إلى عمه فخطبها إليه
فوعده بذلك وقَرَّب منه، فمضى محمد إلى أبيه فأخبره، فقال له: ما أراه يفعل، ثم
عاوده فزَوَّجه إياها، فغضبت الجارية وقالت له: خطبني إليك أشراف قريش فرددتهم
وزوجتني هذا الغلام الفقير، فقال لها: هو ابن عمك وأولى الناس بك، فلما بنى بها
جعلت تستخفُّ به وتستخدمه وتبعثه في غنمها مرَّة وإلى نخلها أخرى، فلما رأى ذلك
من فعلها قال شعراً ثم خلا يترنم به ويُسمِعُها وهو:

تشاقلتُ أن كنتُ ابنَ عمِّ نكحتِهِ
فإنك إلَّا تتركِي بعض ما أرى
تَلْزُكُ^(٢) ما استطاعت إذا كان قَسْمُها
متى تحمليها منك يوماً لحالة
فَمِلتِ وقد يُشفي ذُو الرأي بالعَدْلِ^(١)
تُنَازِعُكَ أُخْرَى كَالْقَرِينَةِ فِي الْحَبْلِ
كَقَسْمِكَ حَقًّا فِي التَّلَادِ وَفِي الْبَعْلِ
فَتَتَبَعُهَا تَحْمِلُكَ يَوْمًا عَلَى مِثْلِ
[الطويل]

قال: فصلحت ولم ير [منها بعد ما سمعت] شيئاً يكرهه.

(١) العذل: الملامة.

(٢) تَلْزُكُ: تدفعك.

صوت

علام هَجَرْتِ ولم تُهَجِّرِي ومثلُك في الهجر لم يُعَذِّرِ
 قطعتِ حبالك من شادن^(١) أغنَّ قَطُوفِ^(٢) الخطأ أحور
 [المتقارب]

الشعر لسُديف مولى بني هاشم، والغناء لأبي العُبَيْس بن حمدون خفيف ثقیل
 بالسبابة والوسطى.

(١) الشَّادِن: المستغني عن أمه.

(٢) القَطُوف: البطيئة في السير.

ذكر سديف وأخباره

هو سُديفُ بن ميمون مولى خُزاعة، وكان سبب ادّعائه ولاء بني هاشم أنه تزوج مولاة لآل أبي لهب فادعى ولاءهم ودخل في جملة مواليهم على الأيام، وقيل: بل أبوه ميمون هو كان المتزوج مولاة اللَّهبيّين فولدت منه سُديفاً فلما يَفَعَ وقال الشعر وعُرف بالبيان وحسن العارضة ادعى الولاء في موالي أبيه وغلبوا عليه.

وسديف شاعر مُقِلٌّ من شعراء الحجاز ومن مخضرمي الدولتين، وكان شديد التعصب لبني هاشم مظهراً لذلك في أيام بني أمية، وكان يخرج إلى أحجار صفاء في ظهر مكة يقال لها صُفيّ السَّبَابِ، ويخرج مولى لبني أمية معه يقال له سَبَلْب فيتسابان ويتشاتمان ويذكران المثالب والمعائب، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا، فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشجاج، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم ويعاقب الجناة، فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت في العامة والسُّفلة، وكانوا صنفين يقال لهم السُّديفيّة والسَّبَلبيّة طول أيام بني أمية، ثم انقطع ذلك في أيام بني هاشم وصارت العصبية بمكة بين الحنّاطين والجزّارين.

أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني فُليح بن إسماعيل قال:

قال سديف قصيدته يذكر فيها أمر بني حسن بن حسن ومخرجهم وأنشدها المنصور بعد قتله محمد بن عبد الله بن حسن، فلما أتى على هذا البيت:

يَا سَوَاتِلَ الْقَوْمِ لَا كَفُّوا وَلَا إِذْ حَارَبُوا كَانُوا مِنَ الْأَحْرَارِ
[الكامل]

فقال له المنصور: أتعرضهم عليّ يا سُديف؟ قال: لا ولكني أؤنبهم يا أمير المؤمنين.

وذكر ابن المعتز أن العوفيّ حدثه، عن أحمد بن إبراهيم الرّياحيّ قال:

سَلَّمَ سديف بن ميمون على رجل من بني عبد الدار، فقال له العبديّ: من أنت يا هذا؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سُديف بن ميمون، قال له: واللّه يا هذا ما في

قومي سديف ولا ميمون، قال: صدقت، لا والله ما كان فيهم قط ميمون ولا مبارك.

صوت

لعمرك إنني لأحب داراً تكون بها سُكينةُ والربابِ
أحبهما وأبذل جُلّ مالي وليس لعاتبٍ عندي عتابُ
[الوافر]

الشعر للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، والغناء لابن سريج رمل
بالبنصر، وفيه للهدلي ثقل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبار الحسين بن علي ونسبه

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وقد ذكرت هذا النسب في عدة مواضع من هذا الكتاب، واسم أبي طالب عبد مناف، واسم عبد المطلب شيبه، واسم هاشم عمرو.

وأم علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية تزوجها هاشمي، وهي أم سائر ولد أبي طالب.

وأم الحسين بن علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأما خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وكانت خديجة تكنى أم هند، وكانت فاطمة تكنى أم أبيها، ذكر ذلك قعنّب بن المَحْرَز قال: حدثني أبو نعيم عن الحسن بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه.

وكان علي بن أبي طالب سمي الحسن حرباً فسماه رسول الله ﷺ الحسن [ثم ولد له الحسين فسماه حرباً فسماه رسول الله ﷺ الحسين].

حدثني بذلك أحمد بن الجعد قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال: حدثني يحيى بن عيسى قال: حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال:

قال علي بن أبي طالب: كنت رجلاً أحب الحرب، فلما وُلد الحسن هممت أن أسميه حرباً فسماه رسول الله ﷺ الحسن، فلما ولد الحسين [هممت أن أسميه حرباً فسماه رسول الله ﷺ الحسين]، ثم قال سميتهما باسمي [ابني هارون: شبر وشبير].

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي قال: حدثنا [أحمد بن يحيى الأحول قال: حدثنا خلاد المقرئ قال]: حدثنا قيس بن الربيع، عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب، عن ابن عمر قال:

كان على الحسن والحسين تعويذتان حشوهما من زَعَب جناح جبريل عليه السلام.

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علي في امرأته الرّباب بنت امرئ القيس بن عدي

[بن أوس] بن جابر بن كعب بن عُليم [بن كلب] بن وَبْرَة بن ثعلبة بن عمران بن إلحاف بن قُضَاعَة. وأمها هند بنت الربيع بن مسعود بن معاذ بن حصين بن كعب بن عليم بن كلب، وفي ابنته سُكينة بنت الحسين. واسم سُكينة أميمة وقيل آمنة، وسُكينة لقب لُقبت به. قال مصعب فيما أخبرني به الطُّوسِيُّ عن الزبير عنه: إن اسمها آمنة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو نعيم، عن عمر بن ثابت، عن مالك بن أَعِين قال: سمعت سُكينة بنت الحسين عليهما السلام تقول: عاتب عمِّي الحسنُ أبي في أُمِّي فقال:

لعمرك إنني لأُحِبُّ داراً تكون بها سُكينة والرَّبابُ
أحُبُّهما وأبذل جُلِّ مالي وليس لعاتب عندي عتابُ
[الوافر]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثنا العمري، عن ابن الكلبي، عن أبيه قال: قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن: ما اسم سُكينة بنت الحسين؟ فقلت له: سُكينة، فقال: لا، اسمها آمنة.

وروي أن رجلاً سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سُكينة فقال: أمينة، فقال: إن ابن الكلبي يقول أميمة، فقال: سل ابن الكلبي عن أمه وسلني عن أُمِّي. قال المدائني: حدثني أبو إسحاق المالكِي. [قال: سُكينة لقب، واسمها آمنة وهذا هو الصحيح.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد]:

قال: حدثنا يحيى بن الحسين العلوي قال: حدثنا شيخ من قریش قال: حدثنا ابن حذافة أو غيره قال: أسلم امرؤ القيس بن عديٍّ على يد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فما صلى صلاة حتى ولَّاه عمر، وما أمسى حتى خَطَبَ إليه عليٌّ عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها، فولدت له عبد الله وسُكينة ولَدَي الحسين عليهما السلام وفي سُكينة وأمها يقول:

لعمرك إنني لأُحِبُّ داراً تكون بها سُكينة والرَّبابُ
[الوافر]

وذكر البيت الآخر وزاد بعد البيتين:

فلست لهم وإن غابوا مُضِيعاً حياتي أو يغيبني التُّرابُ
[الوافر]

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي عبد الرحمن الغلابي وهو أتم قال: حدثنا صالح عن علي بن مجاهد عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبي قال: أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال: حدثني خالي عبد الجبار بن منظور بن زَبَّان بن سيار الفزاري قال: حدثني عوف بن خارجة المُرِّي قال:

والله إني لعند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خلافته إذ أقبل رجل أفحج^(١) أجلح^(٢) أمعر^(٣) يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر فحياه بتحية الخلافة، فقال له عمر: فمن أنت؟ قال: أنا امرؤ نصراني، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي، قال: فعرفه عمر، فقال له رجل من القوم: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج، قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام، فعرضه عليه عمر - رضي الله عنه - فقبله، ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاة، فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه، قال عوف: فوالله ما رأيت رجلاً لم يُصلِّ لله جلَّ وعزَّ ركعة قطَّ أُمِرَّ على جماعة من المسلمين قبله، ونهض علي بن أبي طالب من المجلس ومعه ابنه حسن وحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ بثيابه، فقال له: يا عم، أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وهذان ابناي من ابنته، وقد رغبت في صهرك فأنكحنا، فقال: قد أنكحتك يا علي المَحِيَّاة بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس.

وقال هشام بن الكلبي: كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن، وخطبت بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت: ما كنت لأتخذ حَمُوءاً بعد رسول الله ﷺ.

قال المدائني: حدثني أبو إسحاق المالكي قال:

قيل لسكينة، واسمها آمنة وسكينة لقب: أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح؟ فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة تعني فاطمة بنت

(١) الأفحج: الذي تدانت صدور قدميه وتباعده عقباه.

(٢) الأجلح: الذي انحسر الشعر عن جانبي رأسه.

(٣) الأمعر: القليل الشعر.

رسول الله ﷺ وسميتوني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام، تعني أمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ.

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني، عن قَعْنَب بن المُحَرِّز الباهلي عن محمد بن الحكم، عن عوانة قال:

رثت الرباب بنتُ امرئ القيس أمُّ سُكينة بنتِ الحسين زوجها الحسين بن علي حين قتل فقالت:

بَكَرْبلاء قَتِيلٌ غَيْرُ مَدْفُونٍ عَنَّا وَجُنُبَتْ خَسِرَانِ الْمَوَازِينِ وَكُنْتُ تَصْحَبُنَا بِالرُّحْمِ وَالذِّينِ يُغْفَى وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مُسْكِينٍ حَتَّى أُغَيَّبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطُّيْنِ [البسيط]	إِنَّ الَّذِي كَانَ نُوراً يُسْتَضَاءُ بِهِ سَبَطَ النَّبِيُّ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلاً صَعْباً أَلُوذُ^(١) بِهِ مَنْ لِّلْيَتَامَى وَمَنْ لِّلسَّائِلِينَ وَمَنْ وَاللَّهُ لَا أَبْتَغِي صَهْراً بِصَهْرِكُمْ
--	---

(١) أَلُوذُ بِهِ: أَحْتَمِي بِهِ.

أخبار سكينه بنت الحسين

أخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير عن عمه قال: أخبرني إسماعيل بن يعقوب قال: وحدثني أحمد بن [محمد بن] سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوي عن الزبير عن عمه، قال: أخبرني إسماعيل بن يعقوب، وعبد الله بن موسى، قالوا:

كان الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب خطب إلى عمه الحسين، فقال له الحسين: يا ابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معي، فخرج به حتى أدخله منزله فخيره في ابنتيه فاطمة وسكينه. فاختار فاطمة فزوجه إياها. وكان يقال: إن امرأة تُختار على سكينه لمنقطعة القرين في الحُسْن، وقال عبد الله بن موسى في خبره: إن الحسين خيره فاستحيا فقال له: قد اخترت لك فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحيى بن الحسين العلوي قال: كتب إليَّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدي يحيى بن سليمان بن الحسين قال: كانت سكينه في مأتم فيه بنت لعثمان - رضي الله عنه -، فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد، فسكتت سكينه، فلما قال المؤذن: وأشهد أنّ محمداً رسول الله. قالت سكينه: هذا أبي أو أبوك؟ فقالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبداً.

حدثني أحمد بن محمد قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا مروان بن موسى القروي قال: حدثنا بعض أصحابنا قال:

كانت سكينه تجيء في ستارة يوم الجمعة فتقوم بإزاء ابن مُطيرة وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم إذا صعد المنبر فإذا شتم علياً شتمته هي وجواريتها، فكان يأمر الحرس فيضربون جواريتها.

أخبرني الطوسي، عن الزبير، عن عمه مصعب قال:

كانت سكينه عفيفة مسلمة برّرة من النساء تجالس الأجلّاء من قريش، وتجتمع إليها الشعراء وكانت ظريفة مَرّاحة.

أخبرني الطوسي قال: حدثنا الزبير، عن عمه قال: حدثني معاوية بن بكر قال:

قالت سُكينة: أَدخلت على مُصعب وأنا أحسن من النار الموقدة.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن موسى، عن أبي أيوب المدني عن مصعب قال: كانت سُكينة أحسن الناس شَعراً، وكانت تُصَفِّفُ جُمَّتَها^(١) تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه حتى عُرف ذلك، وكانت تلك الجُمَّة تسمى السُّكينية وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلاً قد صفف جمته السُّكينية جلده وحلقه.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، عن أبي سفيان الحميري قال:

بعثت سُكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حَبَش بن دَلَجَة بغالية لأنه من أخوالها فلما وصلت إليه قال: فأين كانت عن الصَّيَّاح؟ يقدَّر أن الصَّيَّاح أرفع من الغالية.

وقال محمد بن سلام: كانت سُكينة مَزَّاحَة^(٢) فليسعتها دُبْرَة^(٣) [فولولت]، فقالت لها أمتها: ما لك يا سيدتي وجزعت، فقالت: لسعتني دُبْرَة، مثل الأُبيرة فأوجعتني فُطيرة^(٤).

وقال هارون بن أبي عبيد الله: حدثني ضمرة بن ضمرة قال:

أجلست سُكينة شيخاً فارسياً على بَيْض، وبعثت إلى سليمان بن يسار كأنها تريد أن تسأله عن شيء، فجاءها إكراماً لها فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالساً على السَّلَّة فيها البيض [فولَّى يُسَبِّح].

قال: وبعثت سُكينة إلى صاحب الشرطة بالمدينة أنه دخل علينا شامي فابعث إلينا بالشرط، فركب ومعه الشرط، فلما أتى إلى الباب أمرت ففتح له، وأمرت جارية من جواربها فأخرجت له بُرغوثة [فقال: ما هذا؟] قالت: هذا الشامي الذي شكواه. فانصرفوا يضحكون.

قصة لأشعب:

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال: حدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو هِثَّان قال: حدَّثنا يوسف بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدي، قال: حدثني إبراهيم بن المهدي أن الرشيد لما ولاه دمشق استوهبه صحبة دُبْيَة

(٢) مَزَّاحَة: كثيرة المزاح.

(٤) فُطيرة: الألم الطفيف.

(١) الجُمَّة: مجتمع شعر الرأس.

(٣) دبيرة: نحلة أو زنبورة.

والغاضري وعبيدة بن أشعب وحكم الوادي فوهبهم له، فأشخصه معه، قال: وكان فيما حدثني [عن] عبيدة، قال: قال إبراهيم: ركبت جَمَازَةً^(١) وهو عَدِيلِي ونمت على ظهرها، فلما بلغنا ثَنِيَّةَ الْعُقَابِ اشْتَدَّ عَلَيَّ البرد فاحتجت إلى أن ازداد في الدثار، فدعوت بدُواج^(٢) سَمُور^(٣) فألقيته على ظهري، ودعوت بمن كان معي في سمري في تلك الليلة وكانوا حولي، فقلت لابن أشعب: حدثني بأعجب ما تعلم من طمع أبيك، فقال: أعجب من طمع أبي طمع ابنه، فقلت: وما بلغ من طمعك؟ فقال: دعوت أنفأ لما اشتدَّ عليك البرد بدواج سَمُور لتستدفئ به فلم أشكك في أنك دعوت به لتجعله عليّ فغلبنني الضحك وخلعت عليه الدواج ثم قلت له: ما أحسب لك قرابةً بالمدينة، فقال: اللَّهُمَّ غَفْرًا، لي بالمدينة قرابات وأي قرابات. قلت: أيتكونون عشرة؟ قال: وما عشرة؟ قلت: فعشرين؟ قال: اللَّهُمَّ غَفْرًا، لا تذكر العشرات والمئين وتجاوز ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها. قلت: ويحك ليس بينك وبين أشعب أحد، فكيف يكون هذا؟ فقال: إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان لما تزوج سكينه بنت الحسين خفَّ أبي على قلبها فأحسنَت إليه، وكانت عطاياها تأتيه خلاف عطايا مولاه، فمال إليها بكُلِّيَّتِهِ. قال: وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فاستأذن زيدُ بنُ عمرو سكينه، وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة، وأنه لا يمكنه التخلُّف عن الحج معه، وكانت لزيد ضَيْعَةٌ يقال لها العَرَج، وكان له فيها جوارٍ، فأعلمته أنها لا تأذن له إلا أن يخرج أشعبُ معه فيكون عَيْنًا لها عليه، ومانعًا له من العدول إلى العَرَج، ومن اتخاذ جارية لنفسه في بدأته ورجعته ففنع بذلك وأخرج أشعب معه، وكان له فرس كثير الأوصاح^(٤) حسن المنظر يصونه عن الركوب إلا في مسامرة خليفة أو أمير أو يوم زينة، وله سرج يصونه أن يركب به غير ذلك الفرس، وكان معه طَيْبٌ لا يَطَيَّبُ به إلا مثل ذلك اليوم الذي يركب فيه وحُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يصونها عن اللبس إلا في يوم يحبُّ التجمُّلَ فيه بها، فحجَّ مع سليمان، وكانت له عنده حوائج كثيرة فقضاها ووصله وأجزل صلته، وانصرف سليمان من حجِّه ولم يسلك طريق المدينة، وانصرف ابن عثمان يريد المدينة، فنزل على ماءٍ لبني عامر بن صَعْصعة، ودعا أشعب فأحضره، وصر صُرَّةً فيها أربعمئة دينار، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلا أميال، وأنه إن أذن له في المسير إليها والمبيت عند جواريه غلَّس^(٥) إليه فوافاه في وقت ارتحال الناس

(١) الجَمَازة: الناقة التي يركبها المسرع. (٢) الدواج: اللِّحاف الذي يُلبَس.

(٣) السَّمُور: دابة يُتخذ من جلدها فراء مُثَمَّنَةٌ. (٤) الأوصاح: مفردُها وضح وهو التحجيل.

(٥) غلَّس: سار في ظلمة الليل.

ووهب له الأربعمئة دينار، فقبل يده ورجله وأذن له في السير إلى حيث أحب، وحلف له أنه يحلف لسكينة بالأيمان المُرَجَّة أنه ما صار إلى العرج ولا اتخذ جارية منذ فارق سكينة إلى أن رجع إليها، فدفع إليه مولاة الدنانير ومضى. قال أبو إسحاق: قال ابن أشعب: حدثني أبي: أنه لم يتوهم أن مولاة سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رَحْلُ زيد جاريتين عليهما قُرْبَتان، فألقتا القريبتين وألقتا ثيابهما عنهما ورمتا بأنفسهما في الغدير وعامتا فيه ورأى من مُجَرَّدِهِمَا ما أعجبه واستحسنه، فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما فأعلمتا أنهما من إماء نسوة خُلُوفِ لبني عامر بن صعصعة هنَّ بالقرب من ذلك الغدير، فسألهما: هل يسهل على مولياتهما محادثة شيخ حسن الخلق طيب العشرة كثير النوادر؟ فقالتا: وأئى لهن بمن هذه صفته؟ فقال لهما: فأنا ذلك، قالتا له: فانهض معنا، فوثب إلى فرس زيد فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به ويركبه، ودعا بحلته التي كان يَضُنْ بلبسها فلبسها، وأحضر السفط الذي كان فيه طيبه فتطيب منه، وركب الفرس ومضى معهما حتى وافى الحي، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر، فأقبل في ذلك الوقت رجال الحي وقد انصرفوا غانمين من غزواتهم، وأقبلت تمرُّ به الرَّعْلَةُ^(١) بعد الرعلة فيقفون به فيقولون: ممن الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقول كلُّ من اجتاز به: ما نرى بأساً وينصرفون عنه، إلى قرب غروب الشمس، فأقبل عليه شيخ فانٍ على حِجْرٍ^(٢) هرمة هزيلة، ففعل مثل ما كان [يفعل من اجتاز، فسأله مثل ما يسألون عنه، فأخبره بمثل ما كان] يخبر من تقدمه، فقال مثل قولهم [قال ابن أشعب: قال أبي] فرأيت الشيخ قد وقف بعد قوله فأوجست منه خيفة، لأنني رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ورفعهما، ثم استدار ليري وجهي، فركبت الفرس، فما أنا إلا أن استويت عليه حتى سمعته يقول: أقسم بالله ما هذا قُرشي وما هو إلا وجه عبد، فركضت فرسي [وركض خلفي]. فرأى حِجْرَهُ مقصرة [وهو يقول: من أنت واتبعني، فلما يئس من اللحاق بي انتزع سهماً فرماني به، فوقع في مؤخرة السرج فكسرها، ودخلتني من صوته روعة ثلثت^(٣) لها في الحلة لشدة فزعي، ووافيت رحل مولاي فغسلت الحلة وشررتها^(٤)] فلم تجفَّ ليلاً، وغلَّس مولاي زيدٌ من العرج فوافاني في وقت الرحيل، فرأى الحلة مَشْرورة، ومؤخرة السرج مكسورة، والفرس قد أضرَّ به الركض، وسقط الطيب مكسوراً مفضوض الخاتم. فسألني عن السبب فصدقته، فقال

(١) الرَّعْلَةُ: القطعة من الخيل.

(٣) ثَلُط: لطح.

(٢) الحِجْر: الفرس.

(٤) شَرَرْتُهَا: نشرتها لتجف.

لي: ويحك أما كفاك ما صنعتَ بي حتى انتسبت في نسيي [فجعلتني عند أشرف قومي جمّاشاً؟] وسكت عني ولم يقل لي أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة، فلما وافاها سألتها سكيّنة عن خبره فقال لها: يا بنت رسول الله ﷺ، وما سؤالك إياي ولم يزل يُثَقِّتُك معي وهو أمين عليّ؟ فسليّه عن خبري يَصُدُّقُك عنه، فسألتنني فأخبرتها أنني لم أنكر عليه شيئاً، ولم أمكنه من ابتياع جارية، ولم أطلق له الاجتياز بالعرج. فاستخلفتني على ذلك، فلما حلفت لها بالأيمان المخرجة فيها طلاق أمك، وثب فوقف بين يديها وقال: [أي بنت عمّ] ويا بنت رسول الله كذبك والله العليج [ولقد أخذ مني أربعمئة دينار على أن أذن لي في المصير إلى العرج] فأقمت بها يوماً وليلة وغسلت بها عدة من جوارِي، وها أنا ذا تائب إلى الله عز وجل مما كان مني، وقد جعلت توبتي وهبهن لك، وتقدمت في حملهن إليك، وهُنَّ مَوافياتُ المدينة في عشيّة هذا اليوم، فبيعهنّ وعتقهنّ إليك [الأمرُ فيه] وأنت أعلم بما ترين في العبد السَّوء. فأمرتنني بإحضار الأربعمئة دينار، فلما أحضرتها أمرت بابتياع خشب بثلاثمئة دينار [ثم أمرت بنشره] وليس عندي ولا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه. ثم أمرت بأن يُتَّخَذَ بيتٌ كِسْرٌ. وجعلت النفقة عليه في أجر النجّارين من المائة الدينار الباقية، ثم أمرت بابتياع بَيْضٍ وَتَبْنٍ وَسِرْجَيْنِ بما بقي من المائة الدينار بعد أجرة النجّارين، ثم أدخلتنني والبيض والتبّن والسرجين في ذلك البيت، وحلفت بحق جدّها ألاّ أخرج من ذلك البيت حتى أحضن ذلك البيض كلّهُ إلى أن يَنْقَبَ ففعلت ذلك ولم أزل أحضنه حتى نَقِبَ كلّهُ فخرج منه ألوف الفراريح، ورُبِّيتُ في دار سكيّنة، وكانت تنسبهن إليّ وتقول: بنات أشعب [ونسَلُ أشعب] قال أبو إسحاق: قال لي: وبقي من ذلك النسل في أيدي الناس إلى الآن وكلهم إختوت وأهلي.

قال: فضحكتُ والله حتى غُلِبْتُ، وأمرْتُ له بعشرة آلاف درهم فحملت بحضرتي إليه.

أخبرني الطوسي والحرَميّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني عمي مصعب قال:

تزوجت سكيّنة بنت الحسين غير زوج، أولهم عبدُ الله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها وأبو عذرتها^(١)، ومصعب بن الزبير، وعبدُ الله بن عثمان الحزاميّ، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها،

(١) أبو عذرتها: الذي فضّ بكارتها.

وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها. قال مصعب: وحدثني يحيى بن الحسن العلوي: أن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر وأمه بنت السليل بن عبد الله البجلي أخي جرير، ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوجه إياها أخوها علي بن الحسين ومهرها مصعب ألف ألف درهم، قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان: أن علي بن الحسين أخاها حملها إليه فأعطاه أربعين ألف دينار. قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهلي قال: قالت سكينه: دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة في الليلة القرة^(١)، قال: وولدت من مصعب بنتاً فقال لها: سميتها زبراء قالت: بل أسميها باسم إحدى أمهاتي، وسمتها الرباب، فلما قتل مصعب ولي أخوه عروة تركته فزوجها - يعني الرباب بنت مصعب - ابنه عثمان بن عروة، فماتت وهي صغيرة، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار.

قال الزبير: فحدثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر:

عن أمه سعدة بنت عبد الله بن سالم قالت: لقيت سكينه بين مكة ومنى فقالت: قفي يا ابنة عبد الله، فوقفت فكشفت عن بنتها من مصعب، وإذا هي أثلتها بالحلي واللؤلؤ، فقالت: ما ألبستها إياه إلا لتفضحه.

قال الزبير وحدثني عمي عن ابن الماجشون قال:

قالت سكينه لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك، وقالت عائشة: بل أنا أجمل فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة فقال: لأفضين بينكما، أما أنت يا سكينه فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها، فقالت سكينه: قضيت لي والله، وكانت سكينه تسمي عائشة ذات الأذنين وكانت عظيمة الأذنين.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني

قال:

خطب سكينه بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان فقالت أمها: لا والله لا يتزوجها أبداً وقد قتل ابن أخي تعني مصعباً.

وأما محمد بن سلام الجمحي فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن

الرياشي عنه:

أن أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن علي ثم خلفه عليها العثماني ثم

(١) الليلة القرة: الليلة الشديدة البرد.

مصعب بن الزبير ثم الأصبع بن عبد العزيز بن مروان فقال فيه بعض المدينيين:

نُكِحَتْ سَكِينَةُ فِي الْحِسَابِ ثَلَاثَةً فَإِذَا دَخَلَتْ بِهَا فَأَنْتَ الرَّابِعُ
[الكامل]

قال: وكان يتولى مصر، فكتبت إليه: إن مصر أرض وخمة^(١)، فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصبع، وبلغ عبد الملك تزوجه إياها فنفس بها عليه، فكتب إليه: اختر مصر أو سكينه، فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ومتعها بعشرين ألف دينار.

ومروا بها في طريقها على منزل فقالت: ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: جوف الحمار، قالت: ما كنت لأدخل جوف الحمار أبداً.

وذكر محمد بن سلام في هذا الخبر - الذي رواه الرياشي - عن شعيب بن صخر الحرامي أن عبد الله بن عثمان خلف الأصبع عليها وولدت منه بنتاً، وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينه أرتها ابنتها من الحزامي وقد أثلتها بالحلي وهي في قبة فقالت: والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه، تريد أنها تفضح الحلي بحسنها لأنها أحسن منه.

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن صالح بن حسان وغيره:

أن سكينه كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام، ثم تزوجها بعد ذلك زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، ثم تزوجها مصعب بن الزبير، فلما قُتل مصعب خطبها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فبعثت إليه: أبلغ من حُمقك أن تبعث إلى سكينه بنت الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تخطبها؟ فأمسك عن ذلك، قال ثم تنفست يوماً بُنَانَةً جارية سكينه وتنهدت حتى كادت أضلاعها تنحطم، فقالت لها سكينه: ما لك ويلك؟ قالت: أحب أن أرى في الدار جَلْبَةً، تعني العرس، فدعت مولى لها تثق به فقالت له: اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فقل له: إن الذي كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه وأنت من أخوال رسول الله ﷺ [فاحضر تنل] قال: فجمع عدة من بني زهرة وأفناء قريش من بني جُمح وغيرهم نحواً من سبعين رجلاً أو ثمانين ثم أرسل إلى علي بن الحسين وحسن بن حسن وغيرهما من بني هاشم، فلما أتاهم الخبر اجتمعوا وقالوا: هذه السفينة تريد أن تتزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: فتنادى بنو هاشم واجتمعوا وقالوا: لا يخرجنَّ منكم

(١) أرض وخمة: أرض لا يُنَجَّع كلؤها.

إنسان إلا ومعه عصا، فجاءوا وما بقي إلا الكلام فقالوا: اضربوا، فاضطربوا بالعصي هم وبنو زهرة حتى تشاجوا، فشج بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان، ثم قالت بنو هاشم: أين سكينه؟ قالوا: في هذا البيت، فدخلوا إليها فقالوا: أبلغ هذا من صنعك؟ ثم جاءوا بكساء طارون^(١) فبسطوه، ثم حملوها وأخذوا بجوانبه. أو قال: بزواياه الأربع، فالتفتت إلى بُنَانَةٍ فقالت: أي بُنَانَةٌ، قالت: لبيك، قالت: أرايت في الدار جلبة؟ قالت: إي والله إلا أنها شديدة.

قال هارون بن الزيات: أخبرني أبو حذيفة، عن مصعب قال:

كان أول أزواج سكينه عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قتل عنها ولم تلد له، ثم خلف عليها مصعب بن الزبير فولدت له جارية، ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فنشزت عليه فطلقها، ثم خلف عليها الأصبع بن عبد العزيز فأصدقها صداقاً كثيراً قال الشاعر:

نُكِحَتْ سَكِينَةُ فِي الْحَسَابِ ثَلَاثَةً فَإِذَا دَخَلْتَ بِهَا فَأَنْتَ الرَّابِعُ
إِنَّ الْبَقِيعَ إِذَا تَبَاعَ زَرْعُهُ خَابَ الْبَقِيعُ وَخَابَ فِيهِ الزَّرْعُ
[الكامل]

وبلغ ذلك عبد الملك فغضب. وقال: أما تزوجنا أحسابنا حتى تزوجنا أموالنا؟ طلقها، فطلقها فخلف عليها العثماني، وشرطت عليه أن لا يغيرها ولا يمنعها شيئاً تريده، وأن يقيمها حيث جلتها أم منظور، ولا يخالفها في أمر تريده، فكانت تقول له: يا ابن عثمان اخرج بنا إلى مكة، فإذا خرج بها فسارت يوماً أو يومين قالت: ارجع بنا إلى المدينة، فإذا رجع يومه ذلك قالت: اخرج بنا إلى مكة، فقال له سليمان بن عبد الملك: أنا أعلم أنك قد شرطت لها شروطاً لم تف بها فطلقها. فطلقها، فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها وخاصموه إلى هشام بن إسماعيل، فبعث إليها يُخَيِّرُهَا، فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث تسمع كلامه فقال لها: جُعِلَتْ فداؤك قد خيرتك فاختراري، فقالت: قُلْتُ ماذا بأبي؟ تهزأ به، فعرف ذلك فانصرف وخيروها فقالت: لا أريده قال: وماتت فصلى عليها شعبة بن نصاح.

وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهرى، عن عمر بن شبة، عن عبد الله بن محمد بن حكيم عنه:

(١) طارونى: ضرب من الخز.

إن أول أزواجها الأصبغ ومات ولم يرها، ثم زيد بن عمرو العثماني، قال: وولدت له ابنه عثمان الذي يقال له قُرَيْن، ثم خلف عليها مصعب فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها.

قال عمر بن شبة: وحدثني محمد بن يحيى قال:

تزوج مصعب سكينه وهو يومئذ عامل البصرة لأخيه عبد الله، وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السلاس، وهو الذي جاء بنعيه، فقال ابن قيس فيه:

قد أتانا بما كرهنا أبو السَّـ لاس كانت بنفسه الأوجاعُ
[الخفيف]

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه.

وهذا غلط من محمد بن يحيى، وليست قصة أبي السلاس مع مصعب، وإنما هي مع ابن جعفر، قال محمد بن يحيى: ولما تزوج مصعب سكينه على ألف ألف كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاس إلى عبد الله بن الزبير:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً من ناصح لك لا يريد خداعاً
بُضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جِيعاً
لَوْ لأبي حَفْصٍ أقول مقالتي وأبْتُ ما أبْثْتُكم لارتاعاً
[الكامل]

قال: وكان ابن الزبير قد أوصاه أن لا يعطيه أحد كتاباً إلا جاءه به، فلما أتاه بهذا الكتاب قال: صدق والله، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة على ألف ألف ثم قال: إن مصعباً لما وليته البصرة أغمد سيفه وسلَّ أمره. وعزله عن البصرة، وأمره أن يجيء على ذات الجيش وقال: إني لأرجو أن يخسف الله بك فيها، فبلغ قوله عبد الملك فقال: لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأمره وخيره.

قال أبو زيد: أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزُّهري: ذكر أن زيد بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مالٍ له مغاضباً لسكينه، وعمرُ بن عبد العزيز يومئذٍ والي المدينة، فأقام سبعة أشهر، فاستعدته سكينه على زيد، وذكرت غيبته مع ولأئده^(١) سبعة أشهر، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها وبين شيءٍ من ماله، أو منعها مخرجاً تريده فهي خَلِيَّة^(٢)، فبعث إليه عمر فأحضره، وأمر ابن

(١) ولأئده: إمأؤه.

(٢) خَلِيَّة: المرأة الخالية عن الزوج.

حَزْمُ أَنْ يَنْظُرَ بَيْنَهُمَا، قَالَ: فَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَعَثَنِي عُمَرُ وَبَعَثَ مَعِيَ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْقِلٍ بْنُ سِنَانٍ الْأَشْجَعِيَّ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ وَقَالَ: أَشْهَدَا قَضَاءَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ زَيْدٌ جَالِسٌ، وَفَاطِمَةُ امْرَأَةُ ابْنِ حَزْمٍ فِي الْحِجَلَةِ جَالِسَةٌ، وَجَاءَتْ سَكِينَةُ فَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ: أَدْخِلُوهَا وَحْدَهَا، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ إِلَّا وَمَعِيَ وَلَائِدِي، فَأَدْخَلْنِ مَعَهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ قَالَتْ: يَا جَارِيَةُ أَتُنِي لِي هَذِهِ الْوَسَادَةُ، فَفَعَلْتُ وَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَلَصِقَ زَيْدٌ بِالسَّرِيرِ حَتَّى كَادَ يَدْخُلُ فِي جَوْفِهِ خَوْفًا مِنْهَا، فَقَالَ لَهَا ابْنُ حَزْمٍ: يَا ابْنَةُ الْحُسَيْنِ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَحِبُّ الْقَصْدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَتْ لَهُ: وَمَا أَنْكَرْتَ مِنِّي؟ إِنْني وَاللَّهِ وَإِيَّاكَ كَالَّذِي يَرَى الشَّعْرَةَ فِي عَيْنِ صَاحِبِهِ وَلَا يَرَى الْخَشْبَةَ فِي عَيْنِهِ، فَقَالَ لَهَا: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ رَجُلًا لَسَطَوْتُ بِكَ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ فَرْتَنَى^(١) أَلَا أَرَاكَ تَتَوَعَّدُنِي^(٢)؟ وَشَتَمْتَهُ وَشَتَمَهَا، فَلَمَّا بَلَغَا ذَلِكَ قَالَ ابْنُ أَبِي الْجَهْمِ الْعَدَوِيُّ: مَا بِهِذَا أُمَرْنَا، فَأَمَضَ الْحَكَمُ وَلَا تُشَاتِمَ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: مَنْ هَذَا؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ، فَقَالَتْ: أَلَا أَرَاكَ هَاهُنَا وَأَنَا أَشْتَمُ بِحَضْرَتِكَ؟ ثُمَّ هَتَفَتْ بِرِجَالِ قُرَيْشٍ وَحَضَّتْ ابْنَ أَبِي الْجَهْمِ وَقَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ أَصْحَابُ الْحَرَّةِ أَحْيَاءَ لَقَتَلُوا وَاللَّهِ هَذَا الْعَبْدَ الْيَهُودِيَّ عِنْدَ شَتْمِهِ إِيَّايَ، أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ، تَشْتَمُنِي وَأَبُوكَ الْخَارِجَ مَعَ يَهُودَ صَبَابَةٍ بِدِينِهِمْ لَمَّا أَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَرِيحَا، يَا ابْنَ فَرْتَنَى. قَالَ: وَشَتَمَهَا وَشَتَمْتَهُ، قَالَ: ثُمَّ أَحْضَرْنَا زَيْدًا فَكَلَّمَهَا وَخَضَعَ لَهَا فَقَالَتْ: مَا أَعْرِفُنِي بِكَ يَا زَيْدٌ، وَاللَّهِ لَا تَرَانِي أَبَدًا، أَتُرَاكَ تَمَكَّثَ مَعَ جَوَارِيكَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ تَطْمَعُ فِي إِمْلَاءِ عَيْنِيكَ الْآنَ مِنِّي؟ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَانِي بَعْدَ اللَّيْلَةِ أَبَدًا، وَجَعَلْتُ تُرَدِّدُ هَذَا الْقَوْلَ وَمِثْلَهُ، فَكَلِمًا تَكَلَّمْتُ بِرَقَّتْ لَابِنِ حَزْمٍ وَامْرَأَتُهُ فِي الْحِجَلَةِ وَهُوَ يَقْلِقُ لِسْمَاعَ امْرَأَتِهِ ذَلِكَ فِيهِ، ثُمَّ حَكَمَ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ سَكِينَةَ إِنْ جَاءَتْ بِبَيِّنَةٍ عَلَى مَا ادَّعَتْهُ وَإِلَّا فَالْيَمِينِ عَلَى زَيْدٍ، فَقَامَتْ وَقَالَتْ لَزَيْدٍ: يَا أَبَا عَثْمَانَ تَزَوَّدَ مِنِّي بِنَظَرَةٍ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَا تَرَانِي بَعْدَ اللَّيْلَةِ أَبَدًا. وَابْنُ حَزْمٍ صَامَتْ، ثُمَّ خَرَجْنَا وَجِئْنَا إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَنْتَظِرُنَا فِي وَسْطِ الدَّارِ فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ، فَسَأَلْنَا عَنِ الْخَبَرِ فَأَخْبَرَنَا، فَجَعَلَ يَضْحَكُ حَتَّى أَمْسَكَ بَطْنَهُ، ثُمَّ دَعَا زَيْدًا مِنْ غَدٍ فَأَحْلَفَهُ وَرَدَ سَكِينَةَ عَلَيْهِ.

وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ:

قَالَتْ سَكِينَةُ لَأُمِّ أَشْعَبَ: سَمِعْتُ لِلنَّاسِ خَبْرًا؟ قَالَتْ: لَا، فَبِعِثْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَتَزَوَّجْتَهُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ بَنِي هَاشِمٍ فَأَنْكَرُوهُ، وَحَمَلُوا

(١) فَرْتَنَى: الْمَرْأَةُ الزَّانِيَةُ.

(٢) تَتَوَعَّدُنِي: تَهْدِدُنِي.

العِصِيّ وجاؤوا، فقاتلوا بني زهرة حتى كثرت الشُّجَاُجُ [ثم فرق بينهم] وخيرت سكينه فأبَتْ نكاح إبراهيم، ثم التفتت إلى أم أشعب فقالت: أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت: إي واللّه بأبي أنت وأمي خبر.

وقال هارون بن الزيات. وجدت في كتاب القاسم بن يوسف: حدثني الهيثم بن عدي، عن أشعب قال:

تزوج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينه، وكان أبخل قرشي رأيته، فخرج حاجاً وخرجت معه سكينه، فلم تدع أوزة ولا دجاجة ولا خَبِيصاً^(١) ولا فاكهة إلا حملته، وأعطتني مائة دينار [وقالت: يا ابن أم حميدة، اخرج معنا] فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال، فلما أتينا السَّيَّالَةَ نزلنا، وأمرت بالطعام أن يقدم، فلما جيء بالأطباق أقبل أغيلمة من الأنصار يُسَلِّمون على زيد، فلما رآهم قال: أوّه، خاصرتي، بسم الله ارفعوا الطعام وهاتوا التَّرياقَ والماء الحارَّ فأتي بهما فجعل يتوجَّرهما^(٢) حتى انصرفوا، ودخلنا وقد هلكتُ جوعاً، فلم آكل إلا مما اشتريته من السوق، فلما كان الغد أصبحت وبني من الجوع ما الله به عليم ودعا بالطعام فأتي به فأمر بإسخانه، وجاءته مشيخة من قريش يُسَلِّمون عليه فلما رآهم اعتلَّ بالخاصرة ودعا بالترياق والماء الحار فتوجَّرهما ورُفِعَ الطعام، فلما ذهبوا أمر بالطعام فأتي به وقد برد، فقال لي: يا أشعب هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل؟ فقلت له: أخبرني عن دجاجك هذا. من آل فرعون هو يعرض على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا؟

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، عن محمد بن الحكم، عن عوانة قال:

جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سكينه فقالت لهم: الله يعلم أنني أبغضكم قتلتم جدي علياً، وقتلتم أبي الحسين، وأخي علياً، وزوجي مُصْعَباً، أيتمتموني صغيرة وأرملتُموني كبيرة، فبأي وجه تلقونني؟

أخبرني الحسن بن علي، عن أحمد بن زهير، عن المدائني قال:

بينما سكينه تسير ذات ليلة إذ سمعت حادياً يحدو في الليل يقول:

لولا ثلاثُ هنَ عَيشُ الدَّهْرِ

(١) الخبيص: المعمول من التمر والسَّمْن.

(٢) يتوجَّرهما: يبلعهما شيئاً بعد شيء.

فقالت لقائد قطارها: الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه الثلاث، فطالبه لذلك حتى أتعبها، فقالت لغلام لها: سِرْ أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:

أَلْمَاءُ وَالنَّوْمُ وَأُمُّ عَمْرٍو

فقالت: قبحه الله أتعبني منذ الليلة.

قال: وحدثني المدائني أن أشعب حج مع سكيئة فأمرت له بجمل قوي يحمل ثقله، فأعطاه القَيِّمَ جملاً ضعيفاً، فلما جاء إلى سكيئة قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: امرأته طالق لو أنه حُمِلَ قَتَبْتُ على الجمل ما حملة، فكيف يحمل حملاً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني نعيم، عن سالم بن علي الأنصاري، عن سفيان بن حرب قال:

رأيت سكيئة بنت الحسين عليه السلام ترمي الجمار، فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها.

وقال هارون بن الزيات: حدثني أبو حذافة السَّهْمِيُّ قال: أخبرني غير واحد، منهم محمد بن طلحة، أن سكيئة ناقلت بمالها بالزَّوراء إلى قصر يقال له الزينبي قريب من الحِماء فلما سال العقيقُ خرجتُ ومعها جواربها تمشي حتى بلغت السيل، فجلست على جُرفه ومالت برجليها في السيل ثم قالت: هذا في است المغبون، والله لهذه الساعة في هذا القصر خير من الزوراء [قال: وكان الزينبي قصراً لا غلة له وإنما يتنزه فيه، وكانت غلة الزوراء غلة وافرة عظيمة].

قال هارون: وحدثني علي بن محمد النوفلي، عن أبيه، وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطلبين:

أن سكيئة بنت الحسين عليه السلام خرجت بها سلعة في أسفل عينها فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها وعظم شأنها، وكان بدراقس منقطعاً إليها وفي خدمتها فقالت له: ألا ترى ما قد وقعت فيه؟ فقال لها: أتصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك؟ قالت: نعم، فأضجعها وشقَّ جلد وجهها [حتى ظهرت السلعة، ثم كشط الجلد عنها] أجمع، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت له عروقها، وكان منها شيء تحت الحدة فرفع الحدة عنها حتى جعلها ناحية، ثم سلَّ عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع، وردَّ العين إلى موضعها وعالجها، وسكيئة مضطجعة لا تتحرك ولا تبئن حتى فرغ مما أراد، فزال ذلك عنها وبرئت منه، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخر

عينها فكان أحسن شيء في وجهها من كل حلى وزينة، ولم يؤثر ذلك في نظرها ولا في عينها.

سكينه والشعراء:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير، عن المدائني وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عمر بن شبة موقوفاً عليه، قالوا:

اجتمع في ضيافة سكينه بنت الحسين عليه السلام جرير والفرزدق وكثير وجميل ونُصيب، فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم، فدخلوا عليها فقعدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: ها أنا ذا، قالت أنت القائل:

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْحَطَّ بَارُ أَقْتَمِ الرِيْشِ كَاسِرُهُ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رَجُلَايَ بِالْأَرْضِ قَالَتَا أَحْيِي يُرَجِّجِي أَمْ قَتِيلُ نُحَاذِرُهُ
فَقُلْتَ ارْفَعُوا الْأُمْرَاسَ^(١) لَا يَشْعُرُوا بِنَا وَأَقْبَلْتُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ
أَبَادِرُ بَوَابِيْنَ قَدْ وُكِّلَا بِنَا وَأَحْمَرُ مِنْ سَاجٍ^(٢) تَبِصُّ^(٣) مَسَامِرُهُ
[الطويل]

قال: نعم، قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك، هلا سترتها وستر نفسك؟ خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم جرير؟ قال: ها أنا ذا، فقالت أنت القائل:

طَرَقْتُكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا حِينَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
تُجْرِي السَّوَاكِ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ
لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي حَدَّثْتَنَا لَوْصَلَتْ ذَاكَ فَكَانَ غَيْرَ رَمَامٍ^(٤)
إِنِّي أَوَاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وَصَالَهُ بِحَبَالٍ لَا صَلْفٍ^(٥) وَلَا لَوَامٍ
[الكامل]

(١) الأُمْرَاسُ: الحبال.

(٢) السَّاجُ: ضرب من البرود.

(٣) تَبِصُّ: تلمع.

(٤) الرَّمَامُ: البوالي.

(٥) الصِّلْفُ: الممدوح بما ليس عنده.

قال: نعم، قالت: أولاً أخذت بيدها ورحّبت بها وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف، خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم كُثِير؟ قال: ها أنا ذا. فقالت أنت القائل:

وأعجبني يا عَزَّ منك خلائقُ كرام إذا عُدَّ الخلائقُ أربَعُ
دُنُوكُ حتى يطمع الطالبُ الصُّبا ورفعك أسباب الهوى حين يطمعُ
فوالله ما يدري كريمٌ مُماطلٌ أينسالكِ إذ باعدتِ أم يتضرَّعُ
[الطويل]

قال: نعم، قالت: ملّحت وشكّلت، خذ هذه الثلاثة الآلاف والحق بأهلك، ثم دخلت إلى مولاتها ثم خرجت فقالت: أيكم نصيب؟ قال: ها أنا ذا، فقالت: أنت القائل:

ولولا أن يُقال صَباً نصيبٌ لقلتُ بنفسِي النِّشَأُ^(١) الصُّغارُ
بنفسي كلُّ مهضومٍ حَشاها إذا ظَلِمْتُ فليس بها انتصارُ
[الوافر]

فقال: نعم، فقالت: ربّتنا صغاراً ومدحتنا كباراً، خذ هذه الأربعة آلاف والحق بأهلك، ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت:

يا جميل مولاتي تُقرّئك السلام وتقول لك: واللّه ما زلتُ مشتاقّةً إلى رؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبیتنَّ ليلةً بوادي القُرَى إني إذا لسعيدُ
لكلّ حديث بينهن بشاشةٌ وكلُّ قتيل عندهنَّ شهيدُ
[الطويل]

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء. خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار والحق بأهلك.

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيري قال:

اجتمع بالمدينة راويةٌ جرير وراويةٌ كثير وراويةٌ جميل وراويةٌ نُصيب وراويةٌ الأحوص، فافتخر كل رجل منهم بصاحبه وقال: صاحبي أشعر، فحكّموا سُكينة بنت

(١) النِّشَأُ: نبت الصبي وحيّاه.

الحسين بن عليّ لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقاولون حتى استأذنوا عليها فأذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام
[الكامل]

وأى ساعة للزيارة أحلى من الطروق، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره [ألا قال: فادخلي بسلام؟] ثم قالت لراوية كثير: أليس صاحبك الذي يقول:

يقرُّ بعيني ما يقرُّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرَّت
[الطويل]

فليس شيء أقر لعينها من النكاح أفحبّ صاحبك أن ينكح؟ قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي
[الطويل]

فما أرى بصاحبك من هوى إنما يطلب عقله. قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، ثم قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمّت فواحزنا من ذايهيم بها بعدي
[الطويل]

فما أرى له همة إلا من يتعشّقها بعده. قبّحه الله وقبّح شعره ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمّت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي
[الطويل]

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبك الذي يقول:

من عاشقين تراسلا وتواعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلّقا
باتا بأنعم ليلة وألذّها حتى إذا وضح الصباح نفّرّقا
[الكامل]

قال: نعم، قالت: قبّحه الله وقبّح شعره ألا قال: تعانقا. قال إسحاق في خبره، فلم تُثن على أحد منهم، في ذلك اليوم ولم تقدّمه، قال: فذكر لي الهيثم بن عدي مثل ذلك جميعه إلا جميلاً فإنه خالف هذه الرواية، قال: فقالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فيا ليتني أعمى أصمّ تقودني بثينة لا يخفى عليّ كلامها
[الطويل]

قال: نعم، قالت: رحم الله صاحبك فإنه كان صادقاً في شعره وكان جميلاً
كاسمه، فحكمت له.

وفي الأشعار المذكورة في الأخبار أغانٍ تُذكر هاهنا نِسْبَتُها.

صوت

هما دَلَّتاني من ثمانينَ قامَةً كما انقضَّ بازٌ^(١) أقتم الریش كاسرُهُ
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحيي يُرجي أم قتيل تحاذِرُهُ
[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر للفرزدق والغناء للحجبي رمل بالبنصر عن الهشامي
وحبش.

وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ قال: حدثنا محمد بن سلام عن يونس،
وحدثنا به اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن سلام عن يونس
قال:

كان للفرزدق غلامان يقال لأحدهما وقّاع وللآخر زُنْقَطَة، قال: ولوقّاع يقول
الفرزدق:

تغلغل وقّاعٌ إليها فأقبلت تخوض خُدارياً^(٢) من الليل أخضراً
لطيفٌ إذا ما انغلّ أدرك ما ابتغى إذا هو للظبي المروع تقترأ^(٣)
[الطويل]

وله يقول أيضاً:

فأبلغهنّ وحَيّ القول عني وأدخل رأسه تحت القرام^(٤)
[أُسَيْدٌ ذو خُرَيْطَة نهاراً من المتلقّطي قَرَدَ القُمام]
فقلن له نُواعدك الثُرَيّا وذاك إليه مجتمَعُ الزحام

(١) الباز: ضرب من الصقور جمعها بوازي وبزاة وأبوز وبؤوز.

(٢) الخُداريّ: الليل المُظلم.

(٣) تقترأ: اختبأ في الفترة.

(٤) القرام: الثوب الرقيق.

ثلاث واثنتان فهن خمس
 خرجن إلي لم يطمثن قبلي
 [فبتن بجانب مَصْرَعَاتِ
 وسادسة تميل إلى الشَّمام^(١)
 فهنَّ أصحُّ من بيض النِّعام
 وبثُّ أفضُّ أغلاق الختام]
 [الوافر]

في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رمل بالنصر عن الهشامي، وفيها هزج يمانٍ بالوسطى عن عمرو بن بانه. وذكر حبش أن الهجز لفليح وأن لحن ابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبرني أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال:

قال الفرزدق وهو بالمدينة:

هما دلتاني من ثمانين قامه
 فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا
 [فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطنوا بنا
 كما انقضَّ بازُ أقتم الريش كاسره
 أحييُّ يَرْجِي أم قتيل نُحاذره
 ووليت في أعجاز ليل أبادره]
 وأصدر من ساج تلوح مَسامره
 مُعَلِّقة دوني عليها دساكره
 وأصبحت في القوم الجلوس وأصبحت
 [الطويل]

قال فأنكرت ذلك قريش عليه وأزعجه مروان من المدينة وهو واليها لمعاوية وأجله ثلاثاً فقال:

يا مَرُو إنَّ مطيَّتي محبوسة
 وأتيتني بصحيفة مختومة
 ألقى الصحيفة يا فرزدق لا تكن
 ترجو العناء وربُّها لم ييأس
 أخشى علي بها حياء النَّقْرس^(٢)
 نكداء^(٣) مثل صحيفة المتلمس
 [الكامل]

وقال أيضاً في ذلك:

وأخرجني وأجلني ثلاثاً
 كما وعدت لمهلكها ثمود
 [الوافر]

(١) الشَّمام: الرشف.

(٢) النَّقْرس: الوزم، والهلاك والداهية العظيمة.

(٣) نكداء: التي لا يعيش لها ولد من الإبل والتي لا لبن لها، والمعنى هنا لا خير فيها.

وذكر ذلك جرير في مناقضته إياه فقال :

وشبَّهت نفسك أشقى ثمودَ فقالوا ضللت ولم تهتدِ
[المقارب]

يعني تأجيل مروان له ثلاثاً، وقال فيه أيضاً :

تدلّيتَ تنزي من ثمانين قامّةً وقصّرتَ عن باع العلا والمكارم
[الطويل]

وهما قصيدتان :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثني عمر بن شبة قال :

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق : أنشدني أجود شعر قلته ، فأنشده قوله :

عزفتُ بأعشاشٍ وما كدتُ تعزِفُ^(١) وأنكرتُ من حدراء ما كنت تعرفُ
[الطويل]

قال له : زدني ، فأنشده قوله :

ثلاث واثنتان فهن خمُسٌ وسادسة تميل إلى الشَّمَامِ
[الوافر]

فقال له سليمان : ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة ، أقررت بالزنا عندي وأنا إمام ولا بد لي من إقامة الحد عليك ، قال : إن أخذت فيّ بقول الله عز وجل لم تفعل ، قال : وما قال الله عز وجل ؟ قال : قال : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٦] فضحك سليمان وقال : تلافيتهما ودرأت عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنوية وخلع عليه .

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبي عبيدة قال :

نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب فأنزلوه وأكرموه وأحسنوا قِراه ، فلما كان في الليل دبَّ إلى جارية منهم فراودها عن نفسها فصاحت ، فتبادر القوم إليها فأخذوها من يده وأنبوه فجعل يتفكر واهتم ، فقال له الرجل الذي نزل به : أتحب أن أزوجك هذه الجارية ؟ قال : لا والله ، وما ذلك بي ، ولكنني كأني بابين المراغة^(٢) ، وقد بلغه هذا الخبر فقال فيّ :

وكنْتَ إذا حلَلْتَ بدار قومٍ رحلت بخزِية وتركت عارا
[الوافر]

(١) تعزِف : تكفّ .

(٢) المراغة : هي المراغة للرجال التي لا تمتنع عنهم .

فقال له الرجل: لعله أن لا يفطن لهذا، فقال: عسى أن يكون ذلك، قال: فوالله ما لبثوا أن مرّ بهم راكب ينشد هذا البيت، فسألوه عنه فأنشدهم قصيدةً لجريّر يُعَيِّرُه بذلك الفعل، فيها هذا البيت بعينه.

صوت

طرقتك صائدةً القلوب وليس ذا
تُجري السَّوَاكَ على أغرٍّ كأنه
هيّهات منزلنا بجوٍّ سُوَيْقَةٍ
إفراً السلام على سعاد وقل لها
حينَ الزيارة فارجعي بسلام
بَرَدٌ تَحْدَرُ من مُتُونِ عَمَامٍ
ممن يحلّ بواطن الآجام^(١)
لوما تَرُدُّ رسولنا بسلام
[الكامل]

الشعر لجريّر، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد، وأظنه من منحول يحيى وذكره عمرو بن بانه أيضاً لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة، وذكر عليّ بن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيلاً أول في الثاني والثالث، وأنكر ذلك حبش وقال: هو بالوسطى، قال علي بن يحيى: ومن الناس من ينسبه إلى سيات. وذكر حبش أن فيه للهلليّ خفيف ثقيل بالبنصر. وللغريض ثاني ثقيل بالوسطى. ومنها:

صوت

من عاشقين تراسلا وتوآعدا
بعثا أمامهما مخافة رُقْبَةٍ
باتا بأنعم ليلة وألذها
حتى إذا وضح الصباح تفرقا
مَلَقَا^(٢) إذا نجم الثريا حلّقا
رَصْدًا فمزّق عنهما مَزَقًا
[الكامل]

الشعر للأحوص، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامي.

رجع الحديث إلى أخبار سكينه

وروى أحمد بن الحارث الخزاز، عن المدائني، عن أبي يعقوب الثقفي عن عامر الشعبي، وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى:

(١) الآجام: مفردا الأجم وهو الحصن.

(٢) المَلَق: الصفوح الملتزقة من الجبل.

أن الفرزدق خرج حاجاً، فلما قضى حجّه خرج إلى المدينة فدخل على سَكينة بنت الحسين عليه السلام مُسَلِّماً، فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت، أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تَجَنُّبُهُ عَزِيزٌ عليّ ومن زيارته لِمَامٌ^(١)
ومن أُمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النِّيامُ
[الوافر]

قال: واللّه لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه، قالت: لا أحب فأخرج عني ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت، صاحبك أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبارٌ ولزرت قبرك والحبیبُ يُزارُ
كانت إذا هَجَرَ الضجیعُ فراشها كُتِمَ الحديثُ وعُمّتِ الأسرارُ
لا يلبث القرناء أن يتفرّقوا ليلٌ يَكُرُّ عليهم ونهارُ
[الكامل]

فقال: واللّه لئن أذنت لي لأسمعنك أحسن منه، فأمرت به فأخرج، ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجبته، فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ فقال: أنا، فقالت: كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التي في طَرْفها مرضٌ قَتَلْنَا ثم لم يُحْيَيْنَ قَتَلَانَا
يصرعن ذاللبّ حتى لا حراك به وهُنَّ أضعفُ خلق اللّه أركاناً
[البسيط]

فقال: يا بنت رسول الله ﷺ إن لي عليك حقاً عظيماً، ضَرَبْتُ إليك من مكة إرادةً السلام عليك فكان جزائي منك تكذيبي ومنعي من أن أسمعك. وبي ما قد عيل معه صبري، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإن أنا متُّ فمُري بي أن أدْرَجَ في كفني وأدفن في حِرِّ تلك الجارية، يعني الجارية التي أعجبته. فضحكت سَكينة وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذاً بِرِيطَتِها وأمرت الجوّاري أن يدفعن في أقفائهما ثم قالت: يا فرزدق أحسن صحبتها فإني آثرتك بها على نفسي.

(١) اللّمام: مفردھا اللّمة وهي ما تشعّث من رأس الموتور بالفهر، وهنا أراد زيارته قصيرة.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا: حدثنا أحمد بن عليّ النوفليّ قال: حدثني أبي عن أبيه وعمومته وجماعة من مشايخ بني هاشم.

أنه لم يُصلّ على أحد بعد رسول الله ﷺ بغير إمام إلا سكينة بنت الحسين عليه السلام فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إليه فآذَنُوهُ بِالْجَنَازَةِ وذلك في أول النهار في حرّ شديد، فأرسل إليهم: لا تُحدثوا حدثاً حتى أجيء فأصلي عليها، فوُضِعَ النعش في موضع المصلى على الجنائز وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر، فأرسلوا إليه فقال: لا تحدثوا فيها شيئاً حتى أجيء [فأصلي عليها، فوضع النعش في موضع المصلى على الجنائز وجلسوا ينتظرونه] حتى جاءت العصر فأرسلوا إليه فقال: لا تحدثوا شيئاً حتى أجيء فجاءت العشاء ثم لم يزلوا ينتظرونه حتى صليت العتمة ولم يجيء، ومكث الناس جلوساً حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعاً جمعاً وينصرفون، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: رحم الله من أعان بطيب. قال: وإنما أراد خالد بن عبد الملك - فيما ظن قوم - أن تَنَتَّنَ - قال: فأتني بالمجامر فوضعت حول النعش، ونهض ابن أختها محمد بن عبد الله العثماني فأتى عطّاراً كان يَعْرِفُ عنده عوداً فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به فسُجِرَ حَوْلَ السُرِيرِ حتى أصبح وقد فرغ منه، فلما صُلِّيَتِ الصُّبْحُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ: صلوا عليها وادفونها، فصلى عليها شيبه بن نَصَّاح. وذكر يحيى بن الحسين في خبره أن عبد الله بن الحسن هو الذي ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

صوت

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي
مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جَدًّا
إِنَّمَا عَبْدٌ مَنَافٍ جَوْهَرٌ
كُلُّ قَوْمٍ صَيْغَةٌ مِنْ فَضَّةٍ
نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ بَنَى اللَّهُ لَنَا
بَنِيَّ اللَّهِ وَابْنِيَّ عَمَهُ
أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ
يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
زَيْنَ الْجَوْهَرِ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ
وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مِنْ ذَهَبٍ
شَرْفًا فَوْقَ بِيُوتَاتِ الْعَرَبِ
وَبِعَبَّاسٍ بَنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ

[الرملة]

الشعر للفضل بن العباس اللّهُبِيّ، والغناء لمعبد ثقيّل أول بالبنصر في الأول

والثاني والثالث، ولابن محرز في الأول والثاني خفيف رمل ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر، وذكر يونس أن فيها لمبعد ومالك وابن محرز وابن مسجح وابن سريج خمسة ألحان، وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رمل، ولمالك خفيف رمل، ولحن معبد خفيف ثقيل، ولحن ابن محرز ثقيل أول وذكر ابن المكي أن الثقيل الأول لمالك، وذكر عمرو بن بانه في كتابه الثاني أن لابن مسجح ولابن محرز فيه خفيف رمل [وذكر الهشامي أن فيه رملاً آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى قائد، ولأبي الحسن مولى سكينه في الثالث والرابع خفيف ثقيل] وذكر حبش أن لابن صاحب الوضوء في الأول والثاني ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سريج ثقيل أول بالبنصر. وذكر حماد عن أبيه أن لابن عائشة فيهما لحناً، ووافقه ابن المكي، وذكر أنه خفيف رمل، قال: وقيل: إنه لدخمان وذكر ابن خرداذبه أن لخليفة المكية في الرابع والثالث خفيف رمل، وفي الخامس والسادس رمل يقال: إنه لإبراهيم ويقال: إنه لإسحاق.

والخامس والسادس من هذه الأبيات وإن كان شعراً للفضل بن العباس اللّهي فليس من القصيدة التي فيها:

وأنا الأخضر من يعرفني

هذا من قصيدة له أولها:

شاب رأسي ولداتي^(١) لم تشب بعد لهو وشباب ولعب
شيب المفرق مني وبدا من حفاقي لحيتي مثل العطب^(٢)
[الرمل]

في هذين البيتين لهاشم بن زُفْطَة خفيف رمل بالوسطى، والقصيدة التي منها:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلد من نسل العرب
أولها قوله:

طرب الشيخ ولا حين طرب وتصابى وصبا الشيخ عجب
[الرمل]

(١) اللدات: الأقران.

(٢) العطب: القطن.

أخبار الفضل بن العباس اللهي ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب - واسمه عبد العزي - بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم، وكان شديد الأدمة ولذلك قال:

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفَنِي

وهو هاشمي الأبوين، أمه بنت العباس بن عبد المطلب - أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب - وإنما أتاه السواد من قبل جدته وكانت حبشية، وكان النبي ﷺ زَوْجَ عُبْتَةَ إِحْدَى بَنَاتِهِ فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا أَقْسَمَتْ عَلَيْهِ أُمُّ جَمِيلٍ أَنْ يَطْلُقَهَا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَشْهَدُ مِنْ حَضْرَتِي قَدْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ وَطَلَّقْتَ ابْنَتَكَ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ كَلْبًا مِنْ كَلَابِهِ فَيَقْتُلَهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ أَسَدًا فَافْتَرَسَهُ.

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي قال: حدثنا، علي بن إبراهيم بن المعلی قال: حدثني الوليد بن وهب عن أبي حمزة الثمالي، عن عكرمة قال:

لما نزلت ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] قال عتبة بن أبي لهب للنبي ﷺ: أنا كفرت بربّ النجم إذا هوى، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْسِلْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كَلَابِكَ». قال ابن عباس: فخرج إلى الشام في ركب فيهم هَبَّارُ بْنُ الْأَسَدِ، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة وهي مَسْبُوعَةٌ نزلوه ليلاً فافترشوا صفاً واحداً، فقال عتبة: أتريدون أن تجعلوني حُجْرَةً؟ واللّه لا أبيت إلّا وسطكم، فبات وسطهم، قال هَبَّارُ: فما أنبهني إلّا السبع يشم رُؤُوسَهُمْ رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فأنشب أنيابه في صدغيه فصاح: أي قوم قتلتنى دعوة محمد، فأمسكوه، فلم يلبث أن مات في أيديهم.

أخبرني الحسن بن القاسم قال: حدثنا علي بن إبراهيم قال: حدثني الوليد بن وهب، عن أبي حمزة، عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله إلّا أنه قال: قال عتبة: أنا بريء من الذي دنا فتدلى. قال: وقال هَبَّارُ: فضغمه^(١) الأسد ضغمة التقت معها أنيابه عليه.

(١) ضغمه: عضّه دون النّهش.

نسخت من كتاب ابن النطاح عن الهيثم بن عدي، وقد أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي في كتاب الجوابات قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني إلا أن رواية ابن النطاح أتم واللفظ له قال:

مرّ الفضل الهبيّ بالأحوص وهو ينشد، وقد كان اجتمع الناس عليه، فحسده فقال له: يا أحوص إنك لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب ولا تُعرب، قال: بلى والله إني لأبصر الناس بالغريب والإعراب، فأسألك؟ قال: نعم، قال:

ما ذات حبل يراها الناس كلهم وسط الجحيم ولا تخفى على أحد
كل الحبال حبال الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد
[البسيط]

فقال له الفضل:

ماذا أردت إلى شتمي ومنقصتي ماذا أردت إلى حمالة الحطب
ذكرت بنت فروم سادة نجب كانت حليمة شيخ ثاقب النسب
[البسيط]

وانصرف عنه:

قال ابن النطاح: وحُذِّث أن الحزين الديلي مرّ بالفضل يوم الجمعة وعنده قوم ينشدهم، فقال له الحزين: أتشد الشعر والناس يروحون إلى الصلاة؟ فقال الفضل: ويلك يا حزين، أتعرض لي كأنك لا تعرفني؟ قال: بلى والله إني لأعرفك ويعرفك معي كل من يقرأ سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] وقال يهجو:

إذا ما كنت مفتخرًا بجَدٍّ فَعَرَّجَ عن أبي لهب قليلا
فقد أخزى الإله أباك دهرًا وقلد عرسه^(١) حبلًا طويلا
[الوافر]

فأعرض عنه الفضل وتبرّم من جوابه، وكان الحزين مُعَرِّى به وبهجائه.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا القاسم بن محمد الأنباري قال: حدثنا أبو عكرمة عامر بن عمران قال:

دخل الفرزدق إلى المدينة فنظر إلى الفضل بن عباس بن عتبة ينشد:

(١) العرس: الزوج.

مَنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ^(١) مَا جَدًّا يَمْلَأُ الدَّلُو إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ^(٢)

[الرمل]

فقال الفرزدق: من المنشد؟ فأخبر به فقال: ما يساجله إلا من عضَّ بَظُرَ أمه.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا محمد بن الحكم قال:

قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً وهو خليفة، فدخل عليه الفضل بن العباس بن عتبة، فشكا إليه كثرة العيال وسأله، فأعطاه مالا وإبلاً ورقيقاً، فلما مات الوليد وولى سليمان فحج، أتاه فسأله فلم يعطه شيئاً فقال:

يا صاحب العيس التي رحلت	محبوسة لعشيّة النَّفْرِ
أمرز على قبر الوليد فقل له	صلى الإله عليك من قَبْرِ
يا واصل الرحم التي قُطِعَتْ	وأصابها الجفَوَاتُ في الدهرِ
إنني وجدت الخُلَّ بعدك كاذباً	فبرئتُ من كذب ومن غَدْرِ
ولقد مررتُ بنسوةٍ يندُبْنَه	بيض السواعد من بني فِهْرِ
تبكي لسيدها الأجل وما	يُبْكِين من نابٍ ولا بَكْرِ
يبكيه ويقلن سيّدنا	ضاع الخلافه آخر الدهرِ
ماذا لقيت جُزيتَ صالحه	من صَفوة الإخوان لو تدري

[الكامل]

أخبرني وكيع بهذا الخبر قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثنا أبو غسان قال: حدثنا أبو عبيدة، عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال:

كان الفضل بن عباس منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه فقال:

يا صاحب العيس التي وقفت للنَّفْرِ بعد صبيحة النحر

[الكامل]

وذكر الأبيات، قال: وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاهَا في كلِّ سنة، فقال: يا أمير المؤمنين بَقِيَ شاربُ الريح. قال: وما شارب الريح؟ قال: حماري، افرض له

(١) يُسَاجِل: يكثر خيره.

(٢) الْكَرْب: الحبل الذي يشد في وسط العراقي ليلي الماء فلا يعفن الحبل الكبير، جمعها الكِراب.

شيئاً، ففرض له خمسة دنانير، فأخذها ولم يكن يطعمه شيئاً، فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار وعلقها في عنقه، وجاء بها إلى القاضي فأضحك منه الناس.

حدثنا اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني أبو السَّكن مولى بني هاشم - كوفيّ ظريف - قال:

كان الفضل بن العباس بخيلاً، فقدم عليّ بن عبد الله بن العباس حاجاً، فأثاء في منزله مسلماً، فقال له: كيف أنت، وكيف حالك: قال: بخير نحن في عافية، فقال: فهل من حاجة؟ قال: لا والله، وإني لأشتهي هذا العنب وقد أغلاه والله علينا هؤلاء العلوج، فغمز غلاماً له فذهب فأثاء بسلة عظيمة من عنب فجعل يغسل له عنقوداً وعنقوداً ويناوله: فكلما فعل ذلك قال له: بَرَّتْكَ رَحْمٌ.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال:

كان الفضل بن العباس بخيلاً وكان ثقیل البدن، إذا أراد أن يمضي في حاجة استعار مَرَكوباً، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله، فقال له بعض بني هاشم: أنا أشتري لك حماراً تركبه، وتستغني عن العارية. ففعل وبعث به إليه، وكان يستعير له سرجاً إذا أراد أن يركبه، فتواصى الناس أن لا يُعيره أحد سرجاً، فلما طال ذلك عليه اشترى سرجاً بخمسة دراهم وقال:

ولما رأيت المال ما كَفَّ أهله وسان ذوي الأخطار أن يتبذّلوا
رجعتُ إلى مالي فعاتبْتُ بعضه فأعْتَبَنِي إني كذلك أفعلُ
[الطويل]

ثم قال للذي اشترى له الحمار: إني لا أطيق علفه فإما أن تبعث إليّ بقوته وإلاّ رددته، فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة وشعير، ولا يدع هو أيضاً أن يطلب من كل أحد ما يشتري به علفاً لحماره، فيبعث به إليه، فيعلفه التبن دون الشعير حتى هُزِل وعَطِب، فرفع الحزینُ الكنانيّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن المطلب رقعة وكتب فيها قصة الحمار الذي للفضل اللهبي وشكا فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقَصِيْمه من الناس ويعلفه التبن ويبيع الشعير ويأخذ ثمنه ويسأل أن يُنْصَف منه. فضحك منه لَمَّا قرأ الرقعة وقال: لئن كنت مازحاً إني لأراك صادقاً. وأمر بتحويل حمار اللّهبِيّ إلى إصطبله ليعلفه ويُقْصِمه، فإذا أراد ركوبه دُفع إليه.

أخبرني وكيع قال: حدثنا محمد بن سعد الشامي، عن ابن عائشة قال:

استعار الفضل اللهي من رجل سرجاً، فمطله^(١) الرجل حتى خاف أن تفوته حاجته، فاشترى سرجاً ومضى لحاجته وأنشأ يقول:

ولما رأيتُ المال ما كَفَّ أهله

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئاً.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال:

حدثني علي بن محمد النوفلي قال: كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن علي وهو والي البصرة، وعنده وجوه أهل البصرة، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر. فأفاضوا في ذكر بني هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه ﷺ، فمن منشد شعراً ومتحدث حديثاً وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم، فقال أبي: قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللهي في بيت قاله، ثم أنشد قوله:

مابات قوم كرام يدعون يداً
نحن السنم الذي طالت شطيته^(٢) إلا لقومي عليهم مئة ويد
فما تخالطه الأداواء والعمد

[البسيط]

فمن صلى صلاتنا وذبح ذبائحنا عرف أن لرسول الله ﷺ يداً عليه بما هداه الله جل وعز إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك مئة لنا على الناس.

وفي هذين البيتين غناء لابن محرز هزج بالنصر من رواية عمرو بن بانه ويروى: طالت شطيته، الشطية^(٣): الشطى قال دريد بن الصمة:

سليم الشطى عبلى الشوى شنج النساء
أمين القوى نهذ طويل المقلد

[الطويل]

والعمد: داء يصيب البعير من مؤخر سنانه إلى عجزه فلا يلبث أن يقتله.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن عبد العزيز بن عمار قال: أخبرني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قال:

قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزياتي: والله ما أسمع شعراً، فلما

(١) مَطَلَهُ: أمهله في أداء ما عليه من دين.

(٢) الشطية: القطعة من سنم البعير.

(٣) الشطية: العظمة اللاصقة بالذراع.

كان العشيّ راح إليه الفضل فوقف بين يديه ثم قال: يا أمير المؤمنين:
 أَتَيْتُكَ خَالاً وَابْنَ عَمٍّ وَعَمَّةٍ وَلَمْ أَكْ شُعْباً لَاطَةً^(١) بِكَ مَشْعَبٌ^(٢)
 فَصِلْ وَاشْجَاتِ بَيْنَنَا مِنْ قَرَابَةٍ أَلَا صِلَةُ الْأَرْحَامِ أَبْقَى وَأَقْرَبُ
 وَلَا تَجْعَلَنِّي كَامِرِيٍّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ قُرْبَى وَلَا مُتَنَسِّبُ
 أَتَحْدَبُ مِنْ دُونِ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَأَنْتَ عَلَى مَوْلَاكَ أَحْنَى وَأَحْدَبُ
 [الطويل]

فقال الزياتي: هذا والله يا أمير المؤمنين الشعر، فقال عبد الملك: التمس لكفيك الطيّ وجعل يضحك من استرسال الزياتي في يده، وأحسن صلته.
 وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني النوفلي قال: حدثني عمي قال:

لما قدم الفضل اللّهي على عبد الملك أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها، فلما قدم الأحيي على المهدي فمدحه قال المهدي لمن حضره: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهي لما مدحه؟ فما أعلم هاشمياً مدحهم غيره، فقبل له: أعطاه عشرة آلاف درهم، قال: فكم أعطاه الوليد: قالوا: مثل عطية أبيه، فأمر للأحيي بثلاثين ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أحمد بن معاوية، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال:

خرج عليّ بن عبد الله بن عباس بالفضل اللّهي إلى عبد الملك بن مروان بالشام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ومعه حادٍ يحدو به، وعليّ بن عبد الله يسايره على نجيب له. ومعه بغلة تُجَنَّبُ، فحدا حادي عبد الملك به فقال:

يَا أَيُّهَا الْبَكْرُ الَّذِي أَزَاكَ عَلَيْكَ سَهْلُ الْأَرْضِ فِي مَمْشَاكَ
 وَيَحْكُ هَلْ تَعْلَمُ مَنْ عَلَكَ إِنَّ ابْنَ مَرْوَانَ عَلَى ذُرَاكَ
 خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي امْتَطَاكَ لَمْ يَعْلُ بِكَراً مِثْلَ مَا عَلَكَ
 [الرجز]

فعارضه الفضل اللّهي فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس وقال:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ عَلِيٍّ سَأَلْتُ عَنْ بَذْرِ لَنَا بَذْرِي

(١) لَاطَةٌ: ألصقه به.

(٢) الْمَشْعَبُ: الطريق.

أَغْلَبَ فِي الْعُلَيَاءِ عَلَّابِي وَلَيِّنَ الشَّيْمَةَ هَاشِمِي
جاء على بكر له مهري

[الرجز]

فنظر عبد الملك إلى علي فقال: هذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم، فلما أعطى قريشاً مرّ به اسمه فحرمه وقال: يعطيه علي. هكذا رواية عمر بن شبة.

وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد النوفلي، عن عمه، أن سليمان بن عبد الملك حجّ في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل اللهي يستقي فجعل يرجز ويقول:

يا أيها السائل عن علي سألته عن بذر لنا بذري
مقدّم في الخير أبطحي وليّن الشيمه هاشمي
زمزم يا بورك من ركي بورك للساقى وللمسقي

[الرجز]

فغضب سليمان وهم بالفضل، فكفه عنه علي بن عبد الله، ثم أتاه بقدر فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه وسأله أن يشربه، فأخذه من يده كالمتعجب ثم قال: نعم إنه ليُستحب، ثم وضعه من يده ولم يشربه، فلما ولي الخلافة وحجّ لقيه الفضل فلم يعطه شيئاً.

نسخت من كتاب ابن النطاح قال: ذكر أبو الحسن المدائني أن الحارث بن خالد المخزومي كان يحسد الفضل بن العباس اللهي على شعره، ويعاديه لأن أبا لهب كان قامر جدّه العاصي بن هشام على ماله فقمره، ثم قامره على رقه فقمره فأسلمه قيئاً، ثم بعث به بديلاً يوم بدر فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان إذا أنشد شيئاً من شعره يقول: هذا شعر ابن حمالة الحطب، فقال الفضل في ذلك:

ماذا تحاول من شتمي ومنقصتي ماذا تُعيّر من حمالة الحطب
غراء سائلة في المجد غرثها كانت حليلة شيخ ثاقب النسب
أما وإن رسول الله جاء به شيخ عظيم شؤون الرأس والنشب
يا لعن الله قوماً أنت سيدهم في جلدة بين أصل الثيل^(١) والذنب
أبالقيون توافيني تُفاخرني وتدعي المجد قد أفرطت في الكذب

(١) الثيل: وعاء القضيبي.

وفي ثلاثة رهط أنت رابعهم
 في أسرة من قريش هم دعائمها
 أمّا أبوك فعبدٌ لست تُنكره
 ألبُيع^(٢) عيداننا والمجد شيمتنا
 تُوعدني واسطاً جرثومة^(١) العرب
 تشفي دماؤهم م الخبل والكلب
 وكان مالِكُه جدي أبو لهب
 لسنا كقومك من مرخ^(٣) ولا غرب^(٤)
 [البسيط]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي عبيد الله بن محمد عن
 ابن حبيب، عن ابن الأعرابي قال:

كان رجل من بني كنانة يقال له: عَقْرَبُ، حَنَاطٌ، قد داين الفضلَ اللهبِيَّ فمطله،
 ثم مر به الفضل وهو يبيع حِنْطَةً له ويقول:

جاءت به ضابطة التُّجار
 صافية كَقِطْعِ الأوتار
 [الرجز]

فقال الفضل:

قد تَجَرَّتْ عَقْرَبُ في سوقنا
 قد ضَاقتِ العَقْرَبُ واستيقنت
 فإن تُعْدُ عادتْ لِماساءها
 إنَّ عَدُوًّا كِيدُهُ في اسْتِه
 كلُّ عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلاً
 كأنها إذْ خَرَجَتْ هَوْدَجُ
 يا عجباً للعقرب التاجرة
 أن مالها دُنْيَا ولا آخِرَه
 وكانت النَّعْلُ لها حاضِرَه
 لَعِيرُ ذِي كَيْدٍ ولا نَائِرَه^(٥)
 وعقربٌ تُخشى من الدَّابِرَه
 شَدَّتْ قِوَاهُ رُفْقَه بَاكِرَه
 [السريع]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي. قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة،
 ووجدته في بعض الكتب عن الرياشي [عن ركوبة الغلابي] عن ابن عائشة، عن أبيه.
 والروايتان كالمتمفقتين:

أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأدخل عليه، فسأله عن
 نسبه فانتسب له فقال:

- (١) جرثومة: أصل.
 (٢) البُيع: ضرب من الشجر تُتخذ منه القسي.
 (٣) مرخ: ضرب من الشجر سريع الإيقاد.
 (٤) غرب: شجر تسوى منه الأقداح.
 (٥) نائرة: هائجة.

لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِقَيْنٍ عَيْنَا تَحِيَّةُ الشَّحْطِ^(١) إِذَا التَّقِينَا
أَنْتَ الْقَائِلُ لَا أُمَ لَكَ :

صوت

فيه لحنان

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحْرِجُ عَارِمٌ
فَقُلْتُ أَشْمُسُ أُمَ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ^(٢) أُمَ أَنْتَ حَالِمٌ
بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
[الطويل]

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ومن رواية حماد بن
إسحاق عن أبيه، ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق ثقیل أول بالسبابة في مجرى
الوسطى أوله:

بعيدة مهوى القرط إمال لنوفل

وفي لحن معبد خاصة قوله:

وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا عَلَى عَجَلٍ تُبَاعُهَا وَالْخَوَادِمُ
[الطويل]

وتمام الشعر:

فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةً رَاحَتْ كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ
مَعَاصِمٌ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهِمِ بِالضَحَى عَصَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تَلْحُ السَّمَائِمُ
[الطويل]

نرجع إلى سياقة الخبر.

منازعته مع ابن أبي ربيعة:

ثم قال له عبد الملك: قاتلك الله فما ألامك أما كانت لك في بنات العرب
مندوحة عن بنات عمك؟ فقال عمر: بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن

(١) الشَّحْطُ: البعد.

(٢) السَّجْفُ: السَّتْر، جمعها السجوف والأسجاف.

العمّ على شَحَطِ الدار ونأي المزار، فقال له عبد الملك: أفتراك مرتدعاً عن ذلك؟ فقال: إني إلى الله تائب. فقال عبد الملك: إذن يتوب الله عليك وسنحسن جائزتك ولكن أخبرني عن منازعتك اللهيّ في المسجد الجامع، فقد أتاني نبأ ذلك وكنت أحب أن أسمعه منك، فقال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس في المسجد الحرام في جماعة من قريش إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلم وجلس ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطنُ مكة مقشعِراً كأنَّ الأرضَ ليس بها هشامٌ
[الوافر]

فأقبل عليّ وقال: يا أخا بني مخزوم، والله إن بلدة تبجَح^(١) بها عبد المطلب، وبُعث فيها رسول الله ﷺ، واستقر بها بيت الله عز وجل، لحقيقة أن لا تقشعر لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق لقول الذي يقول:

إنما عبد مناف جوهرٌ زَيْنَ الجواهر عبد المطلب
[الرمّل]

فأقبلت عليه فقلتُ: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول:
إنَّ الدليلَ على الخيراتِ أجمَعِها أبناءُ مخزومٍ للخيراتِ مَخْزُومٌ
[البسيط]

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول:

جبريلُ أهدى لنا الخيراتِ أجمَعِها إذ أمَّ هاشمٌ لا أبناءُ مخزوم
[البسيط]

فقلت في نفسي: غلبني والله، ثم حملني الطمع في انقطاعه على مخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناءُ مخزومٍ الحريقُ إذا حَرَّكَته نارُهُ تُري ضَرَمًا
يخرج منه الشرارُ معَ لهبٍ من حاد عن حرِّه فقد سَلِمًا
[المنسرح]

فوالله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشمٌ بحرٌ إذا سما وطما^(٢) أحمَدُ حرَّ الحريقِ مُضْطَرِمًا

(١) تبجَح: تمكَّن في المقام والحلول. (٢) طما: امتلأ.

واعلم وخير المقال أصدقه بأن من رام هاشماً هُشِماً
[المنسرح]

قال: فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخت^(١) بي، ثم تجلدت عليه
فقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما
تجود بالئيل قبل تسألُهُ جوداً هنيئاً وتضرب البهما^(٢)
[المنسرح]

فأقبل عليّ كأسرع من اللحظ ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها إذا بدت أخفت النجوم معا
اختار ربي منها النبي فمن قارَ عنا بعد أحمد قَرِعا
[المنسرح]

فاسودت الدنيا في عيني ودُبري فانقطعت فلم أحر جواباً ثم قلت له: يا أخا بني
هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله ﷺ فما تسعنا مفاخرتك، فقال: كيف لا أم
لك، والله لو كان منك لفخرت به عليّ. فقلت: صدقت وأستغفر الله، إنه لموضع
الفخر، وداخلني السرور لقطعه الكلام ولئلا ينالني عوز عن إجابته فأفتضح، ثم إنه
ابتدأ المناقضة فأفكر هنيهة ثم قال: قد قلت فلم أجد بداً من الاستماع. فقلت: هات،
فقال:

نحن الذين إذا سما لفخارهم ذو الفخر أقعده هناك القعد
إفخر بنا إن كنت يوماً فاخراً تلق الألى فخروا بفخرك أفرّدوا
قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر منّا المبارك ذو الرسالة أحمد
ماذا يقول ذوو الفخار هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد^(٣)
[الكامل]

فحصرت والله وتبلدت وقلت له: إن لك عندي جواباً فأنظرني، وأفكرت ملياً
ثم أنشأت أقول:

لا فخر إلا قد علاه محمد فإذا فخرت به فإنني أشهد
أن قد فخرت وفقت كل مفاخر وإليك في الشرف الرفيع المعمد

(٢) البهم: الشجعان.

(١) ساخت الأرض: انخسفت.

(٣) الفرقد: النجم الذي يهتدى به.

ولنادعائهم قد بناها أول
 من رامها حاشى النبي وأهلـه
 دُعْ ذا وَرْخٍ لغناء خـودِ بَضَّةٍ
 مع فتية تَنْدَى بطونُ أكْفهم
 في المكرمات جرى عليها المولـدُ
 في الأرض غَطْمطه^(١) الخليجُ المَزِيدُ
 مما نطقتُ به وغَنَّى مَعْبَدُ
 جوداً إذا هَرَّ الزمانُ الأنكـدُ
 [الكامل]

ويروى: إذا اعتلج الحرون الأنكد.

يتناولون سلافةً عانيَّةً طابت لشاربها وطاب المَقْعَدُ
 [الكامل]

فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجابني بجواب كان أشدَّ عليَّ من الشعر، قال لي: يا
 أبا بني مخزوم أريك السُّها^(٢) وتريني القمر - قال أبو عبد الله اليزيدي: يريد: أدُّلك
 على الأمر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح، وهذا مثل - تخرج من
 المفاخرة إلى شرب الراح وهي الخمر المحرَّمة؟ فقلت له: أما علمت أصلحك الله أن
 الله عز وجل يقول في الشعراء ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦] قال:
 صدقت، ثم استثنى الله قوماً منهم فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء:
 ٢٢٧] فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك إليها، وإن
 لم تكن منهم فالشرك بالله أعظم الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك إليها، وإن لم
 تكن منهم فالشرك بالله أعظم عليك من شرب الخمر، فقلت: أصلحك الله، لا أجد
 للمستخذي^(٣) شيئاً أصلح من السكوت، فضحك وقال: أستغفر الله، وقام عني.
 قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى وقال: يا ابن أبي ربيعة، أما علمت أن لبني
 عبد مناف السنة لا تطاق؟ ارفع حوائجك، قال: فرفعتها فقضاها وأحسن جائزتي
 وصرفني.

واللفظ في هذا الخبر لمحمد بن العباس.

(١) غَطْمطه: علاه بموجه.

(٢) السُّها: كوكب خفي من نبات نعش الصغرى.

(٣) المُستخذي: الدليل المُنفاد.

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي

[خليدة المكية]

ممن ذكرت صنعته في هذا الخبر خُلَيْدَةُ المَكِّيَّةُ، وهي مولاة لابن شَمَّاسٍ، كانت هي وعَقِيلَةُ ورُبَيْحَةُ يُعْرَفْنَ بالشَّمَّاسِيَّاتِ، وقد أخذن الغناء عن ابن سُرَيْج ومالك ومَعْبُدٍ.

وأخبرني الحرْمِيُّ بن أبي العلاء والطوسيَّ قالا: حدثنا الزبير بن بكار، عن عمه قال:

كانت لهشام بن عروة جَفْنَةٌ يصيبُ منها هو وبنو ناجية، وكان محمد بن هشام يصنع الطعام الرقيق فيشير إليهم، فيمسكون عن الأكل فيفُطِنُ هشام فيقول: لقد حدث شيء، ثم يقوم محمد فيتسلل القوم إليه.

وجاءته يوماً خُلَيْدَةُ المَكِّيَّةُ فصعدوا غرفة، فلما غنت إذا صفر ونَفَسَ فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد:

يَا قَدَمِيَّ الْحِقَانِي بِالْقَوْمِ لَا تَعِدَانِي كَسَلًا بَعْدَ الْيَوْمِ
[الرجز]

فلما رآهم قال - أحسبه قد جلس معهم وقال - لخليدة: غَنِّي، فغنت، فقال لها: اكتبني في صدرك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبين كتفك الْمُعَوِّذَتَيْنِ، لا تصيبك العين.

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب، عن ابن خُرْدَاذْبَةَ قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

عن الفضل بن الربيع قال: ما رأيت ابنَ جامعٍ يَطْرِبُ لغناءٍ كما يَطْرِبُ لغناءِ خُلَيْدَةِ المَكِّيَّةِ، وكانت سوداء، وفيها يقول الشاعر:

فَتَنْتُ كَاتِبَ الْأَمِيرِ رَبَّاحٍ يَالْقَوْمِي خُلَيْدَةُ الْمَكِّيَّةِ
[الخفيف]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة. ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قُدَّامَةَ بخطه قال: حدثني عمر بن شبة قال:

بلغني أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه يخطبها عليه، فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رقاق لا تسترها، ثم وثبت فقالت: إنما ظننتك بعض سفهائنا، ولكني ألبس لك ثياب مثلك ثم أخرج إليك، ففعلت وقالت: قل، فقلت: أرسلني إليك مولاي - وهو من تعلمين من رسول الله ﷺ ومن عليّ وعثمان، وهو ابن عم أمير المؤمنين - يخطبك. فقالت: قد نسبته فأبلغت. فاسمع نسبي أنا - بأبي أنت - إن أبي بيع على غير عقد الإسلام ولا عهده، فعاش عبداً ومات وفي رجله قيد، وفي عنقه سلسلة، على الإباق والسرقة، وولدتني أُمي على غير رِشدة، وماتت وهي أبقة، فأنا من تعلم، فإن أراد صاحبك نكاحاً مباحاً أو زناً صراحاً فهلّم إلينا فنحن له، فقلت: إنه لا يدخل في الحرام، فقالت: ولا ينبغي أن يستحي من الحلال، فأما نكاح السر فلا، والله لا فعلته ولا كنت عاراً على القيان. قال: فأتيت محمداً فأخبرته فقال: ويليكَ أتزوجها مُعلنًا وعندي بنت طلحة بن عبيد الله؟ لا، ولكن ارجع إليها فقل لها: تختلف إليّ أردد بصري فيها لعلي أسلو، فرجعت فأبلغتها الرسالة، فضحكت وقالت: أمّا هذا فنعم ولسنا نمنعه منه.

صوت

ربّ ليل ناعم أحييْتُهُ
ونهار قد لهوْنَا بالآتي
لطلوع الشمس حتى آذنت
لسليمى مادعت قُمريّة
وعقار قهوة باكرْتُها
وجوادٍ سابح أقحمتُهُ
في عفاف عند قبّاء الحشى
لا ترى شبهاً لها فيمن مشى
بغروب ودنا وقت العشا
بهديل فوق غصن من غضا
في ندامى كمصابيح الدجى
حومة الموت على زرق القنا
[الرمّل]

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد فيما ذكر الزبير بن بكار، وذكر أبو عمرو الشيباني وخالد بن كلثوم أنه لابن خالد بن المهاجر، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لإبراهيم الموصلي لحنان: أحدهما هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي. والآخر رمل بالبنصر عن عمرو وابن المكي والهشامي وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكي، قال: وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر نشيد ووافقه عمرو والهشامي، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز، والمعول عليه الثانية.

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم بن يَفْظَةَ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب .

وكان الوليد بن المغيرة سيِّداً من سادات قريش وجواداً من جُودائها، وكان يلقب بالوحيد، وأمه صَخْرَةُ بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس امرأةً من بَجِيلَةَ ثم من قيس، ولما مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخاً، هكذا ذكر ابن دأب، وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤملي أنها كانت تؤرخ ب وفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها .

خالد بن الوليد :

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله ﷺ والعناء في حروبه المحل المشهور، ولقبه رسول الله ﷺ سيف الله، وهاجر إلى النبي ﷺ قبل الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، فقال النبي ﷺ لما رآهم : «رمتكم مكة بأفلاذ كبدها» . وشهد فتح مكة مع النبي ﷺ فكان أول من دخلها من مهاجرة العرب من أسفل مكة . وشهد يوم مُؤْتَةَ فلما قُتِلَ زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، ورأى أن لا طاقة للمسلمين بالقوم انحاز بهم وحامى عنهم حتى سَلِمُوا، فلُقبه يومئذ رسول الله ﷺ سيف الله .

حدثنا بذلك أجمع، الحرميُّ بن أبي العلاء والطوسيُّ، عن الزبير بن بكار .

وكان خالدٌ يومَ حُنينٍ في مقدمة رسول الله ﷺ ومعه بنو سليم، فأصابته جراح كثيرة، فأتاه رسول الله ﷺ بعد هزيمة المشركين فنفت على جراحه فاندملت فنهض .

وله آثار في قتال أهل الردة في أيام أبي بكر - رضي الله عنه - مشهورة يطول ذكرها، وهو فتح الحيرة، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيْلة فكلمه خالد

فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من ورائي، قال: وأين تريد؟ قال: أمامي قال: ابن من أنت؟ قال: ابن رجل واحد وامرأة، قال: فأين أقصى أترك؟ قال: مُنتَهَى عمري، قال: أتعقل؟ قال: نعم وأقيد^(١) قال: ما هذه الحصون؟ قال: بنيناها ننتقي بها السفينة حتى يردعه الحليم، قال: لأمر ما اختارك قومك، ما هذا في يدك؟ قال: سم ساعة. قال: وما تصنع به؟ قال: أردت أن أنظر ما تردني به، فإن بلغت ما فيه صلاح لقومي عُدْتُ إليهم وإلا شربته فقتلت نفسي ولم أرجع إلى قومي بما يكرهون، قال له خالد: أرنيه فناوله إياه، فقال خالد: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثم أكله، فَجَلَلَتْهُ غَشِيَةٌ ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه، فرجع ابن بقبيلة إلى قومه فأخبرهم بذلك وقال: ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين، وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما يريدون، ففعلوا.

أخبرني بذلك إبراهيم بن السري بن يحيى التميمي عن أبيه عن شعيب عن سيف وأخبرني به الحسن بن عليّ، عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد، عن الواقدي.

وأمره أبو بكر - رضي الله عنه - على جميع الجيوش التي بعثها إلى الشام لحرب الروم، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ومُعَاذ بن جبل فرضوا بإمارته. قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد حلق رأسه ذات يوم، فأخذ خالد شعره فجعله في فَلَنَسُوة له، فكان لا يلقى جيشاً وهي عليه إلا هزمه.

ورَوَى عن النبي ﷺ الحديث وحمل عنه، ورآه النبي ﷺ متدلياً من هَرَشَى فقال: نعم الرجل خالد بن الوليد.

أخبرنا بذلك الطوسي والحرمي قالوا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبي عون عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ذلك له.

قال الزبير: وحدثني محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال:

لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لِمَتِّها على قبره، يعني حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره، قال ابن سلام: وقال يونس النحوي: إن عمر - رضي الله عنه - قال حينئذ: دعوا نساء بني المغيرة يبكين أبا سليمان ويُرْفَنَ من دموعهن سَجْلاً أو سَجَلِينَ ما لم يكن نَفْعٌ أو لَفْلَقَةٌ. والنقع: مَدُّ

(١) أقيد: أدفع الدية.

الصوت بالحنيب، واللقفة [حركة] اللسان بالولولة ونحوها.

قال الزبير فيما ذكره لي من رويت عنه: حدثني محمد بن الضحاك، عن أبيه أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان أشبه الناس بخالد بن الوليد، فخرج عمر سحراً، فلقيه شيخ فقال له: مرحباً بك يا أبا سليمان، فنظر إليه عمر فإذا هو علقمة بن عُلَثة، فردَّ عليه السلام، فقال له علقمة: عزلك عمر بن الخطاب. فقال له عمر: نعم، قال: ما شبع لا أشبع الله بطنه، قال له عمر: فما عندك؟ قال: ما عندي إلا السمع والطاعة. فلما أصبح عمر دعا بخالد، وحضر علقمة بن عُلَثة فأقبل على خالد فقال له: ماذا قال لك علقمة؟ قال: ما قال لي شيئاً، فقال صدقني، فحلف خالد بالله ما لقيه ولا قال له شيئاً. فقال له علقمة: جلاً أبا سليمان، فتبسم عمر، فعلم خالد أن علقمة قد غلط، فنظر إليه وفطن علقمة، فقال له: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فاعف عني عفا الله عنك، فضحك عمر - رضي الله عنه - وأخبره الخبر.

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن شيخ من أهل الحجاز، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد وعن سليمان بن أبي ذئب عن أبي سُهَيْل أو ابن سُهَيْل.

أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنُّه، ودقَّ عظمه، واقترب أجله، ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟ قالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسكت وأضمرها ودسَّ ابن أثال الطيب إليه فسقاه سمّاً فقتله، وبلغ خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة، وكان أسوأ الناس رأياً في عمه، لأن أباه المهاجر كان مع عليّ عليه السلام بصفين، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه هاشمي المذهب ودخل مع بني هاشم الشَّعْب، فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه فألقى عليه زِقَّ خمر، وصبَّ بعضه على رأسه، وشعَّ عليه أنه وجده ثملاً من الخمر فضربه الحد، فلما قُتل عمه عبد الرحمن مرَّ به عروة بن الزبير فقال له: يا خالد أتدع ابن أثال وقد بيّن أوصال^(١) ابن عمك بالشام وأنت بمكة مُسْبِل إزارك تجرّه وتخطر فيه متخايلاً؟ فحمي خالد، ودعا مولى له يدعى نافعاً فأخبره الخبر وقال له: لا بد من قتل ابن أثال، وكان نافعٌ جُلداً شهماً، فخرجوا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يُمسي عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى حتى

(١) بيّن أوصاله: قطع أوصاله.

خرج، فقال خالد لنافع: إياك أن تعرّض له أنت فإنني أضربه، ولكن احفظ ظهري واكفني من ورائي، فإن رابك شيء تراه من خلفي فشأنك، فلما حاذاه وثب عليه خالد فقتله، وثار إليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملاً عليهم ففترقوا حتى دخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً ففاتا القوم، وبلغ معاوية الخبر فقال: هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذي دخل فيه، ففتش عليه فأتى به فقال: لا جزاك الله من زائر خيراً، قتلت طيببي، قال: قتلت المأمور وبقي الأمر. فقال له: عليك لعنة الله، أما والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا، قال: بلى والله ما اجترأت إلا به، ثم أمر به فطلب فوجد فأتى به، فضربه مائة سوط ولم يُهْجُ خالداً بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية ابن أثنال اثني عشر ألف درهم، أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف، ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذي يدخل بيت المال.

وخالد بن المهاجر الذي يقول:

يا صاح ياذا الضامِرِ العَنَسِ والرَّحْلُ ذِي الأَنَساعِ والحِلْسِ
سِيرُ النهارِ ولست تاركَه وتُجِدُّ سِيراً كُلَّما تُمَسِّي
[الكامل]

في هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده في شعر المهاجر ولا أدري أهو له أم ألحقه المغنون، لحنان: ثقیل أول وخفيف ثقیل، ذكر يونس أن أحدهما لمالك ولم يذكر طريقته في لحنه، ووجدته في جامع غناء معبد عن الهشامي، ويحيى المكي [فيه له خفيف ثقیل، وهكذا ذكر علي بن يحيى أيضاً، ولعله رواه عن ابن المكي] وإن كان هذا لمعبد صحيحاً فلحن مالك هو الثقیل الأول، وذكر غيره ممن لا يحصل قوله أن لحن معبد ثقیل أول بالوسطى.

رجع الخبر إلى سياقة حديث خالد

قال: ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في السجن:

إمّا خُطايَ تقاربَت مَشْيَ المَقْيَدِ في الحِصارِ
فيما أُمسّى في الأبا طح يفتفي أثري إزاري
دُعْ ذا ولكن هل ترى ناراً تُشَبُّ بذِي مُرارِ

مَا إِنْ تُشَبَّ لِقِرَّةً لِمَصْطَلِينَ وَلَا قُتَارٍ^(١)
 مَا بَالُ لَيْلِكَ لَيْسَ يَنْزُ قِصَصُ طَوْلِهِ طَوْلُ النَّهَارِ
 لَتَقْصُصُ الْأَزْمَانَ أَمْ غَرَضِ^(٢) الْأَسِيرِ مِنَ الْإِسَارِ
 [مجزوء الكامل]

قال: فبلغت أبياته معاوية فرقاً له وأطلقه، فرجع إلى مكة، فلما قدمها لقي عروة بن الزبير فقال له: أَمَا ابْنُ أَثَالٍ فَقَدْ قَتَلْتُهُ، وهذا ابن جُرْمُوزٍ يقيء أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ثائراً، فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني يعقوب بن نعيم قال: حدثني إسحاق بن محمد قال: حدثني عيسى بن محمد القَحْطَبِيُّ قال:

حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّرٍ قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون وأنا حاضر:

يَا صَاحِ يَاذَا الضَّامِرِ الْعَنْسِ وَالرَّحْلِ ذِي الْأَقْتَابِ وَالْحِلْسِ
 [الكامل]

قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: تأمر سيدي - يا أمير المؤمنين - بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائزتي فهو أحب إليّ منها، فقال له: يا عم ألق هذا الصوت على محمد، فألقاه عليّ حتى إذا كدت أن أخذه قال: اذهب فأنت أحق الناس به، فقلت له: لم يَصِحَّ لي بعد، قال: فاغْدُ غداً عليّ فغدوت عليه فأعاده مُلتوياً فقلت له: أيها الأمير لك في الخلافة ما ليس لأحد، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة، تجود بالرغائب وتبخل عليّ بصوت؟ فقال: ما أحملك؟ إن المأمون لم يستبقني محبةً لي ولا صلةً لرحمي ولا ليربِّ المعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجِرمِ^(٣) ما لم يسمعه من غيره، قال: فأعلمتُ المأمون بمقالته فقال: إِنَّا لَا نُكَدِّرُ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ عَفْوَنا عنه فدَعَه، فلما كانت أيامُ المعتصم نشط للصُّبُوحِ^(٤) يوماً فقال: أحضروا عمِّي، فجاء في دُرَّاعةٍ بغير طيلسان، فأعلمت المعتصم خبر الصوت سرّاً فقال: يا عم غنني:

يَا صَاحِ يَاذَا الضَّامِرِ الْعَنْسِ وَالرَّحْلِ ذِي الْأَقْتَابِ وَالْحِلْسِ
 [الكامل]

(١) القُتَار: الغبار، والدخان من المطبوع.

(٢) الغَرَض: الضجر والبلال.

(٣) الجِرم: طعام وشراب الصباح.

(٤) الجِرم: جهازة الصوت.

فغناه، فقال له: ألقه على محمد، فقال: قد فعلت، وسبق مني قول أن لا أعيده عليه، ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضر.

صوت

أَقْفِرْ بَعْدَ الْأَحْبَةِ الْبَلَدُ فَهُوَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدُ
شَجَاكَ نُؤْيٍ عَفْتُ مَعَالِمَهُ وَهَامِدٌ فِي الْعِرَاصِ مُلْتَبِدُ
أُمُّكَ عُبْسِيَّةٌ مَهْذَبَةٌ طَابَتْ لَهَا الْأَمْهَاتُ وَالْقَصْدُ
تُدْعَى زُهَيْرِيَّةً إِذَا انْتَسَبَتْ حَيْثُ تَلَاقِي الْأَنْسَابَ وَالْعَدْدُ

[المنسرح]

الشعر لحمزة بن بِيض، والغناء لمعبد خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن عبّاد ثاني ثقیل بالوسطى عن الهشامي وعمرو وابن المكي.

أخبار حمزة بن بيض ونسبه

حمزة بن بيض الحنفي شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كوفي خَلِيع ماجن، من فحول طبقته، وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بُردة، واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ولم يدرك الدولة العباسية.

أخبرني عمي قال: حدثنا أبو هفان قال: أخبرني أبو مُحَلَّم، عن المفضل قال: أخذ حمزة بن بيض الحنفي بالشعر ألف ألف درهم من مال وحُمْلان وثياب ورقيق وغير ذلك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة قال:

قدم حمزة بن بيض الحنفي على بلال بن أبي بُردة [فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه: استأذن لحمزة بن بيض الحنفي] فدخل الغلام إلى بلال فقال: حمزة بن بيض بالباب، وكان بلال يُكثر المزح معه، فقال: أخرج إليه فقل له: حمزة بن بيض ابن مَنْ؟ فرجع الحاجب إليه فقال له ذلك، فقال ادخل إليه فقل له: الذي جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد^(١) تسأله أن يهب لك طائراً، فأدخلك وناكك ووهب لك طائراً. فشتمه الحاجب فقال له: ما أنت وذأ؟ بعثك برسالة فأخبره بالجواب، فدخل الحاجب وهو مغضب، فلما رآه بلال ضحك وقال: ما قال لك؟ قال: قبحه الله ما كنت لأخبر الأمير بما قال، فقال: يا هذا أنت رسول فأد الجواب، فأبى، فأقسم عليه حتى أخبره، فضحك حتى فحص برجله وقال: قل له: قد عرفنا العلامة فادخل، فدخل فأكرمه ورفعاه وسمع مديحه وأحسن صلته، قال: وأراد بقوله بيض ابن مَنْ، قول الشاعر:

أنت ابنُ بيضٍ لعمري لستُ أنكرُهُ وقد صدقتَ ولكن من أبو بيضٍ
[البسيط]

(١) أمرد: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تثبت لحيته.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو. وأخبرني وكيع قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان. قال: أخبرني أبو الحسن الشيباني قال: حدثني شعيب بن صفوان قال: قدم حمزة بن بيض على مَخْلَد بن يزيد بن المُهَلَّب، وعنده الكمية فأنشده قوله فيه:

أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَأَقْضِهَا وَفِي أَدَبٍ مِنْهُمْ مَا نَشَأْتُ
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى مَعْشَرٍ بَلَّغْتَ لِعَشْرِ مَضَتْ مِنْ سِنِيهِ
فَإِنَّكَ فِي الْفَرْعِ مِنْ أُسْرَةٍ فَهَمُّكَ فِيهَا جَسَامُ الْأُمُورِ
وَجُدْتَ فَقُلْتَ أَلَا سَائِلٌ [فَمِنْكَ الْعَطِيَّةُ لِلْسَائِلِينَ
وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ وَمَنْ يَنْوَبُكَ أَنْ يَطْلُبُوا]
مَتَى يَعِدُّوْا عِدَّةً يَكْذِبُوا [الْمُقَارِبُ]

فأمر له بمائة ألف درهم فقبضها، قال وكيع في خبره: فسأله عن حوائجه [فأخبره بها] فقبضى جميعها، وقال أيضاً في خبره: فحسده الكمية فقال: يا حمزة أنت كمهدي التمر إلى هَجْر^(١). قال: نعم ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر. أخبرني علي بن سليمان قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: قال الجاحظ:

أَصَابَ حَمْزَةً بَنَ بَيْضَ حُصْرٍ^(٢) فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ يَعُودُونَهُ وَهُوَ فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ
الْقَوْلُوجِ^(٣) إِذْ ضَرَطَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ حَمْزَةً: مِنْ هَذَا الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: قال: علي بن الصباح: حدثني هشام بن محمد عن الشرقي قال:

زَعَمَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَنبَسَةَ مَرَّ إِذَا بَغْلَامٍ أَصْبَحَ الْغُلَّامَانِ

(١) هَجْر: اسم يطلق على «المدينة» وعادة ما تضاف كلمة «هجر» إلى اسم آخر مثل هجر نجران، وهجر تيماء، وهجر البحرين وهي الأماكن المشهورة بأنواع التمر.

(٢) الحُصْر: احتباس ذي البطن واعتقاله.

(٣) القولُوج: مرض في المعدة مؤلم جداً يعسر معه خروج الريح.

وأحسنهم، ولم يكن لعبد الرحمن ولد، فسأل عنه فقيل له: يتيم من أهل الشام قدم أبوه العراق في بغي فقتل وبقي الغلام هاهنا، فضمه ابن عنبة إليه وتبناه، فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا، ومراً يوماً على برذون ومعه خدم على ابن بيض، وحول ابن بيض عياله في يوم شات وهم شعث غبر عراة، فقال ابن بيض: من هذا؟ فقيل: صدقه يتيم ابن عنبة فقال:

يَشَعْتُ صَبِيَانَا وَمَا يَتِمُّوَا وَأَنْتَ صَافِي الْأَدِيمِ وَالْحَدَقَّةُ
فَلَيْتَ صَبِيَانَنَا إِذَا يَتَمُّوَا يَلْقَوْنَ مَا قَدْ لَقَيْتَ يَا صَدَقَّةُ
عَوَّضَكَ اللَّهَ مِنْ أَبِيكَ وَمِنْ أَمَّكَ فِي الشَّامِ بِالْعِرَاقِ مِقَّةُ^(١)
كَفَاكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَدُهُمَا فَأَنْتَ فِي كَسْوَةٍ وَفِي نَفَقَةٍ
تَظِلُّ فِي دَرْمَكٍ^(٢) وَفَاكِهِة وَلَحْمِ طَيْرٍ مَا شِئْتَ أَوْ مَرَقَةٍ
تَأْوِي إِلَى حَاضِنٍ وَحَاضِنَةٍ زَاذَا عَلَى وَالِدَيْكَ فِي الشَّفَقَةِ
فَكُلْ هَنِيئاً مَا عَاشَ ثُمَّ إِذَا مَاتَ فَلْغُ فِي الدَّمَاءِ وَالسَّرِقَةِ
وَخَالَفِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَتَهُمْ وَضِلَّ عَنْهُمْ وَخَادِنِ الْفَسَقَةِ
وَاشْتَرِ نَهْدَ التَّلِيلِ ذَا خُصْلِ لِصَوْتِهِ فِي الصَّهِيلِ صَهْصَلَقَةٍ^(٣)
فَاقْطَعْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ تَلْقَ غَدَاً رَبَّ دَنَانِيرَ جَمَّةٍ وَرِقَةٍ^(٤)

[المنسرح]

فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قال ابن بيض أجمع، من الفساد والسرقة وصحة اللصوص له، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق فأخذ وُصْلَبَ.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني النوفلي، عن أبيه. قال ابن عمار: وأخبرني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني أبي عن أبي سفيان الحميري قال:

خرج حمزة بن بيض يريد سفراً فاضطره الليل إلى قرية عامرة كثيرة الأهل والمواشي من الشاء والبقر، كثيرة الزرع، فلم يصنعوا به خيراً، فغدا عليهم فقال:

لَعَنَ الْإِلَهِ قُرَيْيَةً يَمُمْتُهَا فَأُضَافَنِي لَيْلًا إِلَيْهَا الْمَغْرِبُ

(١) المِقَّة: الحب الشديد والولع.

(٢) الدَّرْمَك: دقيق الجوارى وهو الدقيق الأبيض أو لباب الدقيق، وهو أيضاً التراب الناعم.

(٣) الصهصلقة: شدة صهيل الفرس.

(٤) الْوَرَق: الدراهم المضروبة.

الزارعين وليس لي زرعُ بها والحالين وليس لي ما أُحلبُ
فلعلّ ذاك الزرعُ يُؤذي أهله ولعلّ ذاك الشاء يوماً يَجْرَبُ
ولعلّ طاعوناً يُصيبُ علوجها ويصيب ساكنها الزمانُ فتخرِبُ
[الكامل]

قال: فلم تمر بتلك القرية سنةً حتى أصابهم الطاعون فأباد أهلها وخربت إلى اليوم، فمرّ بها ابن بيض فقال: كلا، زعمتُ أنني لم أُعطَ مُنيّتي، قالوا: وأبيك لقد أُعطيتُها فلو كنتَ تمَنّيتَ الجنةَ الحسنةَ كان خيراً لك، قال: أنا أعلمُ بنفسِي، لا أتمنى ما لست له بأهل، ولكنني أرجو رحمةَ ربي عزَّ وجلَّ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال: قال ابن عائشة.

خرج ابن بيض في سفر، فنزل بقوم فلم يحسنوا ضيافته، وأتوه بخبز يابس وألقوا لِبَعْلَتِهِ تَبْنًا، فأعرض عنهم وأقبل على بعلته فقال:

أحْسُبِهَا لَيْلَةً أَدْلَجْتُهَا فكُلِّي إِنْ شِئْتَ تَبْنًا أَوْ ذَرِي
قد أتى ربك خبزٌ يابسٌ فتغذّي معه واصطبري
[الرمّل]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني قال:

قال حمزة بن بيض يوماً للفرزدق: أيما أحبُّ إليك؟ تسبق الحِرَّ أو يسبقك قال: لا أسبقه ولا يسبقني ولكن نكون معاً، فأَيُّمَا أحبُّ إليك؟ أن تدخلَ إلى بيتك فتجد رجلاً قابضاً على حِرِّ امرأتك أو تجد امرأتك قابضةً على أيره؟ فقال: كلامٌ لا بُدَّ من جوابه والبادئُ أظلم: بل أجدها قابضةً على أيره قد أغنته عن نفسها.

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشامي قال ابن الأعرابي:

وقع بين بني حنيفة بالكوفة وبين بني تميم شر حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بيض: ألا تأتي هؤلاء القومَ فتدفعَهم عن قومك فإنك ذو بيان وعارضة؟ فقال:

لا، لا تلمني يا ابن ماهان إنني أخاف على فَحَّارتي أن تحطَّما
ولو أنني أبتاع في السوق مثلها وعيشك ما باليتُ أن أتقدِّما
[الطويل]

قال: وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هُبيرة، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين ألف درهم، واستودع مثلها رجلاً نَبِيذِيًّا^(١)، فأما الناسك فبنى بها داره وتزوج النساء وأنفقها وجحدها، وأما النَبِيذِيُّ فأدَّى إليه الأمانة في ماله، فقال ابن بيض فيهما:

أَلَا لَا يَغُرُّكَ ذُو سَجْدَةٍ يَظْلُ بِهَا دَائِباً يَخْدَعُ
كَأَنَّ بَجْبَهَتِهِ حَلِيَّةً يُسَبِّحُ طَوْرًا وَيَسْتَرْجِعُ
وَمَا لَلتُّقَى لَزِمْتُ وَجْهَهُ وَلَكِنْ لِيَغْتَرَّ مُسْتَوْدَعُ
فَلَا تَنْفَرَنَّ مِنْ أَهْلِ النَّبِيذِ وَإِنْ قِيلَ يَشْرَبُ لَا يُقْلِعُ
فَعِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا قَدْ خَبِرَ تَ إِنْ كَانَ عِلْمٌ بِهَا يَنْفَعُ
ثَلَاثُونَ أَلْفًا حَوَاهَا السَّجُودُ فَلَيْسَتْ إِلَى أَهْلِهَا تَرْجِعُ
بَنَى الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَا مَالِهِ [وَأَصْبَحَ فِي بَيْتِهِ أَرْبَعُ]
[مِهَائِرُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ حَوَاهُ] - يَقَاتُونَ أَرْزَاقَهُمْ - جُوعُ
[الْمُقَارِب]

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن زكريا الصَّحَّاف قال: حدثنا قعنب بن المُحرز قال: حدثنا أبو عبيدة والأصمعي وكيسان بن المُعرِّف، فذكر نحو هذا الخبر إلا أنه حكى أن حمزة بن بيض هذا الذي استودع الرجلين المال وقال:

وَأَدَّى أَخُو الْكَاسِ مَا عِنْدَهُ وَمَا كُنْتُ فِي رَدِّهَا أَطْمَعُ
[الْمُقَارِب]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: أخبرنا عبد الله بن شبيب قال: حدثني أحمد بن محمد عن ابن داجة قال:

اِخْتَصَمَ أَبُو الْجَوْنِ السَّحِيمِيُّ وَحَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ إِلَى الْمَهَاجِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكِلَابِيِّ وَهُوَ عَلَى الْإِمَامَةِ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ حَمْزَةُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

عَمَّضْتُ فِي حَاجَةٍ كَانَتْ تُؤَرِّقُنِي لَوْلَا الَّذِي قُلْتُ فِيهَا قَبْلَ تَغْمِيضِي
[الْبَسِيط]

قال: وما قلت لك؟ قال:

حَلَفْتُ بِاللَّهِ لِي أَنْ سَوْفَ تُنْصِفُنِي فَسَاغَ فِي الْحَلْقِ رَيْقِي بَعْدَ تَجْرِيفِي^(٢)
[الْبَسِيط]

(٢) التجريض: الابتلاع بعسر على همّ وحزن.

(١) النَبِيذِيُّ: شارب للنبيذ، مدمّن عليه.

قال: وأنا أحلف لأنصفنك. قال:

سَلْ هَؤُلَاءِ عَنْ أُولِي مَاذَا شَهِادَتُهُمْ أم كيف أنت وأصحاب المعاريض
[البسيط]

قال: أوجعهم ضرباً، فقال:

وَسَلْ سُحَيْمًا إِذَا وَافَاكَ جَمْعُهُمْ هل كان بالسّر خَوْضٌ مثل تحريضي
[البسيط]

قال: ففضى له، فأنشأ السحيمي يقول:

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره حقاً يقيناً ولكن من أبو بيض
إن كنت أنبضت لي قَوْساً لترميني فقد رميتك رمياً غير تنبيض^(١)
أو كنت خضخضت لي وطباً لتسقينني فقد سقيتك مَحْضاً^(٢) غير ممخوض^(٣)
[البسيط]

قال: فوجم حمزة وقُطِعَ به، فقيل له: ويلك ما لك لا تحببه؟ قال: وبم أجيبه،
والله لو قلت له: عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعتني ذلك بعد قوله: ولكن من
أبو بيض.

وأخبرني بهذا الخبر ابنُ دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة بمثله، وقال فيه:
إن المخاصم له أبو الحويرث السحيمي.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا السكُن بن سعيد، عن
محمد بن عبّاد قال:

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب السجن فأنشده قوله:

أغلق دون السمّاح والجود والنجم دة باب حديدُه أشب^(٤)
إبن ثلاثٍ وأربعين مضت لا ورعٌ واهن ولا نكيب
لا بطرٌ إن تابعت نعم وصابر في البلاء مُحْتَسِب
برزت سبَق الجواد في مهل وقصّرت دون سعيك العرب
[المنسرح]

(١) التنبيض: هو تجذيب وتر القوس وتسويتها.

(٢) المحض: الخمر الخالص.

(٣) المخوض: الممزوج، المخلوط.

(٤) أشب: ملتف.

فقال: واللّه يا حمزة لقد أسأت إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا منزل لك، ثم رفع مقعداً تحته فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف فقال: خذ هذا الدينار فواللّه ما أملك ذهباً غيره، فأخذه حمزة، وأراد أن يرده فقال له سرّاً: خذه ولا تُخدع عنه، قال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه قلت: واللّه ما هذا بدينار؛ فخرجت فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً فأردت أن أردّه عليه فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة فإذا فيها فصّ ياقوت أحمر كأنه سقط زُنْدٍ، فقلت: واللّه لئن عرضت هذا بالعراق ليُعْلَمَنَّ أنني أخذته من يزيد فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان فبعته على رجل يهوديّ بثلاثين ألفاً، فلما قبضت المال وصار الفصّ في يده قال لي: واللّه لو أبيت إلا خمسين ألف درهم لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي جمرة، فلما رأى تغير وجهي قال: إني رجل تاجر، ولست أشكّ أنني قد غممتك، قلت: إي واللّه وقتلتني، فأخرج إليّ مائة دينار وقال: أنفق هذه في طريقك لتتوفر عليك تلك.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي:

دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب وهو في حبس عمر بن عبد العزيز
فأنشده قوله فيه:

أصبح في قيدك السماحة والـ حامِلٌ للمُفضلات والحَسَبُ
لا بَطِرٌ إنْ تتابعَتْ نِعَمٌ وصابرٌ للبلَاءِ محتسِبٌ

[المنسرح]

فقال له: ويحك أتمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنت هكذا لطالما أُثِبتَ على الثناء فأحسنْتَ الثواب والرّفْدَ، فلا بأس أن نُسلفك الآن، قال أمّا إذا جعلته سَلَفاً فاقنّع بما حضر إلى أن يُمكنَ قضاء دينك. وأمر غلامه فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: قاتله اللّه، يُعطي في الباطل ويمنع الحق، يعطي الشعراء ويمنع الأمراء.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الأول بن يزيد قال: حدثنا العمريّ، عن الهيثم بن عدي قال:

أخبرني مخلد بن حمزة بن بيض قال: قدم أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك فأدخله عليه فأنشده قوله:

ساس الخلافة والداك كلاهما من بين سَخِطَةٍ ساخطٍ أو طائعٍ

أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً وعلى جبينك نورٌ ملكٍ رابعٍ
 سرّيت خوف بني المهلب بعدما نظروا إليك بسمّ موتٍ ناقعٍ
 ليس الذي ولّك ربك منهم عند الإله وعندهم بالضائع
 [الكامل]

فأمر له بخمسين ألفاً.

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن عمرو قال: حدثني جعفر بن محمد
 العاصي قال: حدثني عيينة بن الينها قال: حدثني الهيثم بن عديّ قال:
 حدثني أبو يعقوب الثقفي قال: قال لي حمزة بن بيض: لما وفد الكميّ بن
 يزيد إلى مّخلد بن يزيد بن المهلب وهو يخلّف أباه على خراسان وكان واليها وله
 ثماني عشرة سنة، وقد مدحه بقصيدته التي أولها:

هلا سألت معالِمَ الأطلالِ؟

وهي التي يقول فيها:

يمشين مَشْيَ قَطَا البِطاحِ تأوداً قُبَّ البُطونِ رواجِحَ الأكفالِ
 [الكامل]

وقصيدته التي يقول فيها:

هلا سألت منازلاً بالأبرق

أعطاه مائة ألف درهم سوى العُروض والحُمَلاَن، فقدم الكوفة في هيئة لم يُرْ
 مثُلاً، فقلت في نفسي: واللّهِ لأنا أولى من الكميّ بما ناله من مّخلد، وإني لحليفه
 وناصره في العصبية على الكميّ وعلى مُضَرّ جميعاً، فهَيَّأت لمّخلد مديحاً على رَوِيّ
 قصيدتي الكميّ وقافيتهما، ثم شخّصت إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم أتتني
 جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمُضَرّ من البدو فقالوا: إنك تأتي مّخلداً وهو
 فتى العرب، ونحن نعلم أنك لا تُؤثر على نفسك، ولكن إذا فرغ من أمرك فأعلمه
 ممشاناً إليك ومسألتن إياك كلامه، فخرجوا أن نكون عند ظنّنا، فلما قدمت على مّخلد
 خراسان أنزلني وفرش لي وأخدمني، وحملني وكساني وخلطني بنفسه، فكنت أسمرُ
 معه فقال لي ليلة: أعليك أدين يا ابن بيض؟ قلت: دعني من مسألتك إياي عن الدين،
 إنك قد أعطيت الكميّ عطية لست أَرْضى بأقلّ منها وإلا لم أدخل الكوفة ولم أُعَيَّر
 بتقصيرك بي عنه، فضحك ثم قال لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميّ، فأمر لي
 بمائة ألف درهم كما أعطى الكميّ وزادني عليه، وصنع بي في سائر الألفاظ كما

صنع به، فلما فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكيرة حاجة القوم في الديات، فلما جلس أنشدته:

أتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحباً يَجِبِ المَرْحَبُ
ولا تَكِلْنَا إلى معشر متى يَعْدُوا عِدَّةً يَكْذُبُوا
فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أذبوا
بلغت لعشر مضت من سنين ك ما يبلغ السيّد الأشلب
فهّمك فيها جسام الأمور وهم لِدَاتك أن يلعبوا

[المقارب]

فقال: مرحباً بك وبحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم وقُلت: حمالات في ديات، فتبسم ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، فقلت: أو غير ذلك أيها الأمير، قال: وما هو؟ قلت: أدُل على قبر المهلب حتى أشكو إليه قطيعة ولده، فتبسم ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت وقلت: بل أدُل على قبر المهلب حتى أشكو إليه قطيعة ولده، فتبسم ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت وقلت: بل أدُل على قبر المهلب، فقال: زده عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها ويزيدني عشرة آلاف حتى بلغت تسعين ألفاً، فخشيت واللّه أن يكون يلعب أو يهزأ بي فقلت: وصلك الله أيها الأمير وأجرِك وأحسن جزاءك، فقال مخلد: أما واللّه لو أقمت على كلامك ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه.

أخبرني محمد بن [أحمد بن] يزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا الزبير بن بكار قال:

حدثني النضر بن شميل قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو وعليّ أطمار مُتَرَعِبِلَة^(١) فقال لي: يا نضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إن حرّ مرو لا يُدفع إلّا بمثل هذه الأخلاق، قال: لا ولكنك رجل متقشّف، فتجارينا الحديث، فقال المأمون: حدثني هُشَيْم بن بشير عن مُجَالِد، عن الشَّعْبِي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَدَاد من عَوَز». هكذا قال سَدَاد بالفتح، فقلت: صدقوك يا أمير المؤمنين. وحدثني عوف الأعرابي عن الحسن [عن علي بن أبي طالب] أن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج

(١) مترعبة: رثّة خلقة.

الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سِدَادٌ من عَوَزٍ». وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال: السَّدَادُ لَحْنٌ عندك يا نَضْرُ؟ قلت: نعم، هاهنا يا أمير المؤمنين وإنما هُشِيمَ لَحْنٌ وكان لَحَّانَةً، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السَّدَادُ؛ الْقَصْدُ في الدِّين والطريقة والسَّبِيل. والسَّدَاد: الْبُلْغَةُ وكلُّ ما سَدَدَتْ به شيئاً فهو سِدَادٌ، وقد قال العَرَجِيُّ:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريبهةٍ وسِدَادٍ ثَغَرِ
[الوافر]

قال: فأطرق المأمون ملياً ثم قال: قَبَّحَ اللَّهُ من لا أدب له، ثم قال: أنشدني يا نضر أخلَبَ بيتٍ للعرب، قلت: قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين:

تقول لي والعيونُ هاجعةٌ أقم علينا يوماً فلم أقمِ
أي الوجوه انتجعت قلت لها لأي وجهٍ إلا إلى الحَكَمِ
متى يَفُتْلُ حاجِباً سُرادقه^(١) هذا ابنُ بِيضٍ بالباب يَبْتَسِمِ
قد كنتُ أُسَلِّمْتُ فيك مُقْتَبِلاً فهاتِ أَرْحَلُ وأعطني سَلَمِي
[البسيط]

فقال المأمون: لله درك كأنما شق لك عن قلبي، فأنشدني أنصفَ بيتٍ للعرب، قلت قول أبي عَرُوبَةَ المدني:

إني وإن كان ابنُ عمي غائباً لِمُرَاجِمٍ من خلفه وورائه
ومفيدةٌ نَضْرِي وإن كان امرأً مُتَزَحِّحاً في أرضه وسمائه
وأكونُ واليَ سرِّه وأصونه حتى يجيء عليّ وقتُ أدائه
وإذا الحوادثُ أجحفتُ بسوامه فُرِنْتُ صَحِيحَتُنَا إلى جَرَبَائِهِ
وإذا دعا باسمي ليركب مَرَكَباً صعباً قعدتُ له على سِيسَائِهِ
وإذا أتى من وجهه بطريقةٍ لم أطلعُ فيها وراء خَبَائِهِ
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل ياليتَ أن عليّ حُسْنُ رَدَائِهِ
[الكامل]

فقال: أحسنت يا نضر، أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب، فأنشدته قول ابن عَبْدَلِ الْأَسَدِيِّ:

إني امرؤ لم أزلُ وذاك من اللّه قديماً أعْلَمُ الأدبَا

(١) السُّرَادِق: الفسطاط الذي يُمَدُّ فوق صحن البيت جمعها السُّرَادِقَات.

أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدار وإن كنت مازحاً طرباً
لا أجتوى خلة الصديق ولا أتبع نفسي شيئاً إذا ذهباً
أطلب ما يطلب الكريم من الرزق بنفسي فأجمل الطلب
وأحلب الثرة^(١) الصفي^(٢) ولا أجهد أخلاف غيرها حلباً
إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنيعة رغباً
والعبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهباً
مثل الحمار الموقّع السوء لا يحسن مشياً إلا إذا ضرباً
ولم أجد عروّة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسب
قد يرزق الخافض المقيم وما شد بعنس رَحلاً ولا قتباً
ويُحرّم الرزق ذو المطيّة والرحل ومن لا يزال مُعْترباً
[المنسرح]

فقال: أحسنت يا نضر وكتب إلى الفضل بن سهل بخمسين ألفاً، وأمر خادماً
بإيصال رقعة وتَنجُز ما أمر به إليّ، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك وقال
لي: يا نضر أنت المُلحّن لأمر المؤمنين؟ قلت: لا بل لهُشيم، قال فذاك إذاً، وأطلق
لي الخمسين الألف درهم وأمر لي بثلاثين ألفاً.

أخبرني الحسين بن يحيى قال: أخبرني حماد عن أبيه قال:

بلغني أن حمزة بن بيض الحنفي كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان،
وكان عبد الملك يعث به عبثاً شديداً، فوجه إليه ليلة برسول وقال: خذه على أيّ
حال وجدته ولا تدعه يُغيّرُها، وحلفه على ذلك وغلظ الأيمان، فمضى الرسول فهجم
الرسول عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء، فقال: أجب الأمير، فقال: ويحك إني
أكلت طعاماً كثيراً، وشربت نبيذاً حلواً، وقد أخذني بطني قال: واللّه لا تفارقني أو
أمضي بك إليه ولو سلحت^(٣) في ثيابك، فجهد في الخلاص فلم يقدر عليه، ومضى
به إلى عبد الملك فوجده قاعداً في طارمة^(٤) له، وجارية جميلة كان يتحطّأها جالسة

(١) الثرة: المُدرة، الغزيرة.

(٢) الصفي: الناقة الغزيرة اللَّبن.

(٣) سلحت في ثيابك: سلخ: تَعَوّط، وهو خاص بالطير والبهايم واستعماله للإنسان من باب التّساهل على التشبيه.

(٤) الطارمة: البيت من خشب يشبه القبة.

بين يديه تَسْجُرُ النَّدَّ في طارمته، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه، قال: فعرضتُ لي ربح فقلت: أَسْرَحُها وأستريح، فلعل ربحها لا يتبين مع هذا البخور، فأطلقتها فغلبتُ واللَّه رِبْحَ النَّدِّ وغمرته، فقال: ما هذا يا حمزة؟ فقلت عليَّ عهد الله وميثاقه وعليَّ المشي والهَدْيُ إن كنتُ فعلتها، قال: وما حلفتَ به عليَّ إن كنتُ فعلتها وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة، وغضب وأحفظ، وخجلت الجاريةُ فما قدرت على الكلام، ثم جاءني أخرى فسرَّحتها وسَطَعَ واللَّه رِبْحُها. فقال: ما هذا ويلك؟ أنت واللَّه الآفة، فقلت: امرأتي فلانة طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها. فقال: وهذه اليمين لازمة لي إن كنتُ فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، وقال: ويلك ما قصَّتْكَ؟ قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين حساً، فزاد خجلها وأطرقَتْ وطمعتُ فيها فسرَّحتُ الثالثة وسطع من ربحها ما لم يكن في الحساب، فغضب عبدُ الملك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال: خذ يا حمزة بيد الزانية فقد وهبتها لك وامض فقد نَعَصْتُ عليَّ ليلتي، فأخذتُ واللَّه بيدها وخرجت فلقيني خادم له فقال: ما تريد أن تصنع؟ قلت: أمضى بهذه، فقال: لا تفعل، فواللَّه لئن فعلتَ لِيُبْغِضَنَّكَ بُغْضاً لا تنتفع به بعده أبداً، وهذه مائة دينار فخذها ودع الجارية فإنه يتحطَّأها وسيندم على هبته إياها لك. قلت: واللَّه لا أنقصك من خمسمائة دينار، فلم يزل يزايدني حتى بلغ مائتي دينار وقال: ليس إلا ما قلتُ لك، فلم تطب نفسي أن أضيعها فقلت: هاتها، فأعطانيها وأخذ الجارية، فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك، فلما قربت من داره لقيني الخادم فقال: هل لك في مائة دينار وتقول ما لا يضرُّك ولعله ينفعك، قلت: وما ذاك؟ قال: إذا دخلتَ إليه ادَّعيتَ عنده الفسوات الثلاث ونسبتها إلى نفسك وتنضح عن الجارية ما قرَّفتها به. قلت: هاتها، فدفعها إليَّ، ودخلت على عبد الملك فلما وقفت بين يديه قلت: ألي الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك ويضحكك؟ قال: لك الأمان، فقلت: أرأيت ليلة ليلة وما جرى؟ قال: نعم، فقلت: عليَّ وعليَّ إن كان فسا الثلاثِ الفسواتِ غيري. فضحك حتى سقط على قفاه ثم قال: ويلك، فلم لم تخبرني؟ قلت: أردت بذلك خِصَالاً: منها أن قمْتُ فقضيتُ حاجتي وقد كان رسولك منعني منها، ومنها أني أخذت جاريته، ومنها أني كافأتك على أذاك لي بمثله، فقال: فأين الجارية؟ قلت: ما برحتُ من دارك ولا خرجتُ حتى سلَّمْتُها إلى فلان الخادم وأخذت مائتي دينار. فسُرَّ بذلك وأمر لي بمائتي دينار أخرى وقال: هذه لجميل فعلك بي وتركك أخذ الجارية.

قال حمزة بن بيض: ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم يرَ الناسُ أتننَ إبطاً منه

فقال: يا حمزة، سابقٌ غلامي هذا حتى يفوح صُنانكما، فأيكما كان صنانه أنتن فله مائة دينار، فطمعت في المائة ويئست منها لما أعلمه من نتن إبط الغلام فقلت: أفعَل، وتعادينا ساعة فتسبقني. فسلحت في يدي ثم طليت إبطي السُّلاح، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حَكماً يخبره بالقِصَّة، فلما دنا الغلامُ منه فشمه وثب وقال: هذا والله لا يشاكله شيء، فصحت به: لا تعجل بالحُكم مكانك، ثم دنوت منه فألّقت أنفَه إبطي حتى علمتُ أنه قد خالط دماغه وأنا ممسك لرأسه تحت يدي، فصاح: الموت والله، هذا بالكُفِّ أشبه منه بالآباط، فضحك عبد الملك ثم قال: أفحكمتَ له؟ قال: نعم، فأخذت الدنانير.

أخبرني عمي قال حدثني جعفر العاصي قال: حدثنا عيينة بن المنهال، عن الهيثم بن عديّ، عن أبي يعقوب الثقفي قال:

قال حمزة بن بيض: دخلت يوماً على مخلد بن يزيد فقلت:

إن المشارق والمغارب أصبحت تُجَبى وأنت أميرها وإمامها
[الكامل]

فضحك وقال: مه، فقلت:

أغفيتُ قبل الصبح نَوْمَ مَسْهَدٍ في ساعةٍ ما كنت قبلُ أنامها
[الكامل]

قال: ثم ماذا يكون؟ قلت:

فرايتُ أنك جُدْتَ لي بوَصيفةٍ موسومةٍ حَسَنٍ عليّ قيامها
[الكامل]

قال: قد فعلت، فقلت:

وَبَبْدرة حُمِلَتْ إليّ وبغلةٍ شقراء ناجيةٍ يَصِلُ لجامها
[الكامل]

قال: قد حقَّق الله رؤياك، ثم أمر لي بذلك كله، وعلم الله أنني ما رأيت من ذلك شيئاً.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وقد روى هذا بعينه لابن عبدل الأسدي، وذكرته في أخباره.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا عُمارة بنُ عقيل بن بلال بن جرير قال:

حج حمزة بن بيض الحنفي، فقال له ابن عمّ له: احجج بي معك، فأخرجه معه فحوّل^(١) عليه بعد نشاطه، فقال ابن بيض فيه:

وذي سِنَّةٍ لَمْ يَدْرِ مَا السَّيْرُ قَبْلَهَا وَلَمْ يَدْرِ مَا حَلُّ الْجِبَالِ وَعَقْدُهَا
وَلَمْ يَغْزُ مَا جُوراً وَلَا حَجَّ حَجَّةً عَدُونَا بِهِ كَالْبَغْلِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ
تَرَى الْمُحْمَلَ الْمُخْشَوْ فَاهُ عَرَامَةٌ فَإِنْ قُلْتُ لَيْلًا أَيْنَ أَنْتَ لِحَاجَةٍ
يَسُوقُ مَطِيَّ الْقَوْمِ طَوْرًا وَتَارَةً فَأَجَلَّتْهُ خَمْسًا وَقُلْتُ لَهُ انْتَظِرْ
فَلَمَّا صَدَرْنَا عَنْ رُبَالَةٍ وَارْتَمَتْ تَرَامَتْ بِهِ الْمَوْمَاءُ حَتَّى كَأَنَّمَا
وَحَتَّى نَبَا عَنْ مِزْوَدِ الْقَوْمِ ضَرْسُهُ وَحَتَّى لَوْ أَنَّ اللَّيْثَ لَيْثٌ خَفِيَّةٌ
وَحَتَّى لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ سُؤْلَهُ فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتَ الَّذِي بِهِ
أَطْعَمَنِي وَكُلُّ شَيْءٍ فَقَالَ مُعَذَّرًا فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْكَ جَارًا وَصَاحِبًا
وَقَالَ أَقِلْنِي عَثْرَتِي وَارْعَ حَرَمَتِي فَقُلْتُ لَهُ لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ

وَلَمْ يَغْتَسِفْ خَرْقًا مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلًا إِذَا الْبَرْدُ لَمْ يَتْرُكْ لِكَفِّهِ مَعْمَلًا
فِيضْرَبَ سَهْمًا أَوْ يَصَاحِبَ أَكْثَلًا^(٢) نَشَاطًا ثَنَاهُ الْحَرُّ حَتَّى تَقِيلًا^(٣)
وَيَأْبَى إِذَا أَمْسَى مِنَ الشَّرِّ مَقْبَلًا أَجَابَ بِأَنْ لَبَّيْكَ عَشْرًا وَأَقْبَلًا
يَقُودُ وَإِنْ شِئْنَا جَرَى ثُمَّ جَلَجَلًا^(٤) رُويْدًا وَأَجَلْنَا الْمَطِيَّ لِيَذُبَلًا
بَنَا الْعَيْسُ فِيهَا مَنْقَلًا ثُمَّ مَنْقَلًا يَسْفُ^(٥) بِمَعْسُولِ الْجَزِيرَةِ حَنْظَلًا
وَعَادَى مِنَ الْجَهْدِ الثَّرِيدِ الْمُدْبَلًا يَحَاوِلُهُ عَنْ نَفْسِهِ مَا تَحْلَحَلًا
وَقَالَ لَهُ مَا تَشْتَهِي قَالَ مَحْمَلًا وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يُنْضَى لَدِينَا وَيُهْزَلَا
مِنَ الْجَهْدِ أَطْعَمَنِي تُرَابًا وَجَنْدَلًا فَدَعَنِي فَلَا لَبَّيْكَ ثُمَّ تَجَدَلَا
وَقَدْ فَرَّ مِنِّي مَرَّتَيْنِ لِيَقْفُلَا^(٦) أَقِيلُكَ حَتَّى تَمْسَحَ الرُّكْنَ أَوَّلًا
[الطويل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال:

- (١) حوّل: أعيا وضعف ونام وعجز.
- (٢) الأَكْتَل: البليّة.
- (٣) تَقِيلُ: نام في منتصف النهار.
- (٤) جَلَجَل: رفع صوته مجلجلاً.
- (٥) يَسْفُ: يقال: سَفَّ الدواء أو السويق أو نحوهما، أي أخذه غير ملتوت أي غير مسحوق.
- (٦) يَقْفُلُ: يرجع ويعود.

أخبرني إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى الهاشمي قال: حدثني أبو عمر العمري قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال:

قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب: فوعده أن يصنع به خيراً ثم شغل عنه، فاختلف عليه مراراً فلم يصل إليه وأبطأت عليه عدته فقال ابن بيض:

أَمَخْلَدُ إِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَصْنَعُ
وَإِنِّي قَدْ أَمَلْتُ مِنْكَ سَحَابَةً
فَأَجْمَعْتُ ضَرْماً ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُ
فَأَيَّاسْنِي مِنْ خَيْرِ مَخْلَدٍ أَنَّهُ
يَجُودُ لِأَقْوَامٍ يُوَدُّونَ أَنَّهُ
وَيَبْخُلُ بِالْمَعْرُوفِ عَمَّنْ يُوَدُّهُ
أَأَصْرِمُهُ فَالضُّرْمُ شَرٌّ مَغْبَةً
وَشَتَّانَ بَيْنِي فِي الْوَصَالِ وَبَيْنَهُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا وَاصِلًا لِي بِوُدِّهِ
وَأَعْقَبَنِي ضَرْماً عَلَى غَيْرِ إِحْنَةٍ^(١)
وغيره ما غير الناس قبله

يَجُودُ فَيُعْطَى مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
فَجَادَتْ سَرَاباً فَوْقَ بَيْدَاءٍ تَلْمَعُ
يُثُوبُ إِلَى أَمْرٍ جَمِيلٍ وَيَرْجِعُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي فِيهِ مَطْمَعُ
مِنَ الْبُغْضِ وَالشَّنَّانِ أَمْسَى يَقْطَعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
وَنَفْسِي إِلَيْهِ بِالْوَصَالِ تَطْلَعُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَيَظْلَعُ^(٢)
وَمَعْرُوفُهُ بَعْدُ الْبَرِيدِ الْمُفْرَعُ^(٣)
وَبَخْلًا وَقَدْ مَأْكَانَ لِي يَتَبَرَّعُ
فَنَفْسِي بِمَا يَأْتِي بِهِ لَيْسَ تَقْنَعُ
[الطويل]

ثم كتبه في قرطاس وختمه وبعث به مع رجل فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه، فأدخل إليه الرجل فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال: لا أدري من هو ولكن صفته كذا وكذا، ووصف صفة ابن بيض، فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه وأمر له بخمسمائة درهم وكساه وقال: إنما ضربناك أدباً لك، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه، لمن لا تعرفه، فإياك أن تعود لمثلها، قال الرجل: لا والله أصلحك الله لا أحمل كتاباً لمن أعرف ولا لمن لا أعرف، قال: احذر فليس كلُّ أحد يصنع بك صنيعي، وبعث إلى ابن بيض فقال له: أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا فحدثه مخلد بقصته، فقال ابن بيض: والله أصلحك الله لا تزال نفسه تتوق إلى

(١) يطلع: يغمز في مشيته.

(٢) المفزع: المجول في الأرض.

(٣) الإحنة: الحقد والغضب.

العشرين السوط مع الخمسمائة أبداً، فضحك مخلد وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب وقال: وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً، قال: أجل والله ولكن من لي بمثلك يُعْتَبِنِي إذا استعتبته ويفعل بي مثل فعلك ثم قال:

وأبيضُ بهلولٍ إذا جئتُ داره كفاني وأعطاني الذي جئتُ أسألُ
ويُعتَبِنِي ^(١) يوماً إذا كنت عاتباً وإن قلت زِدْني قال حقاً سأفعلُ
تراه إذا ما جئته تطلب الندى كأنك تعطيه الذي جئتُ تسألُ
فلله أبناء المهلب فتية إذا لَقِحتُ حربَ عَوانٍ تأكلُ
هم يصطلون الحرب والموتُ كانع ^(٢) بسُمر القنا والمَشْرِفِيَّةُ عُسلُ
تري الموت تحت الخافقات أمامهم إذا وردوا عُلُّوا الرماح وأنهلوا
يجودون حتى يحسب الناس أنهم بجودهم نذرٌ عليهم مُحَلَّلُ
غيوث لمن يرجو ندهم وجودهم سَمَامٌ لأقوام لِحَاةٍ ^(٣) يُثْمَلُ ^(٤)
كفاك من أبناء المهلب أنهم إذا سئلوا المعروف لم يتبسَّلوا ^(٥)
فذلك ميراث المهلب إنه كريم نماء للمكارم أولُ
جرى وجرت آباؤه فتحرزوا من الدَّمِ في عِطاءٍ ^(٦) لا تُتَوَقَّلُ ^(٧)
[الطويل]

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وقال: نزيديك ما زدتنا ونضعف لك فقال:

أمخلد لم تترك لنفسِي بُغْيَةً وزدت على ما كنت أرجو وآملُ
فكنت كما قد قال معنُ فإنه بصيرٌ بما قد قال إذ يتمثلُ
وجدت كثير المال إذ ضنَّ مُعْدِماً يُذمُّ ويلحاه الصديق المؤملُ
وإن أحق الناس بالجدود من رأى أباه جواداً للمكارم يجذلُ
تَرُبُّ الذي قد كان قَدَمٌ والدُّ أغرُّ إذا ما جئته يتهلَّلُ
وجدت يزيداً والمهلبَ برزاً فقلت فإنني مثل ذلك أفعلُ

(٢) الكاتب: المشمر المجذ.

(٤) يُثْمَلُ: يُنْقَع كالخمر حتى يختمر.

(٦) العِطاء: المستطيلة في السماء.

(١) يُعْتَبِنِي: يرضيني.

(٣) اللِّحَاة: السِّبَّابون، اللِّمَّادون.

(٥) تَبَسَّلَ: عبس غضباً.

(٧) تَتَوَقَّلُ: تصعد.

ففرزت كما فازا وجاوزت غايةً يُقَصِّرُ عنها السابق المُتَمَهِّلُ
فأنت غياث لليتامى وعِصْمَةٌ إليك جمال الطالبى الخير تُرَحِّلُ
أصاب الذي رجى نذاك مُخِيلَةٌ تَصُبُّ عَزَالِيَهَا^(١) عليه وتَهْطُلُ
ولم تُلَفْ إذ رجوا نوالك باخلاً تظل على المعروف والمال تَعْقُلُ^(٢)
وموتُ الفتى خيرٌ له من حياته إذا كان ذا مال يَضُنُّ ويبخلُ
[الطويل]

فقال له مخلد: احتكم، فأبى، فأعطاه ألفي دينار وجارية وغلماً وبرودناً.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال:

كان حمزة بن بيض شاعراً ظريفاً، فشاتم حمّاد بن الزبرقان وكان من ظرفاء أهل الكوفة، وكلاهما صاحب شراب، وكان حمّاد يُتهم بالزندقة، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا، فدخلوا يوماً على بعض ولاية الكوفة فقال لابن بيض: أراك قد صالحت حمّاداً، فقال ابن بيض: نعم أصلحك الله، قد صالحته على أن لا أمره بالصلاة ولا ينهاني عنها.

أخبرني محمد بن زكريا قال: حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال: حدثني الهيثم بن عدي قال:

قدم حمزة من بيض البصرة زائراً لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى، وبينهما مودة منذ الصبا، فطال مقامه عنده، فاشتاق إلى أهله وولده فكتب إلى بلال:

كَلَّتْ رِحَالِي وَأَعَوَانِي وَأَحْرَاسِي إِلَى الْأَمِيرِ وَإِدْلَاجِي وَإِمْلَاسِي
إِلَى أَمْرٍ مُشْبَعٍ مَجْدًا وَمَكْرَمَةً غَادِيَةً فَهُوَ حَالٍ مِنْهُمَا كَاسِي
فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَا مِمَّا مُنِيتُ بِهِ مِنْ وَصَلٍ وَذِكِّ كَالْمَرْمِيِّ فِي الرَّاسِ
إِنِّي وَإِيَّاكَ وَالْإِخْوَانَ كَلَّهْمُ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ لَوْ قِيسُوا بِمُقْيَاسِ
وَذَاكَ مِمَّا يَنْوِبُ الدَّهْرُ مِنْ حَدَثٍ كَالْوَرْدِ فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ وَالْآسِ
يَبِيدُ هَذَا فَيَبْلَى بَعْدَ جِدَّتِهِ غَضًّا وَآخِرُهُ رَهْنٌ بِلَيْنَاسِ
وَأَنْتَ لِي دَائِمٌ بَاقٍ بِشَاشَتِهِ يَهْتَزُّ لَا عَوْدُهُ عَشٍّ وَلَا عَاسِي
[البسيط]

(١) العزالي: مفرداً عزلاء، وهي مصب الماء من القرية أو شدة وقع المطر.

(٢) تعقل: تشد بحبل أي تربط.

فعَجَّلَ له بلال صلته وسرَّحه إلى الكوفة .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا إسحاق بن محمد النَّخَعِي قال :
حدثنا أبو المَعَارِك الضَّبِّي قال : حدثني أبو مسكين قال :
دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك ، فلما مَثَلَ بين يديه أنشأ
يقول :

رَأَيْتَكَ فِي الْمَنَامِ شَنَنْتَ^(١) خَزًّا عَلَيَّ بِنَفْسَجَا وَقَضَيْتَ دَيْنِي
فَصَدَّقْ يَا فَدَّتَكَ النَّفْسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ لَدَيْكَ عَيْنِي
[الوافر]

فقال سليمان : يا غلام أدخله خزانة الكسوة واشنن عليه كل ثوب خز بنفسجي
فيها ، فخرج كأنه مُشَجَّبٌ^(٢) ثم قال له : كم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فأمر له
بها .

صوت

مِنْ سَرِّهِ ضَرْبٌ يُرْعِبِلُ^(٣) بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمَحْرَقِ
فَلِيَّاتٍ مَّأْسَدَةٍ تُسَنَّ سَيُوفُهَا بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِرْعِ الْخَنْدِقِ
[الكامل]

ويروى : يُمَعَمِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدة زَجَلِها ،
والمأسدة : الموضع الذي تجتمع فيه الأسود ، وتُسَنَّ : تحد ، يقال سيف مسنون ،
والمذاذ : موضع بالمدينة ، والخندق يعني به الخندق الذي احتفره رسول الله ﷺ
وأصحابه حول المدينة .

والشعر لِكَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ والغناء لابن محرز خفيف رمل بإطلاق الوتر
في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو .

(١) شَنَنْتَ : صَبَيْتَ .

(٢) الْمُشَجَّبُ : هو خشبات منصوبة يوضع عليها الثياب .

(٣) يُرْعِبِلُ : يشققه لتصل النار إليه .

أخبار كعب بن مالك ونسبه

هو كعب بن مالك بن أبي كعب واسم أبي كعب عمرو بن القَيْن بن سَوَاد - وقيل القين بن سوار، هكذا قال ابن الكلبي - ابن عَنَم بن كعب بن سَلَمَة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جُشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث.

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله ﷺ المعدودين، وهو بذريٍّ^(١) عَقَبِيٍّ^(٢). وأبوه مالك بن أبي كعب بن القين شاعر، وله في حروب الأوس والخزرج التي كانت بينهما قبل الإسلام آثار وذكر - وعمه قيس بن أبي كعب شهد بدرًا وهو شاعر أيضًا، وهو الذي حالف جُهينة على الأوس - وخبره يذكر في موضعه بعد أخبار كعب ابنه، ولكعب بن مالك أصل أصيل وفرع طويل في الشعر، ابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر، ومعن بن عمر بن عبد الله بن كعب شاعر [والزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر] وعبد الرحمن بن عبد الله [بن كعب أبو الخطاب] شاعر، ومعن بن وهب بن كعب شاعر، وكلهم مُجيد مقدّم.

وعُمَرُ كَعْبُ بن مالك، وروى عن النبي ﷺ حديثاً كثيراً، وكلُّ بني كعب بن مالك قد رَوَوْا عنه الحديث.

فمما رواه ابن ابنه بشير عن أبيه عنه، حدثني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أحمد بن عبد الملك قال: حدثنا عَتَّاب بن سلمة عن إسحاق بن رشاد. عن الزهري قال:

كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه، أن كعب بن مالك كان يحدث، أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لكانما تَنْضَحُونَهُم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر».

(١) البذري: الذي شهد موقعة بدر.

(٢) العقبي: الذي شهدبيعة العقبة.

ومما رواه عنه ابنه عبد الله، أخبرني أحمد بن الجعد قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال: حدثني عيسى بن المختار، عن ابن أبي ليلى، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم:

عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي المغرب ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يبصرون مواقع النبل حين يرمون.

ومما رواه ابنه محمد، حدثني أحمد بن الجعد قال: حدثني أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا محمد بن سابق قال: حدثنا إبراهيم طهمان، عن أبي الزبير:

عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حدثه: أن النبي ﷺ بعثه وأوس بن الحذثان أيام التشريق، فنادى: إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأيام منى أيام أكل وشرب.

وكان كعب بن مالك عثمانياً، وهو أحد من قعد عن علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يشهد حروبه، وخاطبه في أمر عثمان وقتله خطاباً نحن نذكره بعد هذا في أخباره، ثم اعتزله، وله مراتب في عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وتحريضه للأنصار على نصرته قبل قتله، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك، منها قوله:

فلو حُلْتُمْ مِنْ دُونِهِ لَمْ يَزَلْ لَكُمْ
وَلَمْ تَقْعُدُوا وَالِدَارُ كَابِ دُخَانِهَا
مَدَى الدَّهْرِ عَزَّ لَا يَبُوحُ^(١) وَلَا يَسْرِي^(٢)
يُحَرِّقُ فِيهَا بِالسَّعِيرِ وَبِالْجَمْرِ
وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلْغَوَايَةِ وَالنُّكْرِ
فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ ضِيقَةً
[الطويل]

أخبرني هاشم بن محمد الخزازي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال:

كان كعب بن مالك الأنصاري أحد من عاون عثمان على المصريين وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان - رضي الله عنه - الناس أن يُغمدوا سيوفهم انصرف، ولم ير أن الأمر يخلص إليه ولا يجري القوم إلى قتله، فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار في مسجد رسول الله ﷺ وأنشدهم قوله:

مَنْ مَبْلَغُ الْأَنْصَارِ عَنِّي آيَةٌ
أَنْ قَدْ فَعَلْتُمْ فَعَلَةً مَذْكُورَةً
رُسُلًا تَقْصُ عَلَيْهِمُ التَّبْيَانَا
كَسَتْ الْفُضُوحَ وَأَبَدَتِ الشَّنَانَا

(١) يبوخ: يخمد.

(٢) يسري: يسير.

بقعودكم في داركم وأميركم
بئنا يُرَجِّي دفعكم عن داره
حتى إذا خَلَصُوا إلى أبوابه
يُعلُّون قُلَّتَه السيوفَ وأنتم
أَلَّه يعلم أنني لم أرضه
يا لهف نفسي إذ يقول ألا أرى
والله لو شهد ابنُ قيس ثابتٌ
[الكامل]

[يعني ثابت بن قيس بن شماس]:

وأبو دُجَانَةَ وابن أقرم ثابتٌ
ورفاعةُ العُمريِّ وابن مُعَاذِهِم
قوم يرون الحق نَصَرَ أميرهم
وأخو المشاهد من بني عَجَلَانَا
وأخو مُعَاوِيٍّ لم يَخَفْ خِذلَانَا
ويرون طاعة أمره إيمانَا
[الكامل]

أبو دُجَانَةَ: سَمَّاكُ بن خَرْشَةَ، وابن أقرم: ثابتُ البَلَوِيِّ، وأخو المشاهد من بني
عَجَلَان: معنُ بن عدي بن الجدِّ عَقْبِيٍّ، ورفاعةُ العُمريِّ: رفاعَةُ بنُ عبد المنذر
العُمريِّ، وابن معاذ: سعدُ بن معاذ، وأخو معاوية: المنذر بن عمرو الساعدي عَقْبِيٍّ
بَدْرِيٍّ، قال:

إن يُتركوا فوضى يروا في دينهم
فَلْيُعْلِيَنَّ اللهُ كُغْبَ وَلِيَّه
إنني رأيت محمداً إختاره
مَحْضَ الضرائب ماجداً أعراقه
عرفت له عُلياً معدَّ كلِّها
من معشر لا يغدرون بجارهم
يُعْطُونَ سائلهم ويأمن جارهم
فَلَوْ أَنَّكُمْ مَعْ نصركم لنبيكم
أمرأ يُضَيِّق عنهم البلدانَا
وليُجعلَنَّ عدوّه الذُّلَّانَا
صِهْرًا وكان يَعِدُّهُ خُلَصَانَا
من خير خُنْدَفٍ^(١) منصِباً ومكانَا
بعد النبي المُلْكُ والسُّلْطَانَا
كانوا بمكة يَرتَعُونَ زمانَا
فيهم ويُردُّون الكُماة طِعَانَا
يوم اللقاء نصرتُم عثمانَا

(١) خنْدَف: ليلي بنت حلوان بن عمران.

أَنْسَيْتُمْ عَهْدَ النَّبِيِّ إِلَيْكُمْ وَلَقَدْ أَلْظَّ^(١) وَوَكَّدَ^(٢) الْإِيمَانَ
[الكامل]

قال: فجعل القوم ييكون ويستغفرون الله عز وجل.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر المهلب قال: حدثنا
عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عامر، عن ابن جريج، عن هشام بن عروة عن أبيه قال:
رجز راجز من قریش برسول الله ﷺ فقال:

لَمْ يَغْذُهَا مُدَّ^(٣) وَلَا نَصِيفُ^(٤) وَلَا تُمِيرَاتُ وَلَا تَعْجِيفُ^(٥)
لَكِنْ غَذَاهَا اللَّبَنُ الْحَرِيفُ وَالْمَخْضُ وَالْقَارِصُ^(٦) وَالصَّرِيفُ^(٧)
[الرجز]

قال فأحفظت الأنصار حيث ذكر المُدَّ والتمر فقالوا لكعب بن مالك: انزل فنزل
فقال:

لَمْ يَغْذُهَا مُدَّ وَلَا نَصِيفُ لَكِنْ غَذَاهَا الْحَنْظَلُ النَّقِيفُ^(٨)
وَمَذْقَةُ كَطُرَّةِ الْخَنِيفِ^(٩) يَنْبِتُ بَيْنَ الزَّرْبِ وَالْكَنِيفِ
[الرجز]

فقال رسول الله ﷺ: «اركبا».

أخبرني الجوهري والمهلب قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا هُوَذة بن
خليفة قال: حدثنا عوف، عن محمد بن سيرين في حديث طويل قال:

كان يهجوهم - يعني قریشاً - ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت
وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم
بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر
وينسبهم إلى الكفر، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر، فكان في ذلك الزمان أشد
شيء عليهم قول حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا
وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

(١) أَلْظَّ: أَلَحَّ.

(٢) وَكَّدَ الْإِيمَانَ: شدد وأكد.

(٣) المُدَّ: هو نوع من المكايل، ويتجزأ إلى نصف مدّ وربعية وثمانية.

(٤) النصيف: نصف المقدار.

(٥) التعجيف: هو ذهاب السمن.

(٦) القارص: اللبن بطعمه حموضة.

(٧) الصَّرِيف: اللبن الذي لم يخلط بشيء.

(٨) النقيف: الذي أكلته الأرضة.

(٩) الخنيف: القصير، والحذاء.

أخبرني الجوهري والمهلبى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن بكر السهمي قال: حدثني حاتم بن أبي صغيرة قال: حدثنا سِمَاك بن حرب قال: أتى رسول الله ﷺ فقيل: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوكم، فقام ابن رواحة فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه، فقال: أأنت الذي تقول: فثبّت الله. قال: نعم يا رسول الله أنا الذي أقول:

فثبّت الله ما أعطاك من حسنٍ تثبّيت موسى ونَصْرًا كالذي نصرُوا
[البسيط]

فقال: وأنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه، فقال: أأنت الذي تقول: همّت. قال: نعم يا رسول الله أنا الذي أقول:

همّت سَخِينَة أن تُغالب ربها وَلَيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْعَلَابِ
[الكامل]

فقال: أما إن الله لم ينس ذلك لك.

أخبرني الجوهري والمهلبى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا مجالد عن الشعبي قال:

لما انهزم المشركون يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين؟» فقام عبد الله بن رواحة فقال: أنا، فقال: «إنك لحسن الشعر»، ثم قام كعب فقال: أنا، فقال: «وإنك لحسن الشعر».

حدثني الجوهري والمهلبى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن منصور قال: حدثني سعيد بن عامر قال: حدثني جُوَيْرِيَة بن أسماء قال:

بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «أمرتُ عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت حسانَ فشفي واشتفى».

حدثني الجوهري والمهلبى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أحمد بن عيسى، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث أن يحيى بن سعيد حدثه، عن عبد الله بن أنيس عن أمه - وهي بنت كعب بن مالك.

أن النبي ﷺ خرج على كعب [وهو في مسجد رسول الله ﷺ] وهو ينشد، فلما

رآه كأنه انقبض، فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول الله ﷺ: «أنشد». فأنشد حتى أتى على قوله:

مقالتنا عن جذمنا كل فخمة

فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل: مقالتنا عن جذمنا، ولكن قل مقالتنا عن ديننا».

قال أبو زيد: وحدثني سعيد بن عامر قال: حدثنا ابن عون، عن ابن سيرين قال:

وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك فخرج [فقال له رسول الله ﷺ: «أنشد»] فأنشده، ثم قال: إيه، فأنشده، ثم قال: إيه. فأنشده؛ ثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ: «لهذا أشد عليهم من وقع النبيل».

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن منصور الرّبعي وذكر له إسناداً شامياً، هكذا قال ابن عمار في الخبر، وذكر حديثاً فيه طول لحسان بن ثابت والنعمان بن بشير [وكعب بن مالك، فذكرت منه ما كان لكعب قال:

لما بويع علي بن أبي طالب عليه السلام بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير] وكانوا عثمانية، أنهم يقدمون بني أمية على بني هاشم ويقولون: الشام خير من المدينة واتصل بهم أن ذلك قد بلغه، فدخلوا عليه فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن عثمان، أقتل ظالماً فنقول بقولك؟ أو قتل مظلوماً فنقول بقولنا؟ أم نكلك إلى الشبهة فيه؟ فالعجب من يقيننا وشكك، وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه فهاتيه نعرفه ثم قال:

وكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم الـ عداوة والبغضاء بعد التّواصل
وكيف رأيت الخير أدبر عنهم وولى كإدبار النعمان الجوافل
[الطويل]

فقال لهم علي عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى ذلك العرب ولا تعذرنا به، فقال علي عليه السلام: أتردّون علي بين ظهري المسلمين بلا بينة صادقة ولا حجة واضحة؟ أخرجوا عني فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً، فخرجوا من يومهم فसारوا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الكفاية والولاية. فأعطى

حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار وولى النعمان بن بشير حمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني، عن عبد الأعلى القرشي قال:

قال معاوية يوماً لجلسائه: أخبروني بأشجع بيت وصف به رجلٌ قومه، فقال له روح بن زنباع: قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السِّیُوفَ إِذَا قُضِرَ بَخَطُونَا يَوْمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
[الكامل]

فقال له معاوية: صدقت.

أخبار مالك بن أبي كعب

[مالك بن أبي كعب]

وأما أبوه مالك بن أبي كعب، أبو كعب بن مالك، فإني أذكر قبل أخباره شيئاً مما يغني فيه من شعره، فمن ذلك قوله :

صوت

لعمري أبيها لا تقول خليلتي ألا فرّ عني مالك بن أبي كعب
وهم يضربون الكبش يبرق بيضه ترى حوله الأبطال في حلق شهب
[الطويل]

الشعر لمالك بن أبي كعب، والغناء لمالك ثقیل أول بالبنصر عن يونس والهشامي، وفيه لإبراهيم خفيف بالوسطى وثاني ثقیل بالوسطى جميعاً عن الهشامي وزعم ابن المكي أن خفيف الثقیل هو لحن مالك.

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبي كعب في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظَفَر يقال له بَرْدَع بن عَدِيّ، وكان السبب [في ذلك] فيما ذكره جعفر العاصي عن عُيَيْنَةَ بن المِنْهَال، ونسخته من كتاب أعطانيه عليّ بن سليمان الأَخْفَش أنّ رجلاً من طيء قدم يثرب بإبل له يبيعها، فنزل في جوار بردع بن عديّ أخي بني ظَفَر، فباع إبله واقتضى أثمانها، وكان مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سَلَمَةَ اشترى منه جملاً، فجعله ناضحاً، فمطله مالك بن أبي كعب بثمان جملة، وحضر شُخُوص الطائيّ، فشكا ذلك إلى بردع، فمشى معه إلى منزل مالك ليكلّمه أن يوفيه ثمن جملة أو يرده عليه، فلم يجد مالكا في منزله ووجد الجمّل باركاً بالفناء، فبعثه بردع وقال للطائيّ: انطلق بجملك، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا في دار النّبيت فأمنّا، فارتحل الطائيّ بالجمال إلى بلاده، وبلغ مالكا ما صنعه بردع، فكره أن يُنْشَب بين قومه وبين النبيت حرباً، فكفّ وقد أغضبه ذلك، وجعل يُسَفِّه بردعاً في جرّاته عليه وما صنع، فقال بردع بن عدي في ذلك :

وَصَرَفُ النوى مَمَّا يَشْتُ وَيَجْمَعُ
مُسَفَّعَةً أَوْ قَدْ عَلا هُنْ أَبْدُعُ
حِذَاءً وَلَكِنْ قَدْ تَضَرَّ وَتَنْفَعُ
مَصِيفٍ وَمَشْتَى قَبْلَ ذَاكَ وَمَرْبَعُ
ذَلِيلٍ لَهُ عِنْدَ الْيَهُودِيِّ مُضْرَعُ
وَتَعْلَمُ بَأْنِي فِي الْهَزَاهِزِ^(٢) أَرْوَعُ
وَلَيْنُ إِذَا مَسَّ الضَّرِيبَةَ يَقْطَعُ
مَتِينَ كُخْرَصِ^(٣) الذَّابِلَاتِ^(٤) وَأَهْزَعُ^(٥)
أَلَا إِنَّنِي قَدْ خَانَنِي الْيَوْمَ بَرْدَعُ
وَمَوْلَايَ بِالتَّكْرَاءِ لَا أَتْظَلَعُ
عَلَى الْوَجْدِ^(٦) وَالْإِعْدَامِ عَرْضُ مَمْنَعُ
لِذِي كُلِّ جَنْبٍ مُسْتَقَرٍّ وَمَصْرَعُ
لَبَسْتُ وَلَا مِنْ خَزِيَّةٍ أَتَقَنَّعُ
[الطويل]

أَمِنْ شَحْطِ^(١) دَارٍ مِنْ لُبَابَةِ تَجْزَعُ
وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا ثَلَاثٌ كَأَنَّهَا
قَدْ اقْتَرَبَتْ لَوْ كَانَ فِي قَرْبِ دَارِهَا
وَكَانَ لَهَا بِالْمَنْحَنِ وَجُنُوبِهِ
أَتَانِي وَعَيْدُ الْخَزْرَجِيِّ كَأَنَّني
مَتَى تَلْقَنِي لَا تَلْقُ نُهْرَةَ وَاحِدٍ
مَعِي سَمْحَةً صَفْرَاءَ مِنْ فَرْعِ نَبْعَةٍ
وَمُطَّرِدٌ لَدُنَّ إِذَا هُزَّ مَثْنُهُ
فَلَا وَإِلَهِي لَا يَقُولُ مَجَاوِرِي
وَأَحْفَظُ جَارِي أَنْ أَخَاتِلَ عَرْسَهُ
وَأَجْعَلَ مَالِي دُونَ عَرْضِي إِنَّهُ
وَأَصْبِرَ نَفْسِي فِي الْكَرْيَهَةِ إِنَّهُ
وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثَوْبَ فَاجِرٍ

فأجابه مالك بن أبي كعب فقال :

صوت

أَمْ لَا نَوَالَ فِإِعْرَاضٍ وَتَحْمِيلُ
مِنْهُمْ مُرٌّ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَأْكُولُ
فِيهِمْ مِنْ هَفَوَاتِ الْجَهْلِ تَخْيِيلُ
[البسيط]

هَلْ لِلْفَوَادِ لَدَى شَنْبَاءِ تَنْوِيلُ
إِنْ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا
إِنْ النِّسَاءَ وَلَوْ صُورْنَ مِنْ ذَهَبِ

الغناء لسليم هزج بالوسطى عن الهشامي وبَدَل :

إِنَّكَ إِنْ تَنَّهُ إِحْدَاهُنَّ عَنْ خُلُقِ
فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بَدَّ مَفْعُولُ

إِنَّكَ إِنْ تَنَّهُ إِحْدَاهُنَّ عَنْ خُلُقِ

(٢) الهزاهز: تحريك البلايا والحروب.

(١) شحط الديار: بعدها.

(٣) الخرص: الحلقة تطيف بأسفل السنان.

(٤) الذابلات: الرماح.

(٥) الأهزع: السهم الذي يدخر للشدة وهو خير السهام وآخرها في الكنانة.

(٦) الوجد: الغنى.

ونعجة من نجاج الرمل خاذلة^(١) ودعتها في مُقامي ثم قلت لها
وليلة من جُمادى قد سَرَيْت بها ومُرَجَحَنَ على عَمَدٍ دلفتُ به
ولا أهاب إذا ما الحرب حَرَّشها الـ أمضي أمامَهُمُ والموتُ مُكْتَنَعُ^(٢)
عليّ فضفاضةٌ كالنَّهي^(٣) سابعةٌ ولدنةٌ^(٤) في يدي سمرَاءُ تُغْلِبُها
إني من الخزرج الغرّ الذين هم في الحرب أنهل منهم للعدوّ إذا
أشبهت من والدي عزّاً ومكرمةً تَبَّئْتَه يدّعي عزّاً ويُوعدني

كأنّ ماقيها بالحبرِ مكحولُ حيّاك ربك إني عنك مشغولُ والزّقُ^(٥) بيني وبين الروح معدولُ
كأنه رجل في الصف مقتولُ أبطال واضطربت فيها البهاليلُ
قُدماً إذا ما كبا فيها التنابيلُ^(٦) وصارمٌ مثل لون المِلح مصقولُ
بعامل كشهاب النار موصولُ أهل المكارم لا يُلْفَى لهم جيلُ
شَبْتُ وأعظم نَيْلاً إن هم سيَلُوا وبرذعُ^(٧) مدغمٌ في الأوس مجهولُ
فَرُكاً^(٨) وعندي له بالسيف تنكيلُ

[البسيط]

قال: ثم إن مالك بن أبي كعب خرج يوماً لبعض حاجته، فبينما هو يمشي وحده
إذ لقيه برذع ومعه رجلان من بني ظَفَر، فلما رأوا مالكا أقبلوا نحوه، فبدرهم مالك إلى
مكان من الحرّة كثير الحجارة مشرف، فقام عليه وأخذ في يده أحجاراً، وأقبلوا حتى
دنوا منه فشاتموه وراموه بالحجارة، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق التي جاء منها كأنه
يستبطئ ناساً، فلما رآه برذع وصاحبه يكثر الالتفات ظنوا أنه ينتظر ناساً كانوا معه،
وخشوا أن يأتوهم على تلك الحال فانصرفوا عنه، فقال مالك بن أبي كعب في ذلك:
لعمري أبيها لا تقول حليلتي ألا فرّ عني مالك بن أبي كعب

(١) الخاذلة: المقيمة على ولدها لا تبرحه.

(٢) الزّق: السّقاء، أو هو جلد يُجَزّ ولا ينتف للشراب وغيره جمعها أزقاق وزقاق.

(٣) المُكْتَنَع: المقترّب الداني.

(٤) التنابيل: القصار.

(٥) النّهي: الغدير.

(٦) اللدنة: اللين من كل شيء جمع لدان ولُدن.

(٧) برذع: إسم رجل: هو برذع بن عديّ.

(٨) الفرك: البغض والكره.

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً
أبى لي أن أعطي الصغار ظلامَةً
هم يضربون الكبش يبرق بيضه
وهم أورثوني مجدهم وفعالهم
وأنجو إذا غم الجبان من الكرب
جدودي وآبائي الكرام أولو السلب^(١)
ترى حوله الأبطال في خلق شهب
فأقسم لا يُزري بهم أبدا عقيب
[الطويل]

ويروى: لا يخزيهم:

وأرعى لجاري ما حييت ذمامه
ولا أسمع الندمان شيئاً يريبه
إذا ما اعتري بعض الندامى لحاجة
إذا أنفدوا الزق الروي وصرعوا
بعثت إلى حانوتها فاستبأتها
وقلت اشربوا رياً هنيئاً فإنها
يُطاف عليهم بالسديف^(٢) وعندهم
فإن يصبروا لي الدهر أضبرهم بها
وكان أبي في المحل يطعم ضيفه
ويمنع مولاه ويذكر تبلة^(٣)
إذا ما منعت المال منكم لثروة
وأعرف ما حق الرفيق على الصخب
إذا الكأس دارت بالمدام على الشرب
تقول له أهلاً وسهلاً وفي الرحب
نشاوى فلم أقطع بقولي لهم حسي
بغير مكاس في السوام ولا غضب
كماء القلب في اليسارة والقرب
قيان يلهين المزاهر بالضرب
ويرحب لهم باعي ويغزُر لهم شربي
ويروى نداماه ويصبر في الحرب
ولو كان ذاك التبل في مطلب صعب
فلا يهنني مالي ولا ينم لي كسبي
[الطويل]

وقد روى أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب لرجل من مراد يقال له
مالك بن أبي كعب، وذكر له خبر في ذلك.

أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس
قال: حدثني العمري، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش، عن مجالد، عن
الشعبي قال:

كان رجل من مراد يكنى أبا كعب، وكان له ابن يدعى مالكا وبنت يقال لها

(١) السلب: السير الخفيف السريع.

(٢) السديف: الشحم المتراكم على السنام.

(٣) التبل: الثأر.

طُرَيْفَةً، فزوج ابنه مالكا امرأة من أَرْحَبَ، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب فقالت الأَرْحَبِيَّةُ لمالك: إني قد اشتَقْتُ إلى أهلي ووطني، ونحن هاهنا في جدبٍ وضيقٍ عيش، فلو ارتحلت بأهلك وبي فنزلت على أهلي لكان عيشنا أرغدَ وشمْلنا أجمعَ، فأطاعها وارتحل بها وبأُمِّه وبأخته إلى بلاد أَرْحَبَ، فمَرَّ بحَيٍّ بينهم وبين أبيه ثارَ، فعرفوا فرسه فخرجوا إليه وأحدقوا به، وقالوا له: استسلم وسلم الطعينة، فقال: أَمَّا وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا. وقاتلهم حتى صُرع، فقال وهو يوجد بنفسه:

لعمري أبيها لا تقول حليلتي ألافراً عني مالك بن أبي كعب
[الطويل]

وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر.

قال أبو الفرج الأصفهاني: وأحسب هذا الخبر مصنوعاً وأن الصحيح هو الأول:

صوت

خَيْرْتُ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا إِمَّا الضَّيَاعُ وَإِمَّا فِتْنَةٌ عَمُّ
فَقَدْ هَمَمْتُ مَراراً أَنْ أُسَاجِلَهُمْ كَأْسَ الْمَنِيَّةِ لَوْلَا اللَّهُ وَالرَّحْمُ
[البسيط]

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمي، والغناء لمُتَمِّمِ الهاشمية خفيف رمل من روايتي ابن المعتز والهشامي.

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وقد مضى في عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب، وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد. وعيسى ممن ولد ونشأ بالخيممة من أرض الشام، وكان من فحول أهله وشجعانهم وذوي النجدة والرأي والبأس والسؤدد منهم. وقبل أن أذكر أخباره فإني أبدأ بالرواية في أن الشعر له. إذ كان الشعر ليس من شأنه، ولعل منكر أن ينكر ذلك إذا قرأه.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى وعمي قالاً: حدثنا عبد الله بن أبي سعد. ورأيت هذا الخبر بعد ذلك في بعض كتب ابن أبي سعد، فقابلت به ما رويته فوجدته موافقاً. قال ابن أبي سعد: حدثني علي بن الصباح قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال:

لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى وباع للمهدي قال عيسى بن موسى:

خَيْرْتُ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا	إِمَّا صَغَارٌ وَإِمَّا فِتْنَةٌ عَمٌّ
وَقَدْ هَمَمْتُ مَرَاراً أَنْ أُسَاقِيَهُمْ	كَأْسَ الْمَنِيَّةِ لَوْلَا اللَّهُ وَالرَّحِمُ
وَلَوْ فَعَلْتُ لَزَالَتْ عَنْهُمْ نَعَمٌ	بِكُفْرِ أَمْثَالِهَا تُسْتَنْزَلُ النَّقَمُ

[البسيط]

على هذه الرواية في الشعر روى من ذكرت، وعلى ما صدرت من الخلاف في الألفاظ يُعْنَى.

أنشدني طاهر بن عبد الله الهاشمي قال: أنشدني ابن بريهة المنصوري هذه الأبيات، وحكى أن ناقدًا خادماً عيسى كان واقفاً بين يديه ليلة أتاه خبر المنصور وما دبره عليه من الخلع، قال: فجعل يتململ على فراشه ويهمهم، ثم جلس فأنشد هذه الأبيات، فعلمت أنه كان يهمهم بها، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى شفقةً عليه.

قال ابن أبي سعد في الخبر الذي قدمت ذكّره عنه: وحدثني محمد بن يوسف الهاشمي قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحيم قال: حدثني كلثم بنت عيسى قالت: قال موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس: رأيت في المنام كأنني دخلت بستاناً فلم آخذ منه إلا عنقوداً واحداً، عليه من الحب المتراصف ما الله به عليم، فولد له عيسى بن موسى، ثم ولد لعيسى من قد رأيت.

قال ابن أبي سعد في خبره هذا: وحدثني علي بن سليمان الهاشمي قال: حدثني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك مولى عيسى بن موسى قال: حدثني أبي قال:

كنا مع عيسى لما سكن الحيرة، وأرسل إليّ ليلة من الليالي فأخرجني من منزلي، فجنّت إليه فإذا هو جالس على كرسيّ فقال لي: يا عبد الرحمن لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قط إلا ليلة بالحميمة والليلة، فانظر ما هو، فدخلت أستقري الصوت فإذا هو في المطبخ، وإذا الطباخون قد اجتمعوا وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود، فكسرتُ العود وأخرجت الرجل وعدت إليه فأخبرته، فحلف لي أنه ما سمعه قط إلا تلك الليلة بالحميمة وليته هذه.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن المنذر، عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عروة، عن أبيها قال:

كان عيسى بن موسى إذا حجّ يحجّ ناس كثير من أهل المدينة يتعرضون لمعرفه فيصلهم، قالت: فمر أبي بأبي الشدائد الفزاري وهو ينشد بالمصلى:

عصابةٌ إن حجّ موسى حجُّوا وإن أقام بالعراق دجُّوا^(١)
قد لعقوا العيقة فلجُّوا فالقوم قوم حجّهم معوج
ما هكذا كان يكون الحج

[الرجز]

قال: ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي، فسلم عليه فلم يردّد عليه. فقال له: ما لك يا أبا عبد الله لا ترد السلام عليّ؟ فقال: ألم أسمعك تهجو حجاج بيت الله الحرام؟ فقال أبو الشدائد:

إنني وربّ الكعبة المبنية واللّه ما هجوت من ذي نيّة

(١) دجّوا: ساروا سيراً بطيئاً.

ولا امرئ ذي رغبة تقيَّه لکنني أرعي^(١) على البريَّه
من عصبه أغلوا على الرعيَّه

[الرجز]

صوت

أثار ربع قَدُما	أعيا جوابا صَمَما
سَحَّتْ ^(٢) عليهم ^(٣) دَيْمٌ	بمائها فانهدمما
كان لسُعدى علماً	فصار وخشاً رَمَما
أيام سُعدى سَقَمٌ	وهي تداوي السَّقَمَما

[مجزوء الرجز]

الشعر للرقاشي، والغناء لابن المكي رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة.

(١) أرعي: أترحم.

(٢) سَحَّتْ: انهمرت مطراً، سالت.

(٣) الدَّيْمُ: مفردا الديمة وهي السحابة المحمَّلة بالماء.

ذكر الرقاشي وأخباره

هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش، وهو من ربيعة. وكان مطبوعاً سهل الشعر نقي الكلام، وقد ناقض أبا نواس. وفيه يقول أبو نواس:

وجدنا الفضل أكرم من رقاش لأن الفضل مولاه الرسول
[الوافر]

أراد أبو نواس بهذا نفيّه عن ولائه [لا أنه كان] أكرم ممن كان ينتمي، وذهب أبو نواس إلى قول النبي ﷺ: «أنا مولى من لا مولى له» وذكر إبراهيم بن تميم عن المعلّى بن حميد أن الرقاشي كان من العجم من أهل الرّي وقد مدح الرقاشي الرشيد وأجازه، إلا أن انقطاعه كان إلى آل برمك وأغنوه عمن سواهم.

أخبرني نصر المهلبّي قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبّي قال: حدثني أبي قال:

كان الفضل الرقاشي منقطعاً إلى آل برمك مستغنياً بهم عمن سواهم، وكانوا يصلون به على الشعراء، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره ويدنونون القليل والكثير منها، تعصباً له وحفظاً لخدمته وتنويهاً باسمه وتحريكاً لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم فمن ذلك قوله في جعفر:

كَمْ هَاتِفٍ بَكَ مِنْ بَاكِ وَبَاكِ
يَا طَيْبَ اللَّضِيفِ إِذْ تُدْعَى وَلِلْجَارِ
إِنْ يُعْدِمُ الْقَطْرُ كُنْتَ الْمَزْنَ بَارِقُهُ
لَمَعُ الدَّنَانِيرِ لَا مَا خَيْلُ السَّارِي
[البسيط]

وقوله:

لعمرك ما بالموت عارٌّ على الفتى
وما أحد حيٍّ وإن كان سالماً
ومَن كان ممًّا يُحدثُ الدهرُ جازعاً
إذا لم تُصبه في الحياة المعاييرُ
بأسلمَ مما غيَّبته المقابرُ
فلا بدَّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ

وليس لذي عيش عن الموتِ مَقْصَرٌ^(١) وليس على الأيام والدهر غابرٌ^(٢)
 وكلُّ شباب أو جديدٍ إلى البلى وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرٌ
 فلا يُبْعِدُنكَ اللهُ عني جعفرًا برُوحِي ولو دارت عليّ الدوائرُ
 فآليتُ لا أنفكُ أبكيك ما دعت على فَننٍ ورقاءٍ أو طار طائرُ
 [الطويل]

[وَنَشَرَ محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط، حتى نشر منها، ما كان مَطْوِيًّا،
 وأذاع منها ما كان مستوراً، وجرى على شاكلته بعدهم، فكان كالموقوف المديح على
 جميعهم صغيرهم وكبيرهم، ثم انقطع إلى طاهر [بن الحسين] وخرج إلى خراسان فلم
 يزل بها معه حتى مات .

وكان مع تقدّمه في الشعر مَاجِنًا طَبْعًا، متهاوناً بمروءته ودينه، وقصيدته التي
 يُوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة سائرة في الناس، مبتذلة في أيدي الخاصة
 والعامة، وهي التي أولها:

أوصى الرَّقَاشِيُّ إلى إِخْوَانِهِ وَصِيَّةَ المَحْمُودِ فِي نُدْمَانِهِ
 [الرجز]

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ في شعر أبي نَعَامَةٍ من جملة قصيدة
 له طويلة يهجو بها جماعة، ويأتي في وسطها بقصيدة الرقاشي .

وقال عبد الله بن المعتز: حدثني ابنُ أبي الخنساء عن أبيه قال:

قال أبو دُلْف:

ناوليني الدَّرْعَ قَدْ طَا لَ عَنْ الحَرْبِ جِمَامِي^(٣)
 مرَّ لي شَهْرَانِ مُذْ لَمْ أَرَمَ قَوْمًا بِجِمَامِ
 [مجزوء الرمل]

فقال الرقاشي يعارضه:

جنبيني الدَّرْعَ قَدْ طَا لَ عَنْ القَصْفِ جِمَامِي
 واكْسِرِي المِطْرَدَ^(٤) والبَيِّضَةَ^(٥) واثنني بالحسام^(٦)

(١) مقصر: حياء، فرار.

(٢) غابر: ماضي.

(٣) الجِمَام: الاستراحة والاسترخاء.

(٤) المِطْرَد: الرمح القصير.

(٥) البيضة: الحديدية التي يتقى بها السهام.

(٦) الحُسام: السيف المشحوذ.

وأقذفي في لجة البحر
وبثرتسي وبرمحي
واعقري مُهري أصاب اللـ
أنالاً أطلب أن يُعـ
فبحسبي أن تَرِيَنِي
سادة نَعْدُو مُجْدِي
واضطفاق العود والنـا
هـزَم أرواح دنـان
نهـزَم الرّاح إذا ما
ثم خَلِي الطعن والضـ
لشَقِي قال قَدْ طـا
ر بِقَوْمِي وَسِهامي
وبسرجي ولجامي
هـ مُهري بالصّدام^(١)
رف في الحرب مَقامي
بين فتیان كرام
نَ على حرب المّدام
يات في جوف الظلام
لم نَنلها باضطلام^(٢)
هـم قَوْمٌ بانـهـزَم
رَب لأجسام وهـام
ل عن الحرب جَمامي
[مجزوء الرمل]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني محمد بن موسى، عن ابن النطاح قال:

توفي العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخلد - والرشد بالرّصافة - في يوم
جمعة وأُخرجت جنازته مع العصر، وحضر الرشد والأمين، وأُخرجت المضارب إلى
مقابر البرامكة بباب البردان. وفُرش للرشد في مسجد هناك. وجاء الرشد في الخلق
بالأعلام والجِراب، فصلى عليه ووقف على قبره حتى دُفن فلما خُرج يحيى ومحمد
أخواه من القبر قبلاً يد الرشد وسألاه الانصراف فقال: لا حتى يُسوي عليه التراب،
ولم يزل قائماً حتى فُرع من أمره وعزّاهما وأمرهما بالركوب. فقال الرقاشي يرثي
العباس بن [محمد بن] خالد بن برمك:

أتحسبني باكرتُ بعدك لذة
أو انتفعت عيناى بعد بنظرة
جفاني إذن يوماً إلى الليل مؤنسي
ولكنني استشعرت ثوب استكانة
أبا الفضل أو رَفَعْتُ عن عاتق سترَا
أو ادنيتُ من كأسٍ بمشمولة ثَغْرَا
وأضحتُ يميني من ذخائرها صِفْرَا^(٣)
وبثُّ كأَنَّ الموتَ يحفر لي قَبْرَا
[الطويل]

(٢) الاضطلام: الاستئصال.

(١) الصّدام: داء يصيب رؤوس الدواب.

(٣) الصّفْر: الخالي.

عُنِّي في الأول والثاني من هذه الأبيات الرَّفُّ ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعبد الله بن موسى، وفيهما لإبراهيم بن المهدي خفيف رمل عن عبد الله بن موسى وفيه ثقيل أول مجهول أحسبه لبعض جواري البرامكة].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان عن عبد العزيز بن أبي ثابت عن محمد بن عبد العزيز: أن الرقاشي الشاعر فني في حب البرامكة حتى خيف عليه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مُجَمَّع عن أحمد بن الحارث، عن المدائني:

أنه لما دارت الدوائر على آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب، اجتاز به الرقاشي الشاعر وهو على الجذع فوقف يبكي أحرَّ بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما والله لولا خوفُ واشٍ وعَيْنٌ للخليفة لا تنامُ
لُطَفْنَا حولِ جِذْعِكَ واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ
فما أبصرتُ قبلك يا ابن يحيى حُساماً قَدَّه السيفُ الحسامُ
على اللذات والدنيا جميعاً ودولةِ آلِ برمكٍ السلامُ

[الوافر]

فكتب أهل الأخبار بذلك إلى الرشيد فأحضره وقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إليّ محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه فما ملكتُ نفسي حتى قلت الذي قلته، قال: وكم كان يُجرى عليك؟ قال: ألف دينار في كل سنة، قال: فإننا قد أضعفناها لك.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال: حدثنا الرياشي قال: كان الفضل الرقاشي يجلس إلى إخوان له يحادثهم ويألفونه ويأنسونه، فتفرقوا في طلب المعاش وترامت بهم الأسفار، فمرَّ الرقاشي بمجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه فوقف فيه طويلاً ثم استعبر وقال:

لَوْلا التَّطَيُّرُ قُلْتُ غَيْرَكُمْ رَيْبُ الزَّمانِ فخنْتُمُ عَهْدي
دَرَسْتُ معالِمُ كُنْتُ أَلْفُها من بعدكم وتغيَّرتُ عندي

[الكامل]

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني النحوي قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني أبو هِفَّان، عن يوسف بن الدَّاية قال:

كان أبو نواس والفضل الرقاشي جالسين، فجاءهما عمرو الوراق فقال: رأيت جارية خرجت من دار آل سليمان بن علي، فما رأيت أحسن منها، هيفاء نجلاء زجاء دَعِجاء كأنها خوطُ بانٍ أو جدلُ عنانٍ، فخاطبتها فأجابتنني بأحلى لفظ وأفصح لسان وأجمل خطاب، فقال الرقاشي: قد والله عشقتها، فقال أبو نواس: أو تعرفها؟ قال: لا والله ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول:

صفاتٌ وظنَّ أورثا القلب لوعة تَضَرَّمُ في أحشاء قلبٍ مُتَيِّمِ
تُمَثِّلُها نفسي لعيني فأنثني عليها بطرف الناظر المُتَوَسِّمِ
يُحَمِّلُنِي حبي لها فوق طاقتي من الشوق دأبَ الحائر المُتَقَسِّمِ
[الطويل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال:

قيل لابن دَرَّاج الطفيلي: أتطفلُ على الرؤوس؟ قال: وكيف لي بها؟ قيل: إن فلاناً وفلاناً قد اشترياها ودخلا بستان ابن بَرِيع، فخرج يؤمُّهما فوجدهما قد لَوَّحا بالعظام، فوقف عليهما ينظر ثم استعبر وتمثل قول الرقاشي:

أثار ربعَ قَدُما أعياء جوابي صَمما

[مجزوء الرجز]

أخبار ابن دراج الطفيلي

وابنُ دَرَّاج هذا يقال له عثمان وهو مولى لکندة، وكان في زمن المأمون، وله شعر مليح وأدب صالح وأخبار طيبة يجري ذكرها هاهنا. أخبرني الجوهري، عن ابن مهرويه عن أبيه قال:

قيل لعثمان بن دَرَّاج: أتعرف بستان فلان؟ قال: إي واللَّهِ وإنه للَجَنَّة الحاضرة في الدنيا، قيل له: فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره تحت أشجاره وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلباً لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال.

أخبرني الجوهري قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحراني قال:

كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له: ويحك إني أبخل بأدبك وعلمك وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل، ولي وظيفة راتبه في كل يوم، فالزمني وكن مدعواً أصلح لك مما تفعل فقال: رحمك الله، أين يُذهب بك؟ فأين لذة الجديد وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان؟ وأين نيلك ووظيفتك من احتفال العروس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة؟ قال: فأما إذ أبيت فإذا ضاقت عليك المذاهب فإني فيئته لك، قال: أما هذا فنعم، قال: فبينما هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابي مولاة له فقالت: جعلتُ فداءك زوجتُ ابنتي من ابن عم لها، ومنزلي بين قوم طُفيليين لا آمنهم أن يهْجُموا عليّ فيأكلوا ما صنعت ويبقى من دعوت، فَوَجَّه معي بمن يمنعهم، فقال: نعم، هذا أبو سعيد، قم معها يا أبا سعيد، فقال: مُرِّي بين يديّ وقام وهو يقول:

ضَجَّتْ تَمِيمٌ أَنْ يُقَاتَلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلِمِ^(١)
[الكامل]

قال: وقال هذا الخطابي لابن دراج: كيف تصنع بأهل العُرس إن لم يدخلوك؟ قال: أنوح على بابهم فيتطَيَّرون من ذلك فيدخلوني.

(١) الصَّيْلِم: الأمر الشديد والدَّاهية.

قال: وقال له رجل: ما هذه الصفرة في لونك؟ قال من الفترة بين القَصْعَتَيْن، ومن خوفي في كل يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع.

أخبرني أحمد قال: حدثنا ابن مهرويه، عن عبد الرحيم بن أحمد.

أن ابن دراج صار إلى باب علي بن زيد أيام كان يكتب للعباس بن المأمون فحجبه الحاجب وقال: ليس هذا وقتك، قد رأيت القَوَاد يُحجبون فكيف يؤذن لك أنت؟ قال: ليست سبيلي سبيلهم لأنه يُحب أن يراني ويكره أن يراهم، فلم يأذن له، فبينما هما على ذلك إذ خرج علي بن زيد فقال: ما منعك يا أبا سعيد أن تدخل؟ فقال: منعني هذا البغيض. فالتفت إلى الحاجب فقال: بلغ بك بغضك أن تحجب هذا؟ ثم قال: يا أبا سعيد ما أهديت إلي من النوادر؟ قال: مرت بي جنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكيه وتقول: بك يذهبون إلى بيت لا فراش فيه ولا وطاء ولا ضيافة ولا غطاء ولا خبز ولا ماء، فقال لي ابني: يا أبت، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة، فقلت: وكيف ويلك؟ فقال: لأن هذه صفة بيتنا. فضحك علي وقال: قد أمرت لك بثلاثمائة درهم، قال: قد وفر الله عليك نصفها على أن أتغدى معك، قال: وكان عثمان مع طفيله أشره الناس. قال: هي عليك موفرة كلها وتتغدى معي.

وعثمان بن دراج الذي يقول:

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومِي وَأَقِيمِي لَا تَرِيمِي^(١)
أَنْتِ تَشْفِينِ غَلِيلِي وَتُسَلِّينِ هُمُومِي

[مجزوء الكامل]

عود إلى الرقاشي:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني العُكْلِي قال:

دخل الرقاشي على بعض الأمراء فقال له: قد أصبح خضابك قانياً، قال: لأنني أمسيت له معانياً. قال: وكيف تفعل به؟ قال: أَنْعِمِ الْجَنَاءَ عَجْنًا، وَاجْعَلْ مَاءَهُ سُخْنًا، وَأَرَوْ شَعْرَكَ قَبْلَهُ دُهْنًا، فَإِنْ بَاتَ قَتَّى، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَغْنَى.

صوت

مَنْ لَعِينٍ رَأَتْ خِيالًا مُطِيفًا واقفًا هكذا علينا وقوفًا

(١) لا تريمي: لا تبرحي.

طارقاً مَوْهِناً أَلَمَ فَحِيّاً ثم وَلَّى فَهَاجَ قَلْباً ضَعِيفاً
 لَيْتَ نَفْسِي وَلَيْتَ أَنْفُسَ قَوْمِي يَا يَزِيدَ النَّدَى تَقِيكَ الْخُتُوفَا^(١)
 عَتَكِي مُهْلَبِي كَرِيمٍ حَاتَمِي قَدْ نَالَ فِرْعَاءَ مُنِيفَا
 [الخفيف]

[عروضه من الخفيف] والشعر لربيعة الرقيّ يمدح يزيد بن حاتم المهلبيّ،
 والغناء لعبد الرحيم الدقّاف خفيف رمل بالوسطى عن عمرو.

(١) الختوف: مفردها الحتف وهو الموت والهلاك.

ذكر ربيعة الرقي وأخباره

هو ربيعة بن ثابت الأنصاري ويكنى أبا شَبَابَة، وقيل: إنه كان يكنى أبا ثابت، وكان ينزل الرِّقَّة. وبها مولده ومنشؤه، فأشخصه المهديّ إليه فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثواباً كثيراً، وهو من المكثرين المُجيدِين، وكان ضريراً، وإنما أُخْمِلَ ذِكْرُه وأسقطه عن طبقته بُعْدُه عن العراق، وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء. ومع ذلك فما عدم مُفَضَّلاً لشعره مقدماً له.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمد بن داود، عن أحمد بن أبي خيثمة.

عن دعبِل قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: من أشعركم جماعة المُحدِّثِين يا أبا السَّمط؟ فقال: أشعُرنا أيسُرنا بيتاً. فقلت: ومن هو؟ قال: ربيعة الرقي الذي يقول:

لشَّتَان ما بين اليزيديين في النَّدَى يزيدِ سُلَيْمٍ والأعْرَابِ ابنِ حاتمِ
[الطويل]

وهذا البيت في قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبى وهجا يزيد بن أسيد السُّلَمي، وبعد البيت الذي ذكره مروان:

يزيدِ سُلَيْمٍ سالمُ المالِ والفتى أخو الأزدِ للأموالِ غير مُسالمِ
فهَمُ الفتى الأزدِيّ إتلافُ ماله وهَمُ الفتى القيسيّ جَمْعُ الدراهمِ
فلا يَحسبُ التَّمَتُّامُ أني هجوُّته ولكنني فضَّلْتُ أهلَ المكارمِ
فيا ابنَ أسيدِ لا تُسامِ ابنَ حاتمِ فتفرَّعْ إن ساميتَه سِنَّ نادمِ
هو البحرُ إن كلَّفتَ نفسك خوضَه تهالكُتَ في موجٍ له متلاطمِ
[الطويل]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال:

حدثني أسيد بن خالد الأنصاري قال: قلت لأبي زيد النحوي: إن الأصمعي

قال: لا يقال: شتان ما بينهما، إنما يقال شتان ما هما، وأنشده قول الأعشى:

شتان ما يومي على كورها

فقال: كذب الأصمعي، يقال: شتان ما هما وشتان ما بينهما، وأنشدني لربعة الرقي واحتج به:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
[الطويل]

وفي استشهد مثل أبي زيد على دفع قول مثل الأصمعي بشعر ربعة الرقي كفاية له في تفضيله.

وذكره عبد الله بن المعتز فقال: كان ربعة أشعر غزلاً من أبي نواس لأن في غزل أبي نواس بَرْدًا كثيراً؛ وغزل هذا سليم سهل عذب.

نسخت من كتاب لعمي: حدثنا ابن أبي ذئب قال:

اشتهد جوارى المهدي أن يسمعن ربعة الرقي فوجّه إليه المهدي من أخذه من مسجده بالركة، وحُمل على البريد حتى قدم به على المهدي فأدخل عليه، فسمع ربعة حساً من وراء الستر، فقال: إني أسمع حساً يا أمير المؤمنين، فقال: اسكت يا ابن اللخناء، واستنشه ما أراد، فضحك وضحكن منه - قال: وكان فيه لين، وكذلك كان أبو العتاهية - ثم أجازته بجائزة سنية فقال له:

يا أمير المؤمنين اللّه سَمّاك الأمينا
سرقوني من بلادي يا أمير المؤمنين
سرقوني فاقض فيهم بجزاء السارقينا

[مجزوء الرمل]

قال: قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك، ثم أمر به فحُمل على البريد من ساعته إلى الرقة.

وفي يزيد بن حاتم يقول أيضاً:

يزيد الأزدي إن يزيد قومي سَمِيكَ لا وجود كما تجودُ
يقود جماعة وتقود أخرى فترزق من تقود ومن يقودُ
فما تسعون يحقرها ثلاث يُقيم حسابها رجل شديدُ
وكف شئنة جُمعت لوحي بأنكد من عطائك يا يزيدُ
[الوافر]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني قال: امتدح ربعة الرقي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يسبق إليها حسناً وهي طويلة يقول فيها:

صوت

لوقيل للعباس يا ابن محمدٍ قُلْ: لا، وأنت مُخلد ما قالها
ما إنْ أَعُدُّ من المكارم خَصْلَةً إلَّا وجدْتُك عمَّها أو خالها
وإذا الملوكة تسايروا في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنْتَ هلالها
إنَّ المكارم لم تَزَلْ معقولةً حتَّى حَلَلْتَ براحتيك عقالها
[الكامل]

في البيت الأول والبيت الأخير خفيف رمل بالوسطى يقال: إنه لإبراهيم، ويقال: إنه للحسين بن المحرز.

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يُقدَّر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجنُّ غيظاً وقال للرسول: خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ الرقعة من حيث لا يدري العباس فقبل الرسول ذلك، فأخذها ربعة وأمر من كتب في ظهرها:

مدحتك مدحة السيف المحلَّى لتجري في الكرام كما جريتُ
فهبها مدحة ذهبٌ ضياعاً كذبتُ عليك فيها وافتريتُ
فأنت المرء ليس له وفاءٌ كأني إذ مدحتك قد زنيْتُ
[الوافر]

ثم دفعها إلى الرسول وقال له: ضعها في الموضع الذي أخذتها منه. فردها الرسول [في موضعها] فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد، وكان أثيراً عنده يبجله ويقدمه، وكان قد همَّ أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة في وجهه فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربعة الرقي، فأحضر، فقال له الرشيد: يا ماصّ كذا وكذا من أمه، أتتهجو عمي وأثر الخلق عندي؟ لقد هممت أن أضرب عنقك، فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الشاء وأكثرت في الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها، فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه

العباس، فقال له الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها. فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط، فأمر بإحضارها فأحضرت فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها وقال: واللّه ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبرّ، ثم قال للعباس: كم أثبتته عليها؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرض بريقه^(١)، فقال ربيعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين: بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة^(٢) على العباس فقال: بحياتي يا رقي بكم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين، فغضب الرشيد غضباً شديداً ونظر في وجه العباس بن محمد وقال: سوأة لك، أيّ حال قعدت بك عن إثابته؟ أقلّة المال؟ فواللّه لقد مؤلّنتك جهدي، أم انقطاع المادة عنك؟ فواللّه ما انقطعت، أم أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي فواللّه لم تبخل بك إلا نفسك حتى فضحت آباك وأجدادك وفضحتني ونفسك. فنكس العباس رأسه ولم ينطق، فقال الرشيد: يا غلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة، فلما حمل المال بين يديه وألبس الخلعة قال الرشيد: بحياتي يا رقي لا تذكره في شعرك تعريضاً ولا تصريحاً. وفتّر الرشيد عما كان هم به من أن يتزوج إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير وأطراح له.

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أحمد بن أبي فنن الشاعر قال: حدثني من لا أحصي من الجلساء:

أن ربيعة الرقي كان لا يزال يعبث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد العبث الذي يبلغ منه منذ جرى بينهما في مديحه إياه ما جرى من حيث لا يتعلق عليه فيه بشيء، فجاء العباس يوماً إلى الرشيد برنيّة^(٣) فيها غالية^(٤)، فوضعها بين يديه ثم قال: هذه يا أمير المؤمنين غالية صنعتها لك بيدي، اختير عنبرها من شجر عُمان، ومسكها من مفاوز التُّبّت، وبأنها من تُعرّ تهامة، فالفضائل كلها مجموعة فيها، والنعت يُقْصّر عنها. فاعترضه ربيعة فقال: ما رأيت أعجب منك ومن وصفك لهذه الغالية عند مَنْ إليه كل موصوف يُجْلَب، وفي سوقه يَنْفُق، وبه إليه يُتَقَرَّب، وما قَدَرُ غاليتك هذه أعزك اللّه حتى تبلغ في وصفها ما بلغت؟ أأجريت بها إليه نهراً؟ أم حملت إليه منها وِقْراً؟ إن تعظيمك هذا - عند من تُجبي إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة،

(١) جَرَضَ بَرِيقَهُ: ابتلعه بجهد ومشقة على هم وحزن.

(٢) الموجدة: الغضب. (٣) البرنيّة: الإناء من خزف.

(٤) الغالية: الطيب.

وتذلل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة، وتتحفه بطرف بلدانها وبدائع ممالكها، حتى كأنك قد فقت به كل ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، أو خصصته بما لم يحويه ملكه - لا يخلو فيه من ضعف أو قصر همة. أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلّا جعلت حظي من كل جائزة وفائدة توصلها إليّ في مدة سنة هذه الغالية حتى أتلقاها بحقها، فقال: ادفعوها إليه، فدفعت إليه، فأدخل يده فيها وأخرج ملئها وحلّ سراويله وأدخل يده فطلى بها إسته، وأخذ حفنة أخرى وطلّى بها ذكره وأنثيه، وأخرج حفتين فجعلهما تحت إبطيه ثم قال: يا أمير المؤمنين، مَرُّ غلامي أن يدخل إليّ، فقال: أدخلوه إليه، وهو يضحك، فأدخلوه إليه فدفّع إليه البرنية غير مختومة وقال: اذهب إلى جاريّتي فلانة بهذه البرنية وقل لها: طيّبي بها حرك وإستك حتى أجيء الساعة وأنيكك. فأخذها الغلام ومضى، وضحك الرشيد حتى غشى عليه، وكاد العباس يموت غيظاً، ثم قام فانصرف، وأمر الرشيد لربيعه بثلاثين ألف درهم.

وذكر علي بن الحسين بن عبد الأعلى أنه رأى قصيدة لربيعه الرقي مكتوبة في دَوْرٍ بساطٍ من بسط السلطان قديم وكان مبسوطاً في دار العامة بُسرَّ مَنْ رَأَى، فنسخها منه وهي:

صوت

وتزعم أني قد تبدّلت خُلَّةً سواها وهذا الباطل المُتَقَوِّلُ
لحا الله من باع الحبيب بغيره فقالت نعم حاشاك إن كنت تعقلُ
ستصرم إنساناً إذا ما صرمتني بحبك فانظر بعده من تبدّلُ
[الطويل]

وفي هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول ينسب إلى إبراهيم الموصلي أو إبراهيم بن المهدي، وفيه لعريب رمل من رواية ابن المعتز.

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن أسيد أنه زاره يستميحه لقضاء دين كان عليه، فاستمنحه فلم يجد عنده ما أحب، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبّي فطفّل^(١) على قضاء دينه وبرّه، فاستفرغ ربيعة جهده في مدحه.

وله فيه عدة قصائد مختارة يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمقمق عارضه في قوله:

(١) طَفَّلَهُ: رَفَقَ بِهِ.

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
[الطويل]

في قصيدة مدح بها يزيد بن مَزِيد فقال: وسلخ بيت الرقي بل نقله وقال:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى إذا عُدَّ في الناس المكارمُ والمجدُ
يزيدُ بنِي شيبانَ أكرمَ منهما وإنْ غَضِبْتُ قيسُ بنَ عيلانَ والأزدُ
فتى لم تلده من رُعينِ قبيلةً ولا لَحْمُ تنميه ولم تنمه نَهْدُ
ولكن نَمَتْهُ العُرُ من آلِ وائل وَبَرَّةُ نَمِيهِ ومن بعدها هِنْدُ
[الطويل]

ولم يسر في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربعة.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن داود بن الجراح
قال: حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال:

عرض نخاس على أحمد بن يزيد بن أسيد الذي هجاه ربعة جوارِي، فاختار
جارتين منهن ثم قال للنخاس: أيتهما أحب إليك؟ قال: بينهما أعز الله الأمير كما
قال الشاعر:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
[الطويل]

فأمر بجِرّ رجله وإخراجه وجواريه.

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال:

لما حج الرشيد لقيه قبل دخول مكة رجلان من قریش، فانتسب له أحدهما ثم
قال: يا أمير المؤمنين نَهَكْتُنَا النوائب، وأجحفت بأحوالنا المصائب. ولنا بك رَحْمٌ
أنت أولى مَنْ وصلها، وأملٌ أنت أحقُّ من صدَّقه، فما بعدك مطلب، ولا عنك
مهرب، ولا فوقك مسؤول، ولا مثلك مأمول. وتكلم الآخر فلم يأت بشيء،
فوصلهما وفضل الأول تفضيلاً كثيراً، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم
[الطويل]

قال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو دعامة علي بن مَرْتَد عن عطاء الملط قال:

لما هجا ربعة يزيد بن أسيد السلمي وكان جليلاً عند المنصور والمهدي وفضل
عليه يزيد بن حاتم قلت لربعة: يا أبا أسامة ما حملك على أن هجوت رجلاً من

قومك وفضّلت عليه رجلاً من الأزدي؟ فقال: أخبرك، أملتُ فلم يبق لي إلا داري، فرهنتها على خمسمائة درهم ورحلت إلى أرمينية فأعلمته بذلك ومدحته، وأقمت عنده حولاً، فوهب لي خمسمائة درهم، فتحملت وصرت بها إلى منزلي فلم يبق معي كبير شيء، فنزلت في دار نكراء فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل فكيف غيره، ثم حملت نفسي على أن آتيه، فأعلم بمكاني، فتركني شهراً حتى ضجرت، فأكرت^(١) نفسي من الحمالين وكتبت بيتاً في رقعة فألقيته في دهليزه^(٢) والبيت:

أراني ولا كفران لله راجعاً بخفي حنين من يزيد بن حاتم
[الطويل]

فوقعت الرقعة في يد صاحبه فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري، فبعث خلفي، فلما دخلت عليه قال: هيه أنشدني ما قلت، فتمنعت فقال: والله لتنشدني فأنشدته فقال: والله لا ترجع كذلك، ثم قال انزعوا خفيه فزعوا، فحشاهما دنانير، وأمر لي بغلمان وجوار وكساء، أفلا ترى أن أمدح هذا وأهجو ذاك؟ قلت: بلى والله. ثم قال: وسار شعري حتى بلغ المهدي فكان سببي إليه.

أخبرني الحسن بن علي الأزدي قال: حدثني محمد بن الحسن بن عبّاد بن الشهيد القرقيسياني قال: حدثني عمي عبد الله بن عبّاد.

أن ربيعة بن ثابت الرقيّ الأسديّ كان يلقب الغاوي، وكان يهوى جارية يقال لها عثمة أمة لرجل من أهل قرقيسيّا يقال له ابن مزار، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولوه مصر فأصاب بها مالا عظيماً، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته فأحضره وعرض عليه أن يهبها له، فقال: لا تهبها لي، فإن كلّ مبدول مملول، وأكره أن يذهب حبها من قلبي، ولكن دعني أواصلها هكذا فهو أحب إليّ.

قال: وقال فيها:

إعتاد قلبك من حبيبك عيدهُ شوق عراك فأنت عنه تذودهُ
والشوق قد غلب الفؤاد فقاده والشوق يغلب ذا الهوى فيقودهُ
في دار مزار غزال كنيسةٍ عطر عليه خزوزه وبُرودهُ
ريم أغر كآته من حسنه صنم يحجّ ببيعة مَعبودهُ

(١) أكرت نفسي: عدوت بسرعة.

(٢) الدهليز: ما بين الباب والدّار جمعها دهاليز.

عيناه عينا جُؤذِر^(١) بِصَرِيْمَةٍ وله من الظَّبي المُربَّبِ جِيْدُهُ
ما ضرَّ عثمةً أنْ تُلِمَّ بعاشق دَنَفِ الفؤادِ مُتَّيْمٍ فَتَعُوْدُهُ
وتَلُدُّه من ريقها فلربما نفع السَّقِيْمَ من السَّقَامِ لُدُوْدُهُ^(٢)
[الطويل]

وهي طويلة، مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبي بشر الفزاري قال:

لقي ربعة الرقي معن بن زائدة في قَدْمة قدمها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة وأنشده إياها راويته، فلم يَهَشُّ له مَعْنٌ، ولا رضي ربعة لقاءه إياه، وأثابه ثواباً نَزْراً، فردّه ربعة وهجاه هجاء كثيراً، فمما هجاه به قوله:

معنُ يا معنُ يا ابنَ زائدةِ الكل ب الذي في الذراع لا في البَنانِ
لا تفاخرْ إذا فخرتَ بأبا نك وافخر بعمك الحوفزانِ
فهشامُ بنُ وائلٍ في مكانِ أنت ترضى بدون ذاك المكانِ
ومتى كنت يا ابنَ ظُبِيَّةٍ ترجو أنْ تُبَنِّي على ابنة الغضبانِ
هي حوراءُ كالمهابة هِجانُ لهجانِ وأنت غيرُ هِجانِ
وبناتُ السليل عند بني ظبي هُ أَفْ لكم بني شيبانِ
قيل معن لنا، فلما اخترنا كان مَرْعَى وليس كالسَّعدانِ

[الخفيف]

قال أبو بشر: ظُبِيَّةُ التي عيَّره بها أُمَّةٌ كانت لبني نَهار بن أبي ربعة بن ذُهل بن شيبان، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك، وكانت راعية لأهلها وهي في غنمها فسرقها ووقع عليها، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة، ودجاجة بنت عبد الله. قال: وبنت السليل التي عناها امرأة من ولد الحوفزان.

أخبرني يحيى بن علي عن أبيه، عن إسحاق، عن أبي بشر الفزاري، قال:

كان ربعة الرقي يهوي جارية من أهل الكوفة يقال لها عَثْمة، وكان أهلها ينزلون في جوار جُعْفِيٍّ، فقال فيها في أبيات له:

(١) الجؤذر: هو ولد البقرة الوحشية.

(٢) اللدود: ما يُصَبُّ بالمسقط من الدواء في أحد شقي الفم.

جُعْفِيُّ جِيرَانُهَا فَقَدْ عَطِرَتْ جُعْفِيُّ مِنْ نَشْرِهَا^(١) وَرِيَّاهَا
[المنسرح]

فقال له رجل من جُعْفِيٍّ: أنا واللّه من جُعْفِيٍّ. وأنا جار أهلها بيت بيت، واللّه ما شممت من دارهم ريحاً طيبة قطّ، فتبسم ربيعة وقال: ما ذنبي وأنت أخشم^(٢)؟ واللّه إني لأجد ريحها وريح طيبها منك وأنت لا تجده من نفسك.

أخبرني يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبي بشر قال:

كنت حاضراً ربيعة الرقي يوماً وجاءته امرأة من منزل هذه الجارية فقالت: تقول لك فلانة: إن بنت مولاي محمومة، فإن كنت تعرف عودّة تكتبها لها فافعل، فقال: اكتب لها يا أبا بشر هذه العودّة:

ثُفُوا ثُفُوا بِاسْمِ إِلَهِي الَّذِي لَا يَعْزِضُ السُّقْمَ لِمَنْ قَدْ شَفَى
أُعِيذُ مَوْلَاتِي وَمَوْلَاتِهَا وَأُمُّهَا بِعُودَةِ الْمُصْطَفَى
مَنْ شَرَّ مَا يَعْزِضُ مِنْ عِلَّةٍ فِي الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَسْدَفَا
[السريع]

قال: فقلت له: يا أبا ثابت لست أحسن أن أكتب: ثفوا ثفوا، فكيف أكتبها؟ قال: انضح المداد من رأس القلم يقع في موضعين حتى يكون كالنَّفْث، وادفع العودّة إليها فإنها نافعة، ففعلت ودفعتها إليها، فلم تلبث أن جاءت الجارية وهي لا تتمالك ضحكاً فقالت له: يا مجنون، ما فعلت بنا؟ كدنا واللّه أن نفتضح بما صنعت، قال: فما أصنع بك؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويد؟

صوت

أَلَا مَنْ بَيَّنَ الْأَخْوِيَّ — مِنْ أُمِّهِمَا هِيَ التَّكْلَى
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنِيهَا وَتَسْتَسْقِي فَلَا تُسْقَى
فَلَمَّا اسْتِيَأَسَتْ رَجَعَتْ بَعْبُورَةً وَالْهَ حَرَّى
تَتَابَعُ بَيْنَ وَلَوْلَةٍ وَبَيْنَ مَدَامَعٍ تَثْرَى

[مجزوء الوافر]

عروضه من الهزج، الشعر لجويرية بنت خالد بن قارظ الكنانية، وتكنى أمّ

(١) النشر: الريح الطيبة.

(٢) الأخشم: الذي لا يكاد يشم شيئاً.

حكيم، زوجة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في ابنيها اللذين قتلتهما
بُسْر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي باليمن، والغناء لابن سريج ولحنه من القدر
الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر، وفيه لحْنين الحِيريّ ثاني
ثقيل عن الهشامي، وفيه لأبي سعيد مولى فائد خفيف ثقيل الأول مطلق في مجرى
الوسطى.

ذكر الخبر في مقتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب

أخبرني بالسبب في ذلك محمد بن أحمد بن الطلاس قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال: حدثنا علي بن محمد المدائني، عن أبي مخنف، وعن جويرية ابن أسماء والصنعبي بن زهير وأبي بكر الهذلي، عن أبي عمر الواقصي.

أن معاوية بن أبي سفيان بعث إلى بُسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي بعد تحكيم الحكمين، وعليُّ بن أبي طالب عليه السلام يومئذٍ حيٌّ، وبعث معه جيشاً وَوَجَّهَ برجل من عامر ضَمَّ إليه جيشاً آخر، ووجه الضحَّاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وأن يغيروا على سائر أعماله ويقتلوا أصحابه ولا يكفُّوا أيديهم عن النساء والصبيان، فمضى بُسر كذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل هواه، وهدم بها دوراً، ومضى إلى مكة فقتل نفرًا من آل أبي لهب، ثم أتى السَّراة فقتل من بها من أصحابه، وأتى نَجْران فقتل عبد الله بن عبد المَدَّان الحارثي وابنه، وكانا من أصحاب بني العباس، ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس عامل علي عليه السلام وكان غائباً، وقيل: بل هرب لما بلغه خبر بُسر، فلم يصادفه بُسر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بُسر لعنه الله وذبحهما بيده بمدينة كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به، فقصد العامري إلى الأنبار فقتل ابن حَسَّان البكري، وقتل رجالاً ونساء من الشيعة.

فحدثني العباس بن علي بن العباس النَّسائي قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق قال: حدثنا شَبَابَة بن سَوَّار قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن عمر بن قيس عن أبي صادق قال:

أغارَت خيلٌ لمعاوية على الأنبار فقتلوا عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام يقال له حسان بن حسان، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساءً، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب

عليه السلام، فخرج حتى أتى المنبر فَرَقِيَهُ، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ ثم قال: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة، وشملة البلاء، وريب^(١) بالصَّغار^(٢)، وسيم الخسف، وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يُغز قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلُّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتهم قولي وراءكم ظَهْرِيًّا، حتى شئت عليكم الغارات، هذا أخو عامر قد جاء الأنبار، فقتل عاملها حسان بن حسان، وقتل رجالاً كثيراً ونساءً، والله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزعه حجلها^(٣) ورعاها^(٤) ثم ينصرفون موفورين، لم يُكَلِّم أحد منهم كَلِّمًا، فلو أن امرأً مسلمًا مات دون هذا أسفًا لم يكن عليه ملومًا، بل كان به جديرًا، يا عجبًا، عجباً يُميت القلب ويُشعل الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم وفشلهم عن حقكم، حتى صرتم غرضًا، تُرْمَوْنَ ولا ترمون، وتُغزَوْنَ ولا تُغزَوْنَ ويُعصى الله وترضون. إذا قلت لكم اغزوهم في الحرّ قلتُم هذه حَمارة القيظ فأمهلنا، وإذا قلت لكم اغزوهم في البرد قلتُم هذا أوانٌ قُرّ وصِرّ فأمهلنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرّون، فأنتم والله من السيف أشد فرارًا، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا طعام^(٥) الأحلام وعقول ربّات الحجال، وددت والله أني لم أعرفكم بل وددت أني لم أركم، معرفة والله لقد جرّت بلاء وندماً، وملاّتم جوفي غيظًا بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: ابنُ أبي طالب رجل شجاع ولكن لا عِلْم له بالحرب، ويحهم، وهل فيهم أشد مَرَّاسًا^(٦) لها مني؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين، وأنا الآن قد نَيْفْتُ على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا كما قال الله تعالى: لا أملكُ إلا نفسي وأخي، فَمَرْنَا بأمرك فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جمر الغضا^(٧) وشوك القتاد^(٨)، قال: وأين تبلغان مما أريد؟ هذا أو نحوه. ثم نزل.

مخاطبة بين علي وأخيه:

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عمي عبد الله بن محمد قال:

(١) الريب: التعرض للغير وإزعاجه.

(٢) الصَّغار: الذَّل أو الضَّيم.

(٣) الحجل: الخلخال جمعها الأحجال والحجول.

(٤) الرِّعَاش: مفردها الرعة وهي القرط.

(٥) الطعام: أوغاد الناس.

(٦) المَرَّاس: الشدّة.

(٧) جمر الغضا: الغضا ضرب من الشجر.

(٨) شوك القتاد: القتاد شجر صلب له شوك كالإبر.

حدثني جعفر بن بشير قال: حدثني صالح بن يزيد الخراساني، عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن ابن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال:

كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام: أما بعد فإن الله عز وجل جارك من كل سوء، وعاصمك من المكروه، إني خرجت مُعْتَمِراً، فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء^(١) فقلت لهم - وعرفت المنكر في وجوههم - يا أبناء الطلقاء، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديماً، تريدون بها إطفاء نور الله وتغيير أمره، فأسمعني القوم وأسمعهم، ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ثم انكفاً راجعاً، فأفّ لحياة في دهر جرأ عليكم الضحاك، وما الضحاك؟ وهل هو إلا فُقْع^(٢) بقرقرة^(٣) وقد طُتَّ^(٤) وبلغني أن أنصارك قد خذلوكم، فاكتب إلي يا ابن أم برأيك، فإن كنت الموت تريد تحمّلت إليك ببني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت ومتنا معك، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فواقاً فأقسم بالله الأعز الأجل إن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام.

فأجابه علي بن أبي طالب عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، كالأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد، فقد قدم علي عبد الرحمن بن عبيد الأزدي بكتابك، يذكر أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلاً من قُدَيْد في نحو أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، وأنتك تنبئ عن ابن أبي سرح، طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله وبغاه عوجاً، فدع ابن أبي سرح عنك، ودع قريشاً وترّكاضهم في الضلال، وتجوّالهم في الشقاق، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادؤوه بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وساقوا إليه جيش الأمرين، اللهم فاجز عني قريشاً الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت علي، والحمد لله على كل حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة، فهو أقل وأذل من أن يقرب من الحيرة، ولكنه جاء في خيل جريدة فلزم الظّهر، وأخذ على السماوة، ومَرَّ

(١) أبناء الطلقاء: هم أبناء من آمنوا يوم الفتح فقال لهم رسول الله ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

(٢) الفُقْع: البيضاء الرخوة من الكمأة.

(٣) القرقرة: الأرض المنخفضة.

(٤) طُتَّ: صوّت.

بواقصة وشراف وما وآلى ذلك الضُفْع، فسَرَّحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك جاز هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق، وقد أمعن في السير، وقد طَفَلَت الشمس للإياب، فاقتتلوا قتلاً شديداً شيئاً كلاً ولا فولى ولم يصبر، وقُتِل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا جريضاً^(١) بعد ما أخذ منه بالمُحَقَّق، فلايأ^(٢) بلاي ما نجا.

وأما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأي، فإن رأيي قتال المُحَلِّين حتى ألقى الله عز وجل، لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، لأنني مُحَقَّق، والله مع الحق وأهله، وما أكره الموت مع الحق، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً.

وأما ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ ببني أبيك وولد أخيك فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً مهدياً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبني ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرعاً مُتَخَشِعاً، ولكن أقول كما قال أخو بني سُليم.

ولا تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن تُرى بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب
[الطويل]

والسلام.

رجع الحديث إلى سياقة مقتل الصبيين

ثم إن بُسر بن أرطاة كَرَّ راجعاً وانتهى خبره إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قتل عبد الرحمن وقُثم ابني عبيد الله بن العباس، فسَرَّح حارثة بن قدامة السعدي في طلبه، وأمره أن يُغَدَّ^(٣) السير، فخرج مسرعاً، فلما وصل إلى المدينة وانتهى إليه قتل علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ركب في السلاح ودعا الناس بالمدينة إلى البيعة للحسن فامتنعوا، فقال: والله لَتُبَايَعَنَّ ولو بأستاهكم. فلما رأى أهل المدينة الجِدَّ منه بايعوا الحسن عليه السلام، وكرَّ راجعاً إلى الكوفة.

وأصابَ أمَّ حكيم بنت قارظٍ وَلَهَّ على ابنيها، فكانت لا تعقل ولا تصغي إلا إلى قول من أعلمها أنهما قد قُتِلَا، ولا تزال تطوف في المواسم تَنُشِّدُ الناسَ ابنيها بهذه الأبيات:

(١) الجريض: المشرف على الهلاك.

(٢) اللأْيُ: الإبطاء والاحتباس.

(٣) غَدَّ بالسَّير: أسرع.

يا من أحس بُنَيَّيَّ اللَّذِينَ هَما
يا من أحس بُنَيَّيَّ اللَّذِينَ هَما
يا من أحس بُنَيَّيَّ اللَّذِينَ هَما
نُبِئْتُ بُسْراً وما صدقت ما زعموا
أنحى على ودجى إبني مُرْهَفَةً
حتى لقيت رجلاً من أرومته
فالآن ألعن بُسْراً حقَّ لعنته
من دلَّ والهة حرى مُدْلِهَةً

كالدُّرَّتَيْنِ تَشْطَى عنهما الصَّدْفُ
سمعي وقلبي فقلبي اليوم مُخْتَطَفُ
مُخَّ العظام فمخي اليوم مُزْدَهَفُ^(١)
من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
مشحوزة وكذلك الإثم يُقْتَرَفُ
شمَّ الأنوف لهم في قومهم شَرَفُ
هذا العمر أبي بُسرٍ هو السرفُ
على صبيَّين ضللاً إذ غدا السلفُ

[البسيط]

الغناء لأبي سعيد مولى فائد ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقیل
يقال: إنه له أيضاً، وفيه لعريب رمل نشيد.

ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتلُ بُسرٍ الصبيين جزع لذلك جزعاً
شديداً، ودعا على بُسرٍ لعنه الله، فقال: اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى
تسلبه عقله، فأصابه ذلك وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف ويطلبه، فيؤتى بسيف من
خشب، ويُجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه ما شاء حتى يسأم، ثم مات لعنه
الله.

ولما كانت الجماعة واستقر الأمر على معاوية دخل عليه عبيد الله بن العباس
وعنده بُسر بن أرمطة، فقال له عبيد الله: أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ؟ قال بُسر:
نعم أنا قاتلتهما، فقال عبيد الله: أما والله لوددت أن الأرض كانت أنبتني عندك،
فقال بسر: فقد أنبتك الآن عندي، فقال عبيد الله: ألا سيف؟ فقال له بُسر: هاك
سيفي. فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبُسر: أخزأك الله
شيخاً قد كبرت وذهب عقلك، تعمد إلى رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنه
تدفع إليه سيفك؟ إنك لغافل عن قلوب بني هاشم، والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك،
فقال عبيد الله: أجل والله ثم لثَّيت به.

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: أخبرني محمد بن مسروق قال: قال
الأصمعي:

(١) مزدَهَف: مهلك.

وسمع رجلٌ من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأةً عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلتهما بُسر بن أرطاة بقولها:

يا من أحسن بُنيي اللذين هما كالدُّرَّتَيْنِ تشظَّى عنهما الصَّدْفُ

[البسيط]

فرقٌ لها، واتصل ببُسر حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنه فخرج بهما إلى وادي أوطاس فقتلتهما وهرب وقال:

يا بُسْرُ بُسْرَ بني أرطاة ما طلعت
خيرٌ من الهاشميين الذين هم
ماذا أردت إلى طفلي مُدلهة
إما قتلتهم ظلماً فقد شَرِقتُ
فاشرب بكأسهما تُكلاً كما شربتُ
شمسُ النهار ولا غابت على الناس
عينُ الهدى وسِمامُ الأَشْوَسِ القاسي
تبكي وتَنشُدُ من أكلت في الناس
من صاحبك قناتي يوم أوطاس
أُمُ الصَّبِيِّينِ أُوذاقَ ابنِ عَبَّاسٍ

[البسيط]

صوت

ألا فاسقَياني من شرابكما الوَرْدِي
سِواري ودُمْلُوجي^(١) وما ملكت يدي
وإن كنتُ قد أنفدْتُ فاسترهننا بُرْدِي
مباحٌ لكم نهبٌ ولا تقطعوا وِرْدِي

[الطويل]

عروضه من الطويل، والشعر لأُم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة.

(١) الدملوج: المعصَد.

ذكر أم حكيم

قد مضى ذكر نسبها، وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكانت هي وأمها من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم: الواصلة بنت الواصلة، وقيل: الموصلة بنت الموصلة لأنهما وصلتا الجمال بالجمال، وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة بن عوف بن أبي حارثة بن لام الطائي، وكانت سعدى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة، فولدت له سلمة ورَيْطة، ثم توفي عنها فخلف عليها طلحة بن عبيد الله، فولدت له يحيى وعيسى، ثم قتل عنها فخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فتكلم بنوها وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالاً فقالت: إنه قد بقي في رحم أمكم فضلة شريفة لا بد من خروجها، فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وزينب وهي أم أم حكيم.

وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر بن مروان وكان صديقه، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم، فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج، وبث المغيرة الجفان في السكك والقبائل يطعم الناس، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة:

أتاك البحر طمَّ على فُريش مُغِيرِيٍّ فَقَد رَاغَ ابْنُ بَشَرٍ
[الوافر]

وقال مصعب الزبيري: هو يعني المغيرة مطعم الجيش بمنى وهو إلى الآن يُطعم

عنه .

قال: وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً وقَدًّا^(١)، وكان أعلاها قضيب وأسفلها كتيب، فكانت تسمى الموصلة، وسميت بنتها أم حكيم بذلك لأنها أشبهتها.

أخبرني عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثني علي بن محمد بن يحيى الكناني، عن أبيه قال:

(١) القَدَّ: القامة .

كانت زينب بنت عبد الرحمن من لِين جسدها يقال لها الموصلة .

قال مصعب: فتزوج زينبَ أباَنُ بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز بن أباَن، ثم مات عنها فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيى إلى المغيرة بن عبد الرحمن، كم الذي تأمل من عبد الملك؟ واللّه لا يزيدُها على ألف دينار، ولا يزيدك على خمسمائة دينار، ولها عندي خمسون ألف دينار، ولك عندي عشرة آلاف دينار إن زوّجتيها، فزوجه إياها على ذلك، فغضب عليه عبد الملك وقال: دخل عليّ في خِطْبتي، واللّه لا يَخْطُب على منبر ما دمتُ حيّاً ولا رأى مني ما يحب، فأسقطه، فقال يحيى: لا أبالي، كعكتان وزينب .

قال ابن أبي سعد: وأخبرت عن محمد بن إسحاق المُسيبي قال: حدثني عبد الملك بن إبراهيم الطلحي أنها لما خطبت قالت: لا أتزوج واللّه أبداً إلا من يُغني أخِي المغيرة، فأرسل إليها يحيى بن الحكم: أيغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت: نعم، قال: فهَيّ له، ولك مثلها، فقالت: ما بعد هذا شيء، أرسل إلى أهلك شيئاً من طيب وشيئاً من كسوة .

قال: ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال: لقد تزوجت أفوه غليظ الشفتين، فقالت زينب: هو خير من أبي الدُّبابِ فما له يعيبه بفمه؟ وقال يحيى؟ قولوا له: أقبح من فمي ما كرهت من فمك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت عن عمه محمد بن عبد العزيز:

أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها وكتب إليه أن يلحق به، وكان بفلسطين أو بالأزْدُنّ، فعرض له يحيى بن الحكم فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين، قال: وما تصنع به؟ فواللّه لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها، وأربعمائة دينار لزينب، ولك عليّ ثلاثون ألف دينار سوى صداق زينب، فقال المغيرة: أو تنقل إليّ المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال، فتجهز المغيرة وسير ثقله، ثم دخل على يحيى فزوجه وخرج إلى المدينة، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أمير المؤمنين إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن بثلاثين ألف دينار وأعطاه إياها ورجع إلى منزله. فغضب على يحيى وخلعه من ماله وعزله عن عمله، فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لي كعكتان وزينبُ
[الطويل]

قال: وكانت زينب تسمى الموصلة من حسن جسمها.

وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها في حياة
جده عبد الملك، ولما عُقد النكاح بينهما في مجلس عبد الملك أمر بإدخال الشعراء
ليهنئوهم بالعقد ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختر منهم جرير
وعدي بن الرقاع، فدخلوا وبدأ عدي لموضعه منهم فقال:

قمرُ السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما من ذا رأى هذا ومن سمعا
دام السرور له بها ولها وتهنئا طول الحياة معا
[الكامل]

وقال جرير:

جمع الأمير إليه أكرم حُرّة حَكَمِيَّةَ عَلت الرّوابي كلّها
وإذا النساء تفاخرت ببُعولة عبد العزيز ومن يكلف نفسه
هنأْتُكُمْ بمودةٍ ونصيحةٍ فلتهنِك النّعمُ التي خوّلتها
في كل ما حال من الأحوال بمفاخر الأعمام والأخوال
فخرتُهُم بالسَّيِّد المفضال أخلاقه يلبث بأكسف بال
وصدقت في نفس لكم ومقالي يا خير مأمول وأفضل والي
[الكامل]

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ولعدي بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله
ومواليه يومئذ مائة حاجة، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير
عشرة دنانير، فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة، ثم تزوج ميمونة بنت
عبد الرحمن بن أبي بكر، فملكته وأحبها وذهبت بقلبه كلّ مذهب، فلم ترض منه إلّا
بطلاق أم حكيم فطلقها، فتزوجها هشام بن عبد الملك، ثم مات عبد العزيز فتزوج
هشام ميمونة أيضاً، وكان شديد المحبة لأم حكيم، فطلق لها ميمونة اقتصاصاً لها فيما
فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز، وقال لها: هل أرضيتك منها؟ فقالت: نعم،
فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام، وكان من رجالات بني أمية، وكان أحد
من يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويُغري الناس به، وكانت أم حكيم

منهومةً بالشراب مُدمنةً عليه لا تكاد تفارقه، وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن، وفيه يقول الوليد بن يزيد:

صوت

عَلَّانِي بِعَاتِقَاتِ الْكُرومِ واسقِيَانِي بِكَأْسِ أُمِّ حَكِيمٍ
إِنَّهَا تَشْرَبُ الْمُدَامَةَ صَرْفًا فِي إِنْاءٍ مِنَ الزَّجَاجِ عَظِيمٍ
جَنَّبُونِي أَذَاةَ كُلِّ لئِيمٍ إِنَّهُ مَا عَلِمْتَ شَرُّ نَدِيمٍ
ثُمَّ إِنْ كَانَ فِي النَّدَامَى كَرِيمٍ فَأَذِيقُوهُ بَعْضَ مَسِّ النِّعِيمِ
لَيْتَ حَظِّي مِنَ النِّسَاءِ سُلَيْمِي إِنْ سَلَّمَايَ جَنَّتِي وَنَعِيمِي
وَدَعُونِي مِنَ الْمَلَامَةِ فِيهَا إِنْ مِنْ لَامَنِي لَغَيْرِ حَكِيمٍ
[الخفيف]

عروضه من الخفيف غناه عُمَرُ الوادي من رواية يونس، وفي رواية إسحاق غناه الغَزِيلُ أبو كامل خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر.

فيقال إن الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم: أو تفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أو تصدق الفاسق في شيء فتصدقته في هذا؟ قال: لا، قالت: فهو كبعض كذبه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال:

فَحَسْبُ أَبِي الْعَبَّاسِ كَأْسٌ وَقِينَةٌ وَزِقٌّ إِذَا دَارَتْ بِهِ فِي الذَّوَائِبِ^(١)
وَمَنْ جَلَسَاءَ النَّاسِ مِثْلُ ابْنِ مَالِكٍ وَمِثْلُ ابْنِ جَزْءٍ وَالْغَلَامِ ابْنِ غَالِبٍ
[الطويل]

فقال الوليد يهجوّه ويعيّره بشرب أمه الشراب:

إِنْ كَأْسُ الْعَجُوزِ كَأْسٌ رَوَاءُ لَيْسَ كَأْسُ كَكَأْسِ أُمِّ حَكِيمٍ
إِنَّهَا تَشْرَبُ الرِّسَاطُونَ^(٢) صَرْفًا^(٣) فِي إِنْاءٍ مِنَ الزَّجَاجِ عَظِيمٍ
لَوْ بِهِ يَشْرَبُ الْبَعِيرُ أَوْ الْفَيْ لَلْظُلَا فِي سَكْرَةٍ وَغَمُومٍ

(١) الذَّوَائِبُ: مفردُها الذَّوَابَةُ وهي الناحية أو ما تقدّم منها.

(٢) الرِّسَاطُونَ: الخمر، كلمة رومية دخلت في كلام العرب.

(٣) الصَّرْفُ: الخالص.

ولدتْهُ سَكْرَى فلم تحسن الطَّلْ ق فوافى لذك غير حليم
[الخفيف]

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاکر، وكان هشام يُنَوِّه باسمه وأراد أن يوليه العهد بعده، وولاه الحج فحج بالناس، وفيه يقول عُروة بن أذينة - لما وفد على هشام - وفرَّق في الحجاز على أهلها مالا كثيراً وأحبه الناس ومدحوه:

أَتَيْنَا نُمْتُ بِأَرْحَامِنَا وَجِئْنَا بِأَمْرِ أَبِي شَاكِرِ
[المقارب]

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في حياة أبيه، وأشاع ذلك وغني فيه وأراد أن يشهره به.

صوت

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرِ
يَشْرِبُهَا صَرْفًا وَمَمْزُوجَةً بِالسُّخْنِ أَحْيَانًا وَبِالْفَاتِرِ
[المقارب]

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرِ
أَلْوَاهِبُ الْبُزْلِ^(١) بِأَرْسَانِهَا^(٢) لَيْسَ بِزَنْدِيقٍ وَلَا كَافِرٍ
[المقارب]

فذكر أحمد بن الحارث، عن المدائني: أن هشاماً لما أراد أن يوليه العهد كتب بذلك إلى خالد بن عبد الله القسري، فقال خالد: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاکر، فبلغ قوله هشاماً فكان سبب إيقاعه به.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن موسى قَمَطَرُ.

عن إسماعيل بن مُجَمِّع قال: كنا نُخْرِجُ ما في خِزَائِنِ المَأْمُونِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَنُزَكِّي عَنْهُ، فَكَانَ فِيهِمَا يَزَكِّي عَنْهُ قَائِمٌ كَأْسِ أُمِّ حَكِيمٍ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ ثَمَانُونَ مِثْقَالاً، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى: سَأَلْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مَجْمَعٍ عَنْ صِفَتِهِ فَقَالَ: كَأْسٌ كَبِيرٌ مِنْ زَجَاجٍ أَخْضَرٍ مَقْبُضُهُ مِنْ ذَهَبٍ، هَكَذَا ذَكَرَ إِسْمَاعِيلُ. وَقَدْ حَدَّثَنِي

(١) الْبُزْلُ: الْعَنْزُ.

(٢) الْأَرْسَانُ: مَفْرَدُهَا الرِّسَنُ وَهُوَ الْحَبْلُ، وَمَا كَانَ مِنْ زِمَامٍ عَلَى أَنْفٍ.

علي بن صالح بن الهيثم بمثله قال لي: حدثنا أحمد بن الهيثم المادرائي قال: لما أخرج المعتمد ما في الخزائن لبيع في أيام ظهور النَّاجِم بالبصرة أخرج إلينا كأس مدورٌ على هيئة القُحْف يسع ثلاثة أرطال يُقَوِّم بأربعة دراهم فعجبنا من حصول مثله في الخزانة مع خساسته، فسألنا الخازن عنه فقال: هذا كأس أم حكيم، فرددناه إلى الخزانة، ولعل الذهب الذي كان عليه أخذ منه حينئذٍ، ثم أخرج لبيع.

قال محمد بن موسى: وذكر لي عبيد الله بن محمد الخزاعي عن ابن أبي الأغر قال:

كنا مع محمد بن الجنيد الخُتَلِّي أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة فكان صوته:

عَلَّانِي بَعَاتِقَاتِ الْكُرُومِ واسقياني بكأس أم حكيم
[الخفيف]

فلم يزل يقترحه ويشرب عليه حتى السحر، فوفاه كتاب خليفته في دار الرشيد أن الخليفة على الركوب، وكان محمد أحد أصحاب الرشيد ومن يُقَدِّم دابته، فقال: ويحكم كيف أعمل والرشيد لا يقبل لي عذراً وأنا سكران؟ فقالوا: لا بدّ من الركوب، فركب على تلك الحال، فلما قدّم إلى الرشيد دابته قال له: يا محمد ما هذه الحال التي أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأي أمير المؤمنين في الركوب فشربت ليلي أجمع، قال: فما كان صوتك؟ فأخبره، فقال له: عد إلى منزلك فلا فضل فيك، فرجع إلينا وخبرنا بما جرى وقال: خذوا بنا في شأننا، فجلسنا على سطح، فلما متّع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على برزون، في يده شيء مغطى بمنديل قد كاد ينال الأرض، فصعد إلينا وقال: يا محمد، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم لتشرب فيه، وبألف دينار تنفقها في صُبوحك، فقام محمد فأخذ الكأس من يد الخادم وقبلها وصبّ فيها ثلاثة أرطال وشربها قائماً وسقانا مثل ذلك، ووهب الخادم مائتي دينار، وغسل الكأس وردها إلى موضعها، وجعل يفرق علينا تلك الدنانير حتى بقي معه أقلها:

صوت

عَلَّقَمُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ النَّاقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
إِنْ تَسُدِ الْخُوصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ وعامرٌ ساد بني عامرٍ

عهدي بها في الحيّ قد دُرَعَتْ^(١) صفراء مثل المهرة الضامر
 قد حَجَمَ الثدْيُ على صدرها في مُشرقٍ ذي بَهْجةٍ ناضِر
 لو أَسْنَدتْ مَيْتاً إلى نحرها عاش ولم يُحْمَلْ إلى قابر
 حتى يقول الناسُ مما رأوا يا عجباً للميّتِ الناشر^(٢)
 [السريع]

عروضه من السريع ، والشعر للأعشى ، أعشى بني قيس بن ثعلبة يمدح عامر بن
 الطُّفَيْل ، ويهجو علقمة بن عُلاثة ، والغناء لمعبد في الثالث وما بعده خفيف ثقيل أول
 بالبنصر ، وفي الأبيات لحنين ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيها
 أيضاً لحن آخر ذكره في المجرّد ولم يجنّسه ولم ينسبه إلى أحد .

(١) دُرَعَتْ: أُلْبِسَتْ الدَّرْعَ .

(٢) النَّاشِر: الذي أُعيد إحياءه بعد موته .

الخبر في هذه القصة وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة. ونسخت من رواية ابن الكلبي عن أبيه، ومن رواية دماذ والأثرم عن أبي عبيدة والأصمعي ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه، فجمعت رواياتهم، ولكل امرئ منهم زيادة على صاحبه ونقصان عنه، واللفظ مشترك في الروايات إلا ما حكيت مفرداً، قال ابن الكلبي حدثني أبي ومحيريز بن جعفر وجعفر بن كلاب الجعفري، عن بشر بن عبد الله بن حيان بن سلمى بن مالك بن جعفر عن أبيه عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين قالوا:

أول ما هاج النَّفَّار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وبين علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص - وأم عامر كبشة بنت عُرْوَةَ الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الطُّبَاء بنت معاوية فارس الفرَّار بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وأم أبيه الطفيل أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة. قال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النخع سَيِّة وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة - أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر فقال: لم أر كالיום عورة رجل أقبح، فقال علقمة: أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كِنَّاتِها، يعرض بعامر، فقال عامر: وما أنت والقروم؟ والله لفرس أبي حَيَّوَة أذكُرُّ من أبيك، ولفحل أبي غَيْهَب أعظم ذِكْراً منك في نجد - قال: وكان فرسه فرساً جواداً نجاً عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وكان فحله فحلاً لبني حَرْملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، قال الأثرم: وأخبرني رجل من جهينة بدمشق قال: هو الأشعر بن صِرْمة، قال الأثرم: وسُمِّي صرمةً غَيْهَب لسواده، قال ابن الكلبي: فاستعاره منهم يستطرقه فغلبهم

عليه - فقال علقمة: أما فرسكم فغارةٌ وأما فحلکم فعارة ولكن إن شئت نافرتك، فقال: قد شئت، فقال عامر: واللّه لأنا أكرم منك حسباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصباً، فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً، فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك، فقال عامر: أنافرك^(١) على أني أنحرُ منك للّقاح^(٢)، وخيرُ منك في الصباح، وأطعم منك في السنة الشّياح^(٣) فقال علقمة: أنت رجل تقاتل، والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعزُّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك، وأنت جواد، والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثراً، وأحدُ منك بصرأً، وأعزُ منك نفراً، وأشرف منك ذكراً، فقال عامر: لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص وبصرک صحيح، ولكني أنافرك على أني أنشر منك أمة، وأطول منك قِمةً، وأحسن منك لِمةً وأجعد منك جُمةً، وأبعد منك همّة، قال علقمة: أنت رجل جسيم وأنا رجل قضيف^(٤) وأنت جميل وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي، فقال عامر: آباؤك أعمامي ولم أكن لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عَقَباً، وأطعم منك جَدَباً، قال علقمة: قد علمت أن لك عَقَباً في العشيرة، وقد أطعمت طيئاً إذ سارت، ولكني أنافرك أني خير منك وأولى بالخيرات منك، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم، قال فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت: يا عامر نافِرْه أيكما أولى بالخيرات - قال أبو المنذر: قال أبو مسكين - قال عامر في مراجعته: واللّه لأنا أركب منك في الحُمة، وأقتل منك للکُمة^(٥)، وخير منك للمولى والمولاة، فقال له علقمة: واللّه إني لبرّ وإنك لفاجر، وإني لوفّي وإنك لغادر ففيم تفاخرنى يا عامر؟ فقال عامر: واللّه إني لأنزلُ منك للفقرة، وأنحرُ منك للّبكرة، وأطعم منك للهبرة، وأطعن منك للنثرة^(٦)، فقال علقمة: واللّه إنك لكليلُ البصر، نَكْدُ النّظر، وثّاب على جاراتك بالسحر، فقال بنو خالد بن جعفر - وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر - لن تطبيق عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات وخُذْ عليه بالكبر، فقال له علقمة هذا القول، فقال عامر: عنز وتيس وتيس وعنز، فذهبت مثلاً، نعم، على مائة

(١) أنافرك: أغالبك.

(٢) اللّقاح: مفردها اللّقة وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

(٣) الشّياح: القحط.

(٤) القضيف: الدقيق النحيف، الهزيل.

(٥) الكُمة: مفردها الكمي وهو الشّجاع.

(٦) النثرة: الخيشوم وما والاه.

من الإبل إلى مائة من الإبل يعطاها الحكم أثنا نَقَر عليه صاحبه أخرجها. ففعلوا ذلك ووضعوا بها رَهْناً من أبنائهم على يَدَي رجل من بني الوحيد، فسَمِّي [بنو بني] الضَّمين إلى الساعة وبني الكفيل.

قال: وخرج علقمة ومن معه من بني خالد، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك وهو أبو براء فقال: يا عماء أعنِّي، فقال: يا ابن أخي سُبَّني، فقال: لا أُسُبُّك وأنت عمي قال: فسُبَّ الأحوص، فقال عامر: ولا أُسبِّ واللَّه الأحوص وهو عمي، فقال: فكيف أعينك إذاً، ولكن دونك نعلي^(١) فإني قد رَبَعْتُ فيها أربعين مِرْباعاً فاستعِن بها في نِفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئاً وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما وقال: أنتما كركبتي البعير الأدرم^(٢) قالا: فأينا اليمين؟ فقال: كلاكما يمين. وأبى أن يقضي بينهما، فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سُرَاقَة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال:

يَا قَرِيشَ بَيِّتُوا الْكَلَامَا إِنَّا رَضِينَا مِنْكُمْ الْأَحْكَامَا
فَبَيِّتُوا إِنْ كُنْتُمْ حُكَّامَا كَانَ أَبُو نَالِهِمْ إِمَامَا
وَعَبْدَ عَمْرٍو مَنَعَ الْفَيْثَامَا^(٣) فِي يَوْمِ فَخْرٍ مُعْلِمَا إِعْلَامَا
وَدَعْلَجٍ^(٤) أَقْدَمَهُ إِقْدَامَا لَوْلَا الَّذِي أَجْشَمَهُمْ^(٥) إِجْشَامَا
لَاتَّخَذْتَهُمْ مَذْحَجَ نَعَامَا

[الرجز]

قال: فأبوا أن يقولوا بينهما شيئاً، وقد كانت العرب تُحاكم إلى قريش، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة فأبى أن يقول بينهما شيئاً، فأتيا غيلان بن سلمة بن مُعْتَب الثَّقَفي فردَّهما إلى حَرْمَلَةَ بن الأشعر المُرِّي فردَّهما إلى هَرَم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري، فانطلقا حتى نزلا به، وقال بشر بن عبد الله بن حَبَّان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما حتى أثنت وأربعت، لا يأتیان أحداً إلَّا هاب أن يقضي بينهما،

(١) النَّعْل: الخف والجذاء.

(٢) البَعِير الأدرم: هو البَعِير الذي ذهب جلدته أسنانه ودنا وقوعها.

(٣) الفَيْثَام: الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه، جمعها فُؤَم.

(٤) الدَّعْلَج: المتردد في الذهاب والمجيء.

(٥) أجْشَمَهُمْ: حمَّلَهُمْ ما لا يطيقون.

فقال هرم: لعمري لأحكمنّ بينكما ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحد منكما، فأعطيني مَوْثِقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول وتُسَلِّما لما قضيت بينكما، وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل، فانصرفا.

حتى إذا بلغ الأجل خرّجا إليه، فخرج علقمة ببني الأحوص فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقُدُور، وينحرون في كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بني مالك فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه ولم ينهض أبو براء معهم. وقال لعامر: واللّه لا تطلّع ثنيّة إلا وجدت الأحوص مُنيخاً بها، وكره أبو براء ما كان من أمرهما، فقال عامر فيما كره من منافرتهما ودعا عامراً إياه أن يسير معه:

أأومر أن أسبّ أبا شريح ولا واللّه أفعل ما حيئتُ
ولا أهدي إلى هَرمٍ لقاحاً فيُخَيِّ بعد ذلك أو يُميتُ
أُكَلِّفُ سَعْيَ لقمان بن عاد فيال أبي شريح ما لقيتُ
[الوافر]

قال: وأبو شريح هو الأحوص، فكره كل واحد من البطنين ما بينهما، وقال عبد عمرو بن شريح بن الأحوص:

لَحَى اللّهُ وَفَدَيْنَا وما ارتحلا به من التَّبَوَةِ الباقي عليهم وبألها
ألا إنما تُرْمَى صَفَاةٌ متينةٌ أبى الضيمَ أعلاها وأُثِبَتْ حالها
[الطويل]

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجَنَّبِي الإبل وعليهم السلاح، فقال رجل من غَنِيّ: يا عامر ما صنعت؟ أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجُزُر وليس معك شيء تطعمه الناس، ما أسوأ ما صنعت: فقال عامر لرجلين من بني عمه: أحصيا كلّ شيء مع علقمة من قبة أو قَدْر أو لَفْحَة، ففعلا، فقال عامر: يا بني مالك إنها المقارعة عن أحسابكم فاشْخَصُوا بمثل ما شخَصُوا به، ففعلوا، وثار مع عامر لبيدُ بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحُطَيْثَةُ وفتيان من بني الأحوص منهم السَّنْدَرِيُّ بن يزيد بن شريح، ومروان بن سراقَة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص وهم يرتجزون، فقال لبيد:

يا هَرمٍ وأنت أهلٌ عدلٍ إن نُفِّرَ الأحوصُ يوماً قبلي
ليذهبَنَّ أهلُه بأهلي لا يُجمَعَنَّ شُكْلُهُم وشُكْلي

وَنَسْلُ آبَائِهِمْ وَنَسْلِي

[الرجز]

وقال أيضاً:

إني امرؤ من مالك بن جعفرٍ عَلَقَمٌ قد نافرت غير مُنْفَرٍ
نافرت^(١) سَقْباً من سِقَابِ العَرَعَرِ^(٢)

[الرجز]

فقال فُحافة بن عوف بن الأحوص:

نَهْنَهْ إليك الشَّعْرِيَّ البِيدُ واصدُدْ فقد ينفعك الصُّدُودُ
ساد أبونا قبل أن تسودوا سُوْدُكُمْ مُطَرَفٌ زَهْيِدُ

[الرجز]

وقال أيضاً:

إني إذا ما مَسَّنِي الحَيَاءُ وضاع يوم المشهد اللِّوَاءُ
أُنَمِّي وقد حُقَّ لِي النِّمَاءُ إلى كهول ذُكْرُهَا سِنَاءُ
إذ لا تزال جَلْدَةٌ كَوْمَاءُ مَبْقُورَةٌ^(٣) لِسَقْبِهَا رُعَاءُ^(٤)
لم يَنْهَنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لنا عليكم سَوْرَةٌ وَلَاءُ
أَلْمَجْدُ وَالسُّودُ وَالْعَطَاءُ

[الرجز]

وقال أيضاً:

أنتم عزلتم عامر بن مالكٍ في شَتَوَاتٍ مُضَرَّ الهَوَالِكِ
يا شرَّ أحياءٍ وشرَّ هَالِكِ

[الرجز]

قال: وأنشدها السندري يومئذٍ ورفع صوته، ف قيل: من هذا؟ فقال:

أنا لمن أنكر صوتي السَّنْدَرِيَّ أنا الفتى الجَعْدُ الطويلُ الجَعْفَرِيَّ
من وَلَدِ الأَحْوصِ أخوالي عَنِّي

[الرجز]

(١) السَّقْبُ: وَلَدُ النَّاقَةِ، أو ساعة يولَدُ جمعها أَسْقَبُ وسِقَابٌ وسُقُوبٌ.

(٢) العَرَعَرُ: ضرب من الشجر فارسية. (٣) مَبْقُورَةٌ: مشقوقة.

(٤) الرُّعَاءُ: صوت البعير والضَّبع والتَّعام.

فقال عامر: أجب يا لييد، فرغب لييد عن إجابته، وذلك لأن السندري كانت جدته أمة اسمها عيساء فقال:

لَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأَجِيبَهُمْ أَبِيتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِمًا
لَكِي لَا يَكُونُ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي وَأَشْتَمُ أَعْمَامًا عَمُومًا عَمَائِمًا^(١)
وَأَنْشُرُ مِنْ تَحْتَ الْقُبُورِ أَبْوَةً كَرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَيَّ التَّمَائِمَا
لَعَبْتُ عَلَى أَكْتَا فِهِمْ وَحَجُورِهِمْ وَلِيدًا وَسَمَوْنِي مُفِيدًا وَعَاصِمَا
أَلَا أَيُّنَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكٍ فَلَا زَالٌ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا ئِمَا
[الطويل]

قال: ووُثِبَ الحَظِيئَةُ فقال:

مَا يَحْبِسُ الْحَكَّامَ بِالْفَصْلِ بَعْدَمَا بَدَأَ سَابِقُ ذُو غُرَّةٍ وَحَجُولٍ
[الطويل]

وقال أيضاً:

يَا عَامٌ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرَمَةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعَاءَ مِنْ جَارِيَتِهِ أَمُّ
جَارِيَتٍ قَرْمًا^(٢) أَجَادَ الْأَحْوصَانِ^(٣) بِهِ سَمَحَ الْيَدَيْنِ وَفِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ
لَا يَصْعَبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبِهِ وَلَا يَبِيتُ عَلَى مَالٍ لَهُ قَسَمٌ
هَابَتْ بَنُو مَالِكٍ مَجْدًا وَمَكْرَمَةً وَغَايَةً كَانَ فِيهَا الْمَوْتُ لَوْ قَدِمُوا
وَمَا أَسَاؤُوا فِرَارًا عَنْ مُجْلَحَةٍ^(٤) لَا كَاهَنٌ يَمْتَرِي فِيهَا وَلَا حَكَمٌ
[البسيط]

قال: وأقام القوم عنده أياماً، وأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به علقمة فقال: يا عامر، قد كنت أرى لك رأياً وأن فيك خيراً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك، أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآيائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟ قال عامر: نشدتك الله والرحم أن لا تفضل عليّ علقمة، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً، هذه ناصيتي فاجزئها واحتكم في مالي، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي، فخرج عامر وهو لا يشك أنه يُنْفَره عليه، ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة والله إن كنت لأحسب

(١) العمام: الجماعات المتفرقون. (٢) القرم: السيّد.

(٣) الأحوصان: الأحوص بن جعفر وعمرو بن الأحوص.

(٤) المُجْلَحَةُ: السنة التي تذهب بالمال.

فيك خيراً وأن لك رأياً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك، أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غناءً وأحمدهم لقاءً؟ فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له علقمة: أنشدك الله والرحم أن لا تنفّر عليّ عامراً اجزُرْ ناصيتي واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه، فقال: انصرف فسوف أرى رأيي، فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً.

قال أبي: سمعت أن هرمًا قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر: ولم يا هرم؟ قال: لأنه أنجل منك عيناً في النساء، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء، قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم، هو أكثر منك نائلاً في الثراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء، ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: ولم يا هرم؟ قال: هو أنفذ منك لساناً، وأمضى منك سناناً. قال علقمة، فهل غير هذا؟ قال: نعم، هو أقتل منك للكُماة، وأفكُ منك للُعناة.

قال: ثم إن هرمًا أرسل إلى بنيه وبني أبيه: إني قاتل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطردُ بعضكم عشر جزائر فليُنحرّها عن علقمة ويطرُدُ بعضكم عشر جزائر فليُنحرّها عن عامر، وفرّقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لبيد فقال:

يا هرمُ ابنَ الأكرمين مَنْصِباً إنك قد وليت حُكماً مُعْجِبا
فاحكَمْ وصوّبٌ^(١) رَأْسَ مَنْ تَصوّبا إن الذي يعلو عليها تُزْتَبَا
لخَيْرُنَا عَمّا وأمّا وأبّا وعامر خيرُهما مُرْكَبَا
وعامر أدنى لقيس نسباً

[الرجز]

فقام هرم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكتما عندي وأنتما كركبتي البعير الأدرم تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم.

عمد بنو هرم وبني أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرم، عن علقمة عشرًا وعن عامر عشرًا، وفرّقوا الناس، فلم يفضل هرم أحدًا منهما على صاحبه،

(١) صوّب الرأس: خفضه وطأه.

وكره أن يفعل وهما ابنا عم فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحَيَّين شرّاً.

قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخُفْرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفّره عامر حتى أذاه وما له إلى أهله فقال:

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر
[السريع]

ثم أتمها بعد النّفار، فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى وأشاع في العرب أن هرمأ قد فضّل عامراً توعّد الأعشى، فقال الأعشى:

لعمري لئن أمسى من الحيّ شاخصاً

قال ابن الكلبي: حدثني أبي قال: فعاش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فسأله عمر فقال: يا هرم أيّ الرجلين كنت مُفضّلاً لو فضّلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جدّة، ولبلغت شِعافَ هَجَرَ فقال عمر: نِعَم مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ومُسْنَدُ الأَمْرِ إليه أنت يا هرم، مثل هذا فليسدّ العشيرة. فقال: إلى مثلك لِيَسْتَبْضِعَ القوم أحكامهم.

قال أبو الفرج الأصفهاني: وقد أدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام فأسلم، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب فلما وجّه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومي إلى بني كِلاب ليوقع بهم، وعلقمة يومئذٍ رئيسهم هرب وأسلم، ثم أتى أبا بكر - رضي الله عنه - فأعلمه أنه قد نَزَعَ عما كان عليه، فقبل إسلامه وأمنه.

هكذا ذكر المدائني، وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك.

وحدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا السريّ بن يحيى قال: حدثنا شُعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف قال:

كان علقمة بن عُلاثة على كِلاب ومَن والاه، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في حياة النبي ﷺ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام مرتداً: فلما تُوفي النبي ﷺ أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب مُقَدِّماً رِجْلاً ومؤخراً أخرى، وبلغ ذلك أبا بكر - رضي الله عنه - فبعث إليه سريّة، وأمّر عليها القعقاع بن عمرو وقال: يا قعقاع سرّ حتى تُغيّر على علقمة بن عُلاثة لعلك تأخذه لي أو تقتله، واعلم بأن شفاء النفس الحُوصُ فأصنع ما عندك. فخرج في تلك السرية حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة، وكان لا يبرح أن يكون على رَحْل فسبقهم على فرسه مُراكضةً، وأسلم

أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، وَاسْتَبَى الْقَعْقَاعَ امْرَأَةً عُلْقَمَةَ وَبَنَاتِهِ وَنِسَاءَهُ وَمَنْ أَقَامَ مِنَ الرِّجَالِ فَاتَّقَوْهُ بِالْإِسْلَامِ، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَجَحَدَتْ زَوْجَتَهُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَكُونُوا مَالِئًا عُلْقَمَةَ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانُوا مُقِيمِينَ فِي الدَّارِ، وَلَمْ يَكُنْ بَلَّغَهُ عَنْهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: مَا ذَنْبُنَا نَحْنُ فِيمَا صَنَعَ عُلْقَمَةُ؟ فَأَرْسَلَهُمْ، ثُمَّ أَسْلَمَ عُلْقَمَةَ فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ.

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُبَّمَا حَدَّثَ أَصْحَابَهُ وَرُبَّمَا تَرَكَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ وَيُصْغِي إِلَيْهِمْ وَيَتَبَسَّمُ، فَبَيْنَا هُمْ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ يَتَذَكَّرُونَ الشَّعْرَ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ إِذْ سَمِعَ حَسَانَ بْنُ ثَابِتٍ يُنْشِدُ هَجَاءَ أَعْشَى بْنِ قَيْسٍ بَنِ ثَعْلَبَةَ عُلْقَمَةَ بَنِ عُلَاثَةَ وَمَدِيحَةَ عَامَرَ بْنِ الطَّفِيلِ:

عَلِّقْ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ أَلْنَقَضِ الْأَوْتَارَ وَالْوَاتِرَ
إِنْ تَسُدَّ الْخُوصَ فَلَمْ تَعُدَّهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ
سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً وَكَابِرٌ سَادُوكَ عَنْ كَابِرٍ
[السريع]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُفَّ عَنْ ذِكْرِهِ يَا حَسَانُ، فَإِنْ أَبَا سَفِيَانٌ لَمَّا شَعَثَ مَنِيَّ عِنْدَ هِرْقَلٍ رَدَّ عَلَيْهِ عُلْقَمَةَ»، فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ نَالَتِكَ يَدُهُ فَقَدْ وَجِبَ عَلَيْنَا شُكْرُهُ.

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخِرَازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ قَالَ:

لَمَّا أَطْلَقَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الْحَطِيبَةَ مِنْ حَبْسِهِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اكْتُبْ لِي كِتَابًا إِلَى عُلْقَمَةَ بَنِ عُلَاثَةَ لِأَقْصِدَهُ بِهِ فَقَدْ مَنَعْتَنِي التَّكْسُبَ بِشَعْرِي، فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنْ عُلْقَمَةُ لَيْسَ بِعَامِلِكَ فَتَخْشَى أَنْ تَأْثِمَ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَشْفَعُ لَهُ إِلَيْهِ، فَكُتِبَ لَهُ بِمَا أَرَادَ، فَمَضَى الْحَطِيبَةَ بِالْكِتَابِ فَصَادَفَ عُلْقَمَةَ قَدْ مَاتَ، وَالنَّاسُ مُنْصَرِفُونَ عَنْ قَبْرِهِ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَهُ:

لِعَمْرِي لِنَعْمِ الْمَرْءِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانِ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَا لَا أَمَلُّ لِحَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

وما كان بيني ولولقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ
[الطويل]

فقال له ابنه: يا حطيئة كم ظننت أن علقمة يعطيك؟ قال: مائة ناقة، قال: فلك مائة ناقة يتبعهما مائة من أولادها. فأعطاه إياها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمر بن أبي بكر قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد والضحاك بن عثمان قالا: لما قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد ارتد عن الإسلام وكان لخالد بن الوليد صديقاً، فلقيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في المسجد في جوف الليل، وكان عمر - رضي الله عنه - يشبه بخالد، وذلك أن أمه حنثمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فسلم عليه وظن أنه خالد فقال له: عزلك؟ قال: كان ذلك، قال: والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسد لك، فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟ قال: معاذ الله، إن لعمر علينا سمعاً وطاعة، وما نخرج إلى خلافه، فلما أصبح عمر - رضي الله عنه - أذن للناس فدخل خالد وعلقمة، فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال له: إيه يا علقمة، أنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد فقال: يا أبا سليمان أفعلتها؟ قال: ويحك، والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإنني لأراك لقيت الرجل، قال: أرأه والله، ثم التفت إلى عمر - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين ما سمعت إلا خيراً، قال: أجل، فهل لك أن أوليك حوران؟ قال: نعم، فولاه إياها فمات بها، فقال الحطيئة يرثيه:

لعمري لنعم الحَيِّ من آل جعفر بحوران أمسى أقصدته الحبائلُ
لقد أقصدتُ جوداً ومجداً وسؤدداً وحلماً أصيلاً خالفته المجاهلُ
فإن تحي لا أمللُ حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائلُ
[الطويل]

وفي أول هذه القصيدة التي رثي بها الحطيئة علقمة غناءً نسبته.

صوت

أرى العيس تخدي بين قَوْ فُضارج كما لاح في الصبح الأشياء^(١) الحواملُ

(١) الأشياء: مفردها الأشياء وهي النخلة الصغيرة.

فأتبعتهم عيني حتى تفرقت مع الليل عن ساق الفريد الجمائل
فلأياً قَصَرْتُ الطرف عنهم بجسرة أَمُون^(١) إذا وَاكَلَتْهَا لا تَوَاكِلُ
[الطويل]

غنى في هذه الأبيات سائب خاثر ثاني ثقیل بالوسطی من رواية حماد بن إسحاق
والهشامي .

صوت

ليت شعري أفاح رائحة المس حين غابت بنو أمية عنه
لِكُ وما إن إخال بالخيف^(٢) إنسي والبهاليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر فُرسا ن عليها وقالة غير خرس
[الخفيف]

إخال: أظن، وخت كذا وكذا فأننا إخاله إذا ظننته، وخال عليّ الشيء بخيل إذا
شككت فيه، وليت شعري: كلمة تقولها العرب عند الشيء تحب علمه وتسأل عنه .

وأخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثني عمر بن شبة قال:

سأل رجل أبا عبيدة: ما أصل «ليت شعري» فقال: كأنه قال: ليتني شعرت بكذا
وكذا، ليتني علمت حقيقته .

الشعر لأبي العباس الأعمى، والغناء لابن سريج رمل بالبنصر في مجراها .

(١) الأمون: المطيئة المأمونة العثار .

(٢) الخيف: اسم موضع .

ذكر أخبار أبي العباس الأعمى ونسبه

هو السائب بن فروخ مولى بني ليث، وقيل: إنه مولى بني الدّيل، وهذا القول هو الصحيح:

ذكر محمد بن معاوية الأسدي عن المدائني والواقدي أن أبا العباس الأعمى - الذي يروي عنه حبيب بن أبي ثابت - مولى جَذيمة بن عليّ بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بني أمية المعدودين المقدّمين في مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى إليهم، وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

لعمرك إنني وأبأ طفيل لمختلفان واللّه الشهيد
أرى عثمان مُهتدياً ويأبى متابعتي وآبى ما يُريدُ
[الوافر]

أخبرني بذلك وكيع، عن حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبد الله بن أبي سعد.

وقد روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث، وروى عنه عطاء، وعمر بن دينار وحبيب بن أبي ثابت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج عن عطاء:

عن أبي العباس الأعمى الشاعر، عن عبد الله بن عمر قال: إنما جُمع منزلٌ تُدليج منه إذا شئت.

قال: حدثنا أحمد بن محمد بن بلان الخيشي قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: حدثنا أبو ضمرة قال: حدثني الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذئب.

عن أبي العباس، عن سعيد بن المسيّب قال: قال علي بن أبي طالب: قال رسول الله ﷺ: «إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلًا».

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال: حدثنا أبو قلابة قال: حدثنا أحمد بن بشير بن عمير قال: حدثنا شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت أبا العباس السائب بن فروخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: أحيي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال: حدثنا الفضل بن عبد الله الحَلَنْجِي بِجُرجان قال: حدثني مسلم بن الوليد الأنصاري قال: سمعت يزيد بن مَزِيد يقول: سمعت هارون الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول:

سمعت المنصور يقول: خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد، فصحبني في الطريق رجل ضرير، فسألته عن مقصده فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه، فاستنشدته إياه فأنشدني:

ليت شعري أفاح رائحة المسد	ك وما إن إخال بالخيف إنسي
حين غابت بنو أمية عنه	والبهاليل من بني عبد شمس
خطباء على المنابر فرسا	ن عليها وقالة غير خرس
لا يُعابون صامتين وإن قا	لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس
بحلوم إذا الحلوم تقضت	ووجوه مثل الدنانير ملس

[الخفيف]

ويروى مكان تَقَضَّت «اضمحلت» قال: فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني، وافترقنا، فلما أفضت الخلافة إلي خرجت حاجاً فنزلت أمشي بجبلي زُرُود، فبصرت بالضرير ففرقت من كان معي ثم دنوت منه فقلت: أتعرفني؟ قال: لا، فقلت: أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان، فقال: أوّه:

آمت نساء بني أمية منهم	وبنائهم بمضيعة أيتام
نامت جُودهم وأسقط نجمهم	والنجم يسقط والجُود نيام
خلت المنابر والأسيرة منهم	فعلهم حتى الممات سلام

[الكامل]

فقلت: وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت؟ قال: أغناني أن أسأل أحداً بعده.

فهممت بقتله ثم ذكرت حق الاسترسال والصُّحبة فأمسكت، وغاب عن عيني فبدا لي فيه، فأمرتُ بطلبه، فكأنما البيداء بادت به.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة قال: قال أبو عبيدة:

هَوِيَ أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل، فراسلها، فأعلمت زوجها، فقال: أَطْمَعِيهِ فَأَطْمَعْتُهُ، ثم قال: أرسلي إليه فليأتك، فأرسلت إليه فأتاها، وجلس زوجها إلى جانبها، فقال لها أبو العباس: إِنَّكَ قَدْ وُصِفْتَ لَنَا وَمَا نَرَاكَ، فآلَمَسِينَا، فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها، فنَفَرَ وعلم أنه قد كيد فنهض من عندها وقال:

صوت

عَلَيَّ أَلِيَّةٌ مَادَمْتُ حَيًّا أَمْسُكَ طَائِعاً إِلَّا بَعُودِ
وَلَا أَهْدِي لَأَرْضٍ أَنْتَ فِيهَا سَلَامَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ بَعِيدِ
رَجَوْتُ غَنِيمَةً فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى أَيْرٍ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ
فَخَيْرٌ مِنْكَ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكُمْ فُعُودِي
[الوافر]

وقرأت هذه الحكاية مروية عن الأصمعي غير مذكور راويها عنه، وزعم أن بشاراً صاحب القصة، وأنه كان له مجلس يسميه البَرْدان يجتمع إليه فيه النساء، فعشق هذه المرأة وقد سمع كلامها، ثم ذكر الخبر بطوله، وقال فيها: فلما وصل إليها أنشأ يقول:

مُلَيْكَةٌ قَدْ وُصِفَتْ لَنَا بِحُسْنٍ وَإِنَّا لَا نَرَاكَ فَآلَمَسِينَا
[الوافر]

فأخذ زوجها يده فوضعها على أيره.

ذكر إسحاق أن في البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات لحناً من خفيف الثقل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد، ووجدته في غناء عمرو بن بانة في هذه الطريقة منسوباً إليه، فلا أدري أهو ذلك اللحن أو غيره.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة قال:

قال أبو العباس الأعمى مولى بني الدَّيْل بن بَكْر يَحْضُ بني أمية على عبد الله بن الزُّبَيْر:

أَبْنِي أُمِيَّةَ لَا أَرَى لَكُمْ سَعَةً وَأَحْلَاماً إِذَا نَزَعَتْ وَحَفِيظَةً فِي كُلِّ نَائِبَةٍ أَلَّهْ أَعَاطَكُمْ وَإِنْ رَغِمَتْ أَبْنِي أُمِيَّةَ غَيْرَ أَنْكُمْ أَطْمَعْتُمْ فِيكُمْ عَدْوَكُمْ فَلَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ كَقَوْمِكُمْ عَمَّا كَرِهْتُمْ ثُمَّ رَدَّهْمُ

شِبْهًا إِذَا مَا التَّفَّتِ الشَّيْعُ أَهْلُ الْحُلُومِ فَضَرَّهَا التَّنَزَعُ^(١) شَهْبَاءَ لَا يُنْهَى لَهَا الرُّبْعُ^(٢) مِنْ ذَاكَ أَنْفَ مَعَاشِرٍ رَفَعُوا وَالنَّاسَ فِي مَا أَطْمَعُوا طَمَعُوا فَسَمَّا بِهِمْ فِي ذَاكُمْ الطَّمَعُ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا لَكُمْ رَجَعُوا حَذَرَ الْعَقُوبَةِ إِنَّهَا تَنْزَعُ^(٣)

[الكامل]

وله أشعار كثيرة في مدائح بني أمية وهجاء آل الزبير، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير ليس ذكرها مما قصدنا له.

ونسخت من كتاب قَعْنَب بن الْمُحَرِّز قال: حدثنا المدائني عن جُوَيْرِيَةَ ابْنِ أَسْمَاءَ:

أن ابن الزبير رأى رجلاً من حلفاء بني أسد بن عبد العزى في حالة رثّة فكساه ثوبين، وأمر له ببرّ وتمر، فقال أبو العباس الأعمى في ذلك:

صوت

كَسْتُ أَسَدٌ إِخْوَانُهَا وَلَوْ أَنَّنِي بِلَدَةِ إِخْوَانِي إِذَا لَكُسِيتُ فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ حَيٍّ تَحَمَّلُوا إِلَى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مِنْذُ بُرَيْتُ^(٤)

[الطويل]

غنى في هذين البيتين دحمان ثقیل أول بالبنصر من رواية ابن المكي، ورأيت في بعض الكتب لزرزور غلام المارقي فيهما صنعة أيضاً.

(١) التَّنَزَعُ: انحسار الشعر عن جانبي الجبهة.

(٢) الرُّبْعُ: الفصيل ينتج في الربيع.

(٣) تَنْزَعُ: تَكُفُّ.

(٤) بُرَيْتُ: حُلِقت.

وقال محمد بن معاوية: حدثني المدائني قال:

قدم البعيثُ المُجاشعيّ مكة، وكان أبو العباس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقها، وكانت جوائز أُمّية تأتيه من الشام، وكانت قريش كلها تَبْرُهُ للسانه، وتقرُّباً إلى بني أُمّية ببره، قال: فصلّى البعيث مع الناس، وسأل في حَمالة كانت عليه، وكان سؤولاً مُلِحاً شديداً الطمع، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمّله عنه فيقول: لا أقبله إلا أن تجيء معي إلى الصرّاف حتى يَنْقُذَهُ وَيَزِنَهُ، فإن لم يفعل ذمّه وهجاه، فشكوه إلى أبي العباس الأعمى فقال: قُودُونِي إِلَيْهِ ففعلوا، فلما عرف مجلسه رفع عصاه فضرب بها رأسه ثم قال له:

فهل أنت إلا مُلصَقٌ في مُجاشعٍ نفاك جَرِيرٌ فاضْطُرِرْتُ إلى نَجْدٍ
[الطويل]

ويروى: نفاك جرير بالهجاء إلى نجد.

تَظَلَّ إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئاً سَأَلْتَهُ تَطَالِبُ مَنْ أَعْطَاكَ بِالْوِزْنِ وَالنَّقْدِ
فَلا تَطْمَعَنَّ مِنْ بَعْدِ ذَا فِي عَطِيَّةٍ وَثِقْ بِقَبِيحِ الْمَنَعِ وَالِدْفَعِ وَالرَّدِ
فَلَسْتَ بِمُبْقٍ فِي قَرِيشِ خِزَايَةٍ تُذَمُّ وَلَوْ أَبْعَدْتَ فِيهَا مَدَى الْجَهْدِ
[الطويل]

قال: فتضاحك به من حضر واستحيا ولم يُجِرْ جواباً، فلما جَنَّ الليلُ هرب من مكة.

قال قعنّب بن المحرز: حدثني المدائني قال:

قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الدّيل: أنشدني مديحك مُصْعَباً، فاستعفاه فقال: يا أمير المؤمنين إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي. وقد علمت أن هواي أُمويّ، قال: صدقت، ولكن أنشدني ما قلته، فأنشده:

يَرْحَمُ اللَّهُ مُصْعَباً فَلَقَدْ مَا تَ كَرِيماً وَرَامَ أَمراً جَسِيماً
[الخفيف]

فقال عبد الملك: أجل لقد مات كريماً ثم تمثل:

وَلَكِنَّهُ رَامَ الَّتِي لَا يَرُومُهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا كُلَّ حُرٍّ مُعَمَّمٍ^(١)
[الطويل]

(١) المعمم: العظيم الخلق في الناس.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني إسحاق بن محمد الأموي قال:

لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة فدخلوا إليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مرحباً مرحباً بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر المُلحد المَحِلِّ حيث كسا أشياعه ولم يَكُسْكَ، وأنشدني ما قلت في ذلك، فأخبره بخبر ابن الزبير وأنه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه، وأنشده الأبيات، فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضر من بني أمية وأحلافهم ومواليهم، ثم على كل من حضر من أوليائي وشيعتي على دعوتهم إلا كسا أبا العباس. فخلعت والله حُلَّ الوَشِيِّ والخَزْ والفُوهِيِّ^(١)، وجُعِلَتْ تُرْمَى عليه، حتى إذا غَطَّتْهُ نَهْضُ فجلس فوق ما اجتمع وطُرح عليه. قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما ستر عني عبد الملك وجلساءه. وأمر له عبد الملك بمائة ألف درهم.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني أبي وأهلي.

أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتبع شيعة بني مروان فينفهم عن المدينة ومكة حتى لم يبق بها أحد منهم، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نَبَذَ من كلام، وأنه ي كاتب بني مروان بعوراته ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزه وصلاحته، فدعا به ثم أغلظ له وهم به، ثم كُلِّمَ فيه وقيل له: رجل مضرور، فعفا عنه ونفاه إلى الطائف، فأنشأ يهجو ويهجو آل الزبير:

بني أسد لا تذكروا الفخر إنكم
بَعِيدَاتُ بَيْنِ خَيْرِكُمْ لصديقكم
متى تُسألوا فضلاً تَضُتُّوا وتَبَخَّلُوا
إذا اسْتَبَقَتْ يوماً قريشُ خرجتم
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم
وما ذاك إلا أنَّ للؤم طابعاً
متى تذكروه تكذبوا وتُحَمِّقُوا
وشرككم يَغْدُو عليه وَيَطْرُقُ
ونيرانكم بالشر فيها تَحَرَّقُ
بني أسد سُكْتاً وذو المجد يسبق
إذا ما قريش للأضاميم^(٢) أَصْفَقُوا^(٣)
يلوح عليكم وَسْمُهُ ليس يُخْلَقُ
[الطويل]

(٢) الأضاميم: الجماعات.

(١) القوهي: ثياب بيض.

(٣) أصفق: جاء للقوم بما يشبعهم من الطعام.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمي مصعب قال:

قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الدليل بن بكر:
أَفْتِنِي إِنْ كُنْتَ ثَقُفًا^(١) شَاعِرًا عَنْ فَتَى أَعْرَجَ أَعْمَى مُخْتَلِفُ
سَيِّئِ السَّخْنَةِ كَابٍ لَوْنُهُ مِثْلَ عُودِ الْخُرُوعِ الْبَالِي الْقَصْفُ
[الرملة]

فقال أبو العباس يرد عليه:

أَنْتَ الْفَتَى وَابْنُ الْفَتَى وَأَخُو الْفَتَى وَسَيِّدُنَا لَوْلَا خَلَائِقُ أَرْبَعُ
نُكُولِكَ فِي الْهَيْجَا وَتَقْوَالُكَ الْخَنَى وَشَتْمُكَ لِلْمَوْلَى وَأَنْكَ تَبْعُ
[الطويل]

قال الزبير: يقال رجل تبّع نساء وتبّع نساء إذا كان كلفاً بهن:

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمر قال: حدثني المكيون قالوا:
كان عمر بن أبي ربيعة يرامي جارية لأبي العباس ببنادق الغالية، فبلغ ذلك أبا
العباس فقال لقائده: قفني على باب بني مخزوم، فإذا مرَّ عمر بن أبي ربيعة فضع يدي
عليه، فلما مرَّ عمر بن أبي ربيعة وضع يده عليه، فأخذ بحجزته وقال:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي جَارًا نَوْوَمَا بَجَارٍ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيْمُ
وَيَلْبَسُ بِالنَّهَارِ ثِيَابَ نَاسٍ وَشَطْرَ اللَّيْلِ شَيْطَانَ رَجِيْمُ
[الوافر]

فنهضت إليه بنو مخزوم فأمسكوا فمه، وضمنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه.

صوت

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لِبِسْنِ الْبَلَى مِمَّا لِبَسْنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا
[الطويل]

الشعر لأبي حية الثميري، والغناء لأحمد بن يحيى المكي خفيف رمل بالبنصر
عن الهشامي.

(١) الثَّقَف: الحاذق.

أخبار أبي حية النميري ونسبه

أبو حية الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمير بن عامر بن صَعَصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وكان يقال لمالك: الأصقع، وقال قوم: إن الأصقع هو الأصم بن مالك بن جناب بن زهير بن كعب.

وأبو حية شاعر مُجيد مُقَدَّم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً، وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً من ساكني البصرة، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً معروفاً بذلك أجمع، وكان أبو عمرو بن العلاء يُقدِّمه، وقيل: إنه كان يُصرَع.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي. وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد. وأخبرني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة قالوا:

كان لأبي حية سيف يسميه لُعَابُ المَنِيَّةِ، ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان من أجبن الناس، قال: فحدثني جار له قال: دخل ليلة إلى بيته كَلْبٌ، فظنه لصاً، فأشرفْتُ عليه وقد انتضى سيفه لُعَابُ المَنِيَّةِ، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول: أيها المغترُّ بنا والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترتَ لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضَرْبَتُهُ، لا تُخَافُ نَبَوْتُهُ، اخرجْ بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تَقُمُ لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً وَرَجِلاً، سبحان الله، ما أكثرها وأطبيها؟ فبينما هو كذلك إذ خرج الكلب فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني حرباً.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة قال: حدثني أبو عثمان المازني قال: حدثني سعيد بن مَسْعَدَةَ الأخفش قال:

قال أبو حية النميري: أتدري ما يقول القَدَرِيُّون؟ قلت: لا، قال: يقولون: إن

اللَّه لا يكلّف العباد ما لا يطيقون، ولا يسألهم ما لا يجدون، وصدق واللّهُ القَدَرِيُّونَ، ولكن لا أقول كما يقولون.

قال محمد بن علي بن حمزة: وحدثني أبو عثمان قال:

قال سلمة بن عياش لأبي حية النميري: أتدري ما يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: إني أشعر منك، قال: إنا لله، هلك واللّهُ الناس.

قال: وكان أبو حية النميري مجنوناً يصرع: وقد أدرك هشام بن عبد الملك.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: سمعت عمي يقول:

أبو حية في الشعراء كالرَّجُلِ الرَّبْعَةِ لا يُعَدُّ طويلاً ولا قصيراً.

قال: وسمعت أبا عمرو يقول:

هو أشعر في عِظَمِ الشعر من الراعي.

أخبرني الحسن بن علي وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني عبد الصمد بن المُعَدَّل، وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم، قالوا:

كان أبو حية النميري من أكذب الناس، فحدث يوماً: أنه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حوله فيأخذ منها ما شاء، ف قيل له: يا أبا حية، أفرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتِكَ فماذا تصنع؟ قال: أبعدُها الله إذاً.

قال: وحدث يوماً قال: عَنْ^(١) لي ظبيٌّ يوماً فرميته، فراغ عن سهمي فعارضه السهم، ثم راغ فعارضه، فما زال واللّهُ يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبّانات.

قال: وقال يوماً: رميت واللّهُ ظبية، فلما نَقَذَ سهمي عن القوس ذكرتُ بالظبية حبيبةً لي، فعدوّت خلف السهم حتى قبضت على قُدْزِهِ^(٢) قبل أن يُدركها.

وذكر يحيى بن علي، عن الحسن بن عُليل العنزي، قال: قال الرياشي، عن الأصمعي قال:

وفد أبو حية النميري على المنصور وقد امتدحه وهجا بني حسن بقصيدته:

(١) عَنْ: ظهر واعترض الطريق.

(٢) الْقُدْزُ: مفردُها القُدْزَةُ وهي ريش السهم.

عُوجاً نُحَيِّ دِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّيِّدِ وهل بتلك الديار اليوم من أحدٍ
[البسيط]

يقول فيها:

أَحِين شِيمَ - فَلَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ تِرَةً - سيفٌ تقلّده الرُّبَالُ ذُو اللَّبَدِ
سَلَّلْتُمُوهُ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي حَسَنٍ ما إنْ لكم من فلاح آخر الأبدِ
قَدْ أَصْبَحَتْ لِبَنِي الْعَبَّاسِ صَافِيَةً بَجْدَعِ أَنْافِ أَهْلِ الْبُعْغِيِّ وَالْحَسَدِ
وَأَصْبَحَتْ كَلْهَاءَ^(١) الْلَيْثِ فِي فَمِهِ وَمَنْ يُحَاوِلْ شَيْئاً فِي فَمِ الْأَسَدِ
[البسيط]

فوصله أبو جعفر بشيء دون ما كان يُؤمِّلُ، فاحتجن^(٢) لعياله أكثره، وصار إلى الحيرة فشرب عند خمارة بها، فأعجبه الشرب، فكره إنفاذ ما معه، وأحب أن يدوم له ما كان فيه، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة^(٣)، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد، ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة، وكان لأبي حية أير كعُتق الظَّليم، فأبرز لها عنه فتدلّهت، وكانت كلما سقطت في الحائط، فأنشأ أبو حية النميري يقول:

إِذَا أَسْقَيْتَنِي كُوزاً بِخَطِّ فخطّي ما بدا لك في الجدارِ
فإنْ أعطيتني عَيْنَا بَدَيْنِ فهاتي العين وانتظري ضماري^(٤)
خَرَقْتُ مُقَدِّمًا مِنْ جَنْبِ ثُوبِي حيالَ مكان ذاك من الإزارِ
فَقَالَتْ، وَئِلَها: رَجُلٌ وَيَمشي بما يمشي به عُجْر^(٥) الحمَارِ؟
وَقَالَتْ مَا تَرِيدُ فَقُلْتُ خَيْرًا نسيئة ما عليّ إلى يساري
فَصَدَّتْ بَعْدَ مَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ وقد ألمحتها عُتْقَ الحُورِ^(٦)
[الوافر]

أخبرني إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم قال:

(١) اللّهاء: اللّحة المشرفة على الحلق.

(٢) احتجن: ضمّ.

(٣) النسيئة: البيع بثمن مؤجل.

(٤) الضّمار: الوعد المسوّف.

(٥) العُجْر: مفردها العُجرة وهي العقدة في الخيط وعروق البدن.

(٦) الحُور: ولد الناقة.

لقي ابن مناذر أبا حية فقال له : أنشدني بعض شعرك فأنشده :

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مناذر : وهذا شعر؟ فقال أبو حية : ما في شعري عيب سوى أنك

تسمعه ، ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره ، فقال له أبو حية : قد عرفتك ما قصّتك .

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية ويذكر يوم النشاش وهو يوم لبني نمير .

أخبار أحمد بن يحيى المكي

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكي، ويكنى أبا جعفر، وكان يلقب ظنينا وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره، وهو أحد المحسنين المبرزين الرواة للغناء المُحكَمِي الصنعة، وكان إسحاق يقدمه ويؤثره ويُشيد بذكره ويجهر بتفضيله.

وكتابه المُجَرَّد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعول عليها، وما أعرف كتاباً بعد كتاب إسحاق الذي ألفه كتاباً يقارب كتابه ولا يقاس به. وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الضُّرَّاب الموصوفين المتقدمين.

أخبرني عمي قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي:

عن محمد بن أحمد المكي أن أباه جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديواناً للغناء ونسبه وجنَّسه، فكان محتوياً على أربعة عشر ألف صوت.

أخبرني جحظة قال: حدثني علي بن يحيى. ونسخت من بعض الكتب: حدثني محمد بن أحمد المكي قال:

حدثني علي بن يحيى قال: قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكي: يا أبا محمد، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي مملوكاً كم كان يساوي؟ فقال: أخبرك عن ذلك. انصرفت ليلة من دار الواثق، فاجتزت بدار الحسن بن وهب، فدخلت إليه فإذا أحمد عنده، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة قال لي الحسن بن وهب: كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت: يساوي عشرين ألف دينار، قال: ثم رجع فغنى صوتاً فقال لي الحسن بن وهب: يا أبا محمد أضعفها، قال: ثم غنى صوتاً آخر فقال الحسن: يا أبا محمد أضعفها، ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد غنني:

صوت

[لولا الحياء وأن السُّتر من خلقي
إِذَا قَعَدْتُ إِلَيْكَ الدَّهْرَ لَمْ أَقِمِ
أليس عندك شكرٌ لِّلَّتِي جَعَلْتُ
ما أبيض من قدامات الرأس كالْحُمَمِ
[البسيط]

الغناء فيه لمعبد خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانه أنه لمالك وليس كما قال، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشامي ودنانير وغيرهما.

قال: فغناه أحمد بن المكي فأحسن كل الإحسان، فلما قمت للانصراف قلت للحسن: يا أبا علي أضعف الجميع. فقال له أحمد: ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ولسنا ندري معناه؟ فقلت له: نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري.

وأخبرني بهذا الخبر يحيى بن علي بن يحيى عن أخيه أحمد بن علي، عن عافية بن شبيب، عن أبي حاتم قال:

كان إسحاق عندنا في منزل أبي علي الحسن بن وهب وعندنا ابن المكي.

فذكر الحديث مثله وقال فيه: إنما قومته بمائة ألف. وذكر الصوت الذي غناه أخيراً].

صوت

أَمِنْ دَمْنٍ وَخِيمٍ بِالْيَاتِ وَسُفْعٍ كَالْحَمَائِمِ جَائِمَاتِ
أَقَمْتُ لَهُنَّ شَطْرَ اللَّيْلِ حَتَّى طَلَعْنَ مِنَ الْمَنَاقِبِ مُنْجِدَاتِ
[الوافر]

وأن إسحاق لما سمعه قال: كم كنت قومته؟ قال: مائة ألف درهم، قال أضعفوا القيمة، قيمته مائتا ألف درهم.

في هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى ينسب إلى ابن مسجح وإلى ابن محرز، وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وللغريض خفيف ثقيل عن الهشامي.

أخبرني جحظة قال: حدثني محمد بن أحمد المكي قال: ناظر أبي بعض المغنين ذات ليلة بين يدي المعتصم وطال تلاحيهما في الغناء، فقال أبي للمعتصم: يا أمير المؤمنين من شاء منهم فليغن عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة، وأنا أغني عشرة وعشرة، وعشرة. لا يعرف أحد منهم صوتاً منها، فقال إسحاق: صدق يا أمير المؤمنين وأتبعه ابن بسخر وعُلوّيه فقالا: صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله، فأمر له بعشرين ألف درهم، قال محمد: ثم عاد ذلك الرجل إلى مما ظنّه يوماً فقال له: قد دعوتك إلى المنصّة فلم تقبل، وأنا أدعوك وأبدأ بما دعوتك إليه، فاندفع

فغنى عشرة أصوات، فلم يعرف أحد منهم صوتاً واحداً منها، كلّها من الغناء القديم والغناء اللاحق به من صنعة المكيّين الحذاق الخاملين الذكر، فاستحسن المعتصم منها صوتاً وأسكت المغنين له واستعاده مرات عدة، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه، وأمر أن لا يراجعه أحد من المغنين كلاماً ولا يعارضه، إذ كان قد أبرّ عليهم وأوضح الحجة في انقطاعهم وإدحاض حجتهم.

وكان الصوت الذي اختار المعتصم عليه وأمر له لما سمعه بألف دينار.

صوت

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَلُومُ مُحِبّاً وَلَحَى اللَّهُ مَنْ يُحِبُّ فَيَابَى
رُبَّ الْفَيْنِ أَضْمَرَ الْحَبَّ دَهْرًا فَعَفَا اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ ثَابَا
[الخفيف]

الغناء ليحيى المكي رمل.

قال محمد: قال أبي: وكان المعتصم قد خلع في ذلك اليوم مَماطِرَ^(١) لها شأن من ألوان شتى، فسألني عبد الوهاب بن علي أن أردّ عليه هذا الصوت، وجعل لي مِمّطرة، فغنيته إياه، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا أمر غلماننا بدفع المِمّطر إلى غلماننا فسلموه إليهم.

أخبرني عبد الله بن الربيع، عن أبيه قال:

حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: سألتني إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً: من بقي من المغنين؟ قلت: وجه القرعة محمد بن عيسى مولى عيسى بن جعفر، فقال: صالح كيّس، ومن أيضاً؟ قلت: أحمد بن يحيى المكي، قال: بخ^(٢)، ذاك المحسن المجلل الضارب المغني القائم بمجلسه لا يحوج أهل المجلس إلى غيره، ومن بأبي أنت؟ قلت: ابن مقامة، قال: لا والله ما سمعت هذا قط. فمن مقامة هذه؟ زامرة أم نائحة أم مغنية؟ قلت: لا ولكنها من الناس وليست من أهل صناعته، قال: ومن أيضاً بأبي أنت؟ قلت يحيى بن القاسم ابن أخي سلمة، قال: الذي كان له أخ يُعني مرتجلاً؟ قلت: نعم، قال: لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئاً قط. ولا أشك أن هذا كذلك لأنهما مؤدّباه.

(١) المَماطِر: مفردا مِمّطر ومِمّطرة، وهي ما يُلبس ليقى من المطر.

(٢) بخ: كلمة تقال عند الرضى والإعجاب بالشيء، أو الفخر والمدح.

وذكر ابن المكي، عن أبيه قال: قال المعتصم يوماً لجلسائه ونحن عنده: خلعت اليوم على فتى شريف ظريف نظيف حسن الوجه شجاع القلب، ووليته المصيبة ونواحيها، فقلنا: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: خالد بن يزيد بن يزيد، فقال علّويه: يا أحمد غنّ أمير المؤمنين صوتك في مدح خالد، فأمسكت عنه، فقال المعتصم: ما لك لا تجيبه؟ فقلت: يا أمير المؤمنين ليس هو مما يُعَنَّى بحضرة الخليفة، فقال: ما من أن تغنيه بُدّ، قال فغنّيته صنعةً لي في هذا الشعر:

صوت

عَلَّمَ النَّاسَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدٍ كُلَّ حِلْمٍ وَكُلَّ بَأْسٍ وَجُودٍ
فَتَرَى النَّاسَ هَيْبَةً حِينَ يَبْدُو مِنْ قِيَامٍ وَرُكْعٍ وَسُجُودٍ
[الخفيف]

فقال المعتصم: يا ثمامة خُذْ أحمد بالقاء هذا الصوت على الجوّاري في غدٍ. وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال: وغنى أبي يوماً محمداً الأمين:

صوت

فَعِشْ عَمْرَ نَوْحٍ فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طَوْلِهِ إِثْمٌ
تَسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْثَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعُرْبُ وَالْعُجْمُ
[الطويل]

فأمر له بخمسمائة دينار.

وتوفي أحمد بن يحيى المكي في خلافة المستعين في أولها أخبرني بذلك لحظة، عن محمد بن أحمد بن يحيى المكي أن أباه توفي في هذا الوقت.

طرائف بسبب شعر لجريز

صوت

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بَعَيْنَكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
غِيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
[الكامل]

غادروا: تركوا، والوشل: الماء القليل، والمعين: الماء الجاري الصافي،
وغِيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ أي كففنها ومسحها حتى تغيض.

الشعر لجريز والغناء لإسحاق رمل بالوسطى عن عمرو، وهو من طرائف أرمال
إسحاق وعيونها، وفيه لابن سريج ثقیل أول بالبنصر عن الهشامي وعمرو، وذكر
علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملًا آخر، وذكر عيسى أن الثقیل الأول لإبراهيم،
وأن فيه للهذلي ثاني ثقیل بالوسطى، ولإبراهيم أيضاً ماخوري بالبنصر.

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدثنا عبد الله بن
مسلم بن قتيبة:

أن هذين البيتين للمعلوط وأن جريراً سرقهما منه وأدخلهما في شعره.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي
وغيره قالوا:

غدا عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي على أبي السائب المخزومي في
منزله، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير:

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بَعَيْنَكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
[الكامل]

فحلف أبو السائب أن لا يردّ على أحد سلاماً ولا يكلمه إلا بهذين البيتين
حتى يرجع إلى منزله، فخرجا فلقيهما عبد العزيز بن المطلب وهو قاض وكان
يُدعيان القرينين لملازمتهم، فلما رأهما قال: كيف أصبح القرينان؟ فأنشده أبو

السائب البيتين ولم يردّ سلاماً، وجعل يغمز ابن جندب أن يخبره بالقصة، وابن جندب يتغافل، فقال لابن جندب: ما لأبي السائب، فجعل أبو السائب يغمز ابن جندب أن أخبره بيمينني، فقال ابن جندب: أحمد الله إليك، ما زلت منكراً لفعله منذ خرجنا. فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه، فصرفهم ودخل منزله مُعْتَمَماً، فلما أتى أبو السائب منزله وبرّت يمينه خرج إلى ابن جندب فقال: اذهب بنا إلى ابن المطلب فإني أخاف أن ردّ شهادتي، فاستأذنا عليه فأذن لهما، فقال له أبو السائب: قد علمت أعزك الله غرامي بالشعر، وإن هذا الضالّ جاءني حين خرجت من منزلي فأنشدني بيتين، فحلفت أن لا أرد على أحد سلاماً ولا أكلمه إلا بهما [حتى أرجع إلى منزلي] فقال ابن المطلب: اللهم غفراً، ألا تترك المعجون يا أبا السائب؟

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد المطلب بن عبد العزيز قال:

أنشدت أبا السائب قول جرير:

غِيَضَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي ماذا لقيت من الهوى ولقينا
[الكامل]

فقال: يا ابن أخي أتدري ما التّعْيِضُ؟ قلت: لا، قال: هكذا، وأشار بأصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا المدائني، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار، عن المدائني قال:

شهد رجل عند قاض بشهادة، فقليل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عتيق، فبعث إليه يسأله عنه، فقال: عدل رضى، فقليل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا ولكنني سمعته ينشد:

غِيَضَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي ماذا لقيت من الهوى ولقينا
[الكامل]

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة.

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالوا:

كان أبو السائب المخزومي واقفاً على رأس بئر فأنشده ابن جندب:

إن الذين غدوا بلُبِّكَ غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا

[الكامل]

فرمى بنفسه في البئر بثيابه فبعده لأي ما أخرجه .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا محمد بن الحسن الزرقى قال: حدثنا العلاء بن عمرو الزبيري من ولد عمرو بن الزبير قال: حدثنا يحيى بن أبي قتيلة قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام .

عن أشعب قال: جاءني فتية من قريش فقالوا لي: نُحِبُّ أَنْ تُسْمَعَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو صَوْتاً مِنَ الْغَنَاءِ وَتَعْلَمْنَا مَا يَقُولُ لَكَ، وَجَعَلُوا لِي فِي ذَلِكَ جُعْلاً، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَمْرٍو لِي مَجَالِسَةٌ وَحُرْمَةٌ وَمَوَدَّةٌ وَسِنٌّ وَأَنَا مَوْلَعٌ بِالتَّرْنَمِ، قَالَ: وَمَا التَّرْنَمُ؟ قُلْتُ: الْغَنَاءُ، قَالَ: وَفِي أَيِّ وَقْتٍ؟ قُلْتُ: فِي الْخُلُوةِ وَمَعَ الْإِخْوَانِ فِي الْخَارِجِ، وَأَحَبُّ أَنْ أُسْمِعَكَ، فَإِنْ كَرِهْتَهُ أَمْسَكَتُ عَنْهُ، ثُمَّ غَنَيْتُهُ فَقَالَ: مَا أَرَى بِأَسَاءً، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَعْلَمْتَهُمْ فَقَالُوا: وَمَا غَنَيْتُهُ؟ فَقُلْتُ: غَنَيْتُهُ:

قَرَبَا مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقَحْتُ حَرْبَ وَائِلٍ عَنْ حِيَالٍ
[الخفيف]

قالوا: هذا بارد لا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيت دفعهم إليّاي وخفت ذهاب ما جعلوا لي رجعتُ إليه فقُلْتُ: يَا أَبَا عَمْرٍو آخِرُ، قَالَ: مَا لِي وَلَكَ؟ وَلَمْ أُمْلِكْهُ أَمْرَهُ حَتَّى غَنَيْتُ فَقَالَ: مَا أَرَى بِأَسَاءً، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَعْلَمْتَهُمْ، قَالَوا: وَمَا غَنَيْتُهُ؟ قُلْتُ:

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا وَأَخُو الْحَرْبِ مِنْ أَطَاقِ النَّزُولِ
[الخفيف]

قالوا: وليس هذا بشيء، فرجعتُ إليه فقُلْتُ: آخِرُ، فَاسْتَكْفَنِي فَلَمْ أُمْلِكْهُ الْقَوْلَ حَتَّى غَنَيْتُهُ:

غَيَّضُنْ مِن عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
[الكامل]

فقال: مهلاً مهلاً، فقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا بِذَاكَ الَّذِي فِيهِ تَمْرٌ عَجُوزٌ مِنْ صَدَقَةِ عَمْرِ، فَقَالَ: هُوَ لَكَ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهِمْ بِهِ وَأَنَا أَخْطَرُ، فَقَالُوا: مَهْ، فَقُلْتُ أَطْرَبْتُ الشَّيْخَ حَتَّى أَعْطَانِي هَذَا - وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: حَتَّى فَرَضَ لِي هَذَا - قَالَ: وَوَاللَّهِ مَا فَعَلَ: وَإِنَّمَا

كان فدية لأصمّت، وأخذت منهم الجُعَل.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجّم قال: حَدَّثْتُ عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ:

حَدَّثَنِي عَلُوهُ الْأَعْسَرُ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَاكَ فِي دَارِهِ هَذِهِ يَوْمًا وَقَدْ بَنَى إِيَّانَهَا وَسَائِرُهَا خَرَابًا، فَجَلَسْنَا عَلَى تَلٍّ مِنْ تَرَابٍ فُغْنَانِي لِحْنِهِ فِي:

غَيَّضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
[الكامل]

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَعِيدَهُ عَلَيَّ فَفَعَلَ، وَأَتَانَا رَسُولُ أَبِيهِ بِطَبَقِ رُطْبٍ فَقَالَ لِلرَّسُولِ: قُلْ لَهُ سَأَرْسِلُ إِلَيْكَ بِرُطْبٍ أَطْيَبَ مِنَ الرُّطْبِ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ إِلَيَّ، فَأَبْلَغُهُ الرَّسُولُ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ عِنْدَهُ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّنِي عِنْدَهُ، فَقَالَ: مَا أَخْلَقَهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَانَا بِأَبْدَةٍ، ثُمَّ أَتَانَا رَسُولُهُ بَعْدَ سَاعَةٍ فَقَالَ: مَا آَنَ لِرُطْبِكُمْ أَنْ يَأْتِينَا؟ فَأَرْسَلَنِي إِلَيْهِ وَقَدْ أَخَذْتُ الصَّوْتِ فُغْنِيَّتَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ: أَجَادَ وَاللَّهِ، أَلَّامَ عَلَى هَذَا وَحُبَّهُ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ لِأَحَبِّتَهُ فَكَيْفَ وَهُوَ ابْنِي؟

صوت

أَلَسْتُ تَرَى يَا ضَبُّ بِاللَّهِ أَنَّنِي مُصَاحِبَةٌ نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَرْكُبَا
إِذَا قَطَعُوا حَزْنًا تَخُبُّ رِكَابَهُمْ كَمَا حَرَّكَتْ رِيحُ يَرَاعًا مُثَقَّبَا

[الطويل]

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ، وَالشَّعْرُ لِنَائِلَةِ بِنْتِ الْفَرَّافِصَةِ، وَالْغَنَاءُ لِابْنِ عَائِشَةَ وَلِحْنُهُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى، وَوَجَدْتُ فِي كِتَابِ بَخْطِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَنَّهُ مِمَّا نَحَلَهُ يَحْيَى الْمَكِّي لَابْنَ عَائِشَةَ.

أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها

هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو، وقيل: ابن عَفْر بن ثعلبة، وقيل عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضَمَضَم بن عدي بن جناب الكلبيّة، زوجة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان.

أخبرني بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال:

تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة، فبلغ ذلك عثمان - رضي الله عنه - فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإنه قد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب، فاكتب إليّ بنسبها وجمالها. فكتب إليه: أما بعد فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص، وجمالها أنها بيضاء مديدة القامة. فكتب إليه: إن كانت لها أخت فزوجنيها. فبعث سعيد إلى الفرافصة يخطب إحدى بناته على عثمان، فأمر الفرافصة ابنه ضَبّاً فزوجها إياه، وكان ضَبّ مسلماً وكان الفرافصة نصرانياً، فلما أرادوا حملها إليه قال لها أبوها: يا بنية إنك تقدّمين على نساء من نساء قريش هنّ أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شَنْ أصابه مطر، فلما حُمِلَتْ كرهت العُربة وحزنت لفراق أهلها فأنشأت تقول:

أَلَسْتَ تَرَى يَا ضَبُّ بِاللَّهِ أَنِّي مَصَاحِبَةٌ نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَرْكُبَا
إِذَا قَطَعُوا حَزْناً تَخُبُّ رِكَابَهُمْ كَمَا زَعَزَعْتَ رِيحٌ يَرَاعَا^(١) مُثَقَّبَا
لَقَدْ كَانَ فِي أَبْنَاءِ حِصْنِ بَنِ ضَمَضَمٍ لَكَ الْوَيْلُ مَا يَغْنِي الْخَبَاءُ^(٢) الْمُطَنَّبَا^(٣)

[الطويل]

فلما قدمت على عثمان - رضي الله عنه - قعد على سريرته ووضع لها سريراً

(١) البراع: المثقّب: كناية عن القصب الذي يزمّر به الراعي.

(٢) الخباء: ضرب من الخيم.

(٣) المُطَنَّب: المشدود بأطنابه.

حياله، فجلست عليه، فوضع عثمان قَلَنْسِيَّتَه فبدا الصَّلَع فقال: يا بنت الفرافصة، لا يَهْوَلَنَّكَ ما ترين من صلعي فإن وراءه ما تُحِبِّين، فسكتت، فقال: إِمَّا أَنْ تَقُومِي إِلَيَّ وإِذَا أَنْ أَقُومَ إِلَيْكَ، فقالت: أما ما ذكرت من الصلَع فإنني من نساء أحبُّ بعولتهن إليهن السادة الصُّلَع، وأما قولك إِمَّا أَنْ تَقُومِي إِلَيَّ وإِذَا أَنْ أَقُومَ إِلَيْكَ، فواللَّهِ ما تَجَشَّمت من جَنَبات السَّماوة أبعدُ مما بيني وبينك، بل أقوم إليك، فقامت فجلست إلى جنبه، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة ثم قال لها: اطرحي عنك رداءك، فطرحت، ثم قال لها: اطرحي خِمَارَك، فطرحت، ثم قال لها انزعِي دِرْعَكَ فنزعته، ثم قال: حُلِّي إزارك، فقالت: ذاك إليك، فحلَّ إزارها، فكانت من أحظى نسائه عنده.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد عن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير.

عن أبي الجراح مولى أم حبيبة قال: كنت مع عثمان - رضي الله عنه - في الدار فما شعرت وقد خرج محمد بن أبي بكر ونحن نقول هم في الصُّلَح، وإذا بالناس قد دخلوا من الخَوْخَة ونزلوا بأمراس الحبال من سور الدار معهم السيوف، فرميت بسيفي وجلست عليه وسمعت صياحهم، فكأنني أنظر إلى مصحف في يد عثمان وإلى حُمْرة أديمه، فنشرت نائلة بنت الفرافصة شعرها، فقال لها عثمان: خذي خمارك فلعمري لدخولهم عليَّ أعظمُ من حرمة شعرك، وأهوى رجل إليه - رضي الله عنه - بالسيف فاتَّقته بيدها فقطع أصبعين من أصابعها، ثم قتلوه وخرجوا يكبرون، ومرَّ بي محمد بن أبي بكر فقال: ما لك يا عبدُ أمِّ حبيبة؟ ومضى فخرجت.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن حكيم الطائي، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال:

لما قُتِل عثمانُ رحمة الله عليه قالت نائلة بنت الفرافصة:

ألا إنَّ خيرَ الناس بعد ثلاثة قتلُ التُّجِيبِي الذي جاء من مَضَرِ
وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غُيِّبَتْ عَنَّا فضولُ أبي عمرو
[الطويل]

هكذا في الرواية، وقد قيل: إن هذين البيتين للوليد بن عقبة.

أخبرني أحمد قال: حدثني عُمر قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبي مِخْنَف، عن ثُمير بن وَعْلة، عن الشَّعْبِي. ومسلمة بن محارب، عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية:

أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبي سفيان وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة: من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم النعمة، وأنشدكم بالله عز وجل، وأذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه، وبعزمة الله عليكم، فإنه قال: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا» وإن أمير المؤمنين ممن بُغِيَ عليه، ولو لم يكن له عليكم حقٌ إلَّا حقُّ الولاية ثم أتى إليه ما أتى لِحَقِّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لِقَدَمِهِ في الإسلام وحسن بلائه، وإنه أجاب داعي الله وصدق رسوله والله أعلم به إذ انتخبه فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة، وإنني أقص عليكم خبره لأنني كنت مشاهدة أمره كله حتى أفضي إليه. إن أهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلهم ونهارهم، قياماً على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شيء قدروا عليه، حتى منعه الماء، يُحْضِرُونَهُ الأذى ويقولون له الإفك، فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وكان عليّ مع المحرّضين من أهل المدينة، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به، فظَلَّتْ تقاتل خُزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من مُزينة وجُهينة وأنباط يثرب ولا أرى سائرهم، ولكني سميت لكم الذين كانوا أشدَّ الناس عليه في أول أمره وآخره، ثم إنه رُمِيَ بالنبل والحجارة، فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه ليأذن لهم في القتال فنهاهم عنه، وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم، فردوها إليهم، فلم يزددهم ذلك على القتال إلَّا جَرَاءة، وفي الأمر إلَّا إغراء ثم أحرقوا باب الدار. فجاءه نفر من أصحابه فقالوا: إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك، فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحه القوم مُظَلَّةً عليه من كل ناحية، وما أرى أحداً يعدل، فدخل الدار، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس درعه وقال لأصحابه لولا أنتم ما لبست درعاً، فوثب عليه القوم، فكلّمهم ابنُ الزبير وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة بعث بها إلى عثمان: أنَّ عليكم عهدَ الله وميثاقه ألا تغزوه بشيء، فكلّموه وتحرّجوا، فوضع السلاح، فلم يكن إلَّا وضعه حتى دخل عليه القوم يقدّمهم ابن أبي بكر، حتى أخذوا بلحيته ودعّوه باللقب فقال: أنا عبد الله وخليفته، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في

صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مُقدّم الجبين فوق الأنف ضربة أسرع في العظم، فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبه بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه، فتوطينا وطأ شديداً وعرينا من ثيابنا، وحُرمة أمير المؤمنين أعظم، فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه، وقد أرسلت إليكم بثوبه وعليه دمه، وإنه والله لئن كان أثم من قتلته لما سلم من خذله، فانظروا أين أنتم من الله جلّ وعزّ، فإننا نشكو ما مسنا إليه، ونستنصر وليه وصالح عباده، ورحمة الله على عثمان، ولعن الله من قتله، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة، وشفى منهم الصدور.

فحلف رجال من أهل الشام ألا يطؤوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم.

صوت

فيا راكباً إمّا عرضت فبلّغن
أبا كرب والأئهمين كليهما
وتضحك منّي شيخه عبشميّة
أقول وقد شدوا لساني بنسعة
نداماي من نجران أن لا تلاقيا
وقيسا بأعلى حزموت اليمانيا
كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا
أمعشر تيم أطلقوا عن لسانيا
[الطويل]

الشعر لعبد يغوث بن صلاء الحارثي، والغناء لإسحاق ثقيّل أول.

أخبار عبد يغوث ونسبه

هو عبد يغوث بن صلاء، وقيل: بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاء، وهو قول ابن الكلبي، ابن المَعْقِل واسم المعقل ربعة بن كعب الأرت بن ربعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. قال ابن الكلبي: قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، قال: وكان يقال ليعرب: المُرْعَف.

وكان عبد يغوث بن صلاء شاعراً من شعراء الجاهلية فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم في يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أُسر فقتل.

وعبد يغوث من أهل بيت شعر مُعْرِق لهم في الجاهلية والإسلام، منهم اللّجلاج الحارث وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاء، وأخوه مُسْهِر فارس شاعر، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فَيْفِ الرياح، ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلَيَّة بن ربعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاء، وكان فارساً شاعراً صعلوكاً، أخذ في دم فحُبس بالمدينة ثم قُتل صَبْراً، وخبره يذكر منفرداً لأن له شعراً فيه غناء.

والشعر المذكور في هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاء يقوله في يوم الكلاب الثاني، وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزا بني تميم فظفرت به بنو تميم وأسرّوه وقُتل يومئذٍ.

يوم الكلاب الثاني:

وكان من حديث هذا اليوم فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء وهشام بن الكلبي عن أبيه والمفضل بن محمد الضبي وإسحاق بن الجصاص عن العنبري قالوا:

لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصَّفْقَة بالمُشَقَّر فقتل المُقاتلة وبقيت الأموال

والذراري بلغ ذلك مَذْحِجاً، فمَشَى بعضهم إلى بعض وقالوا: اغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قُضَاعَةَ فقالت مَذْحِجٌ للمأمور الحارث وهو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم فإنهم يسيرون أعقاباً^(١) ويردون مياهاً جِباباً^(٢) فتكون غنيمتكم ثُراباً. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مَذْحِجٍ وَلِفْها اثنا عشر ألفاً، وكان رئيس مَذْحِجٍ عبد يغوث بن صلاة، ورئيس همدان يقال له مُسَرِّحٌ، ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحارث، فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعداً والرَّباب، فانطلق ناس من أشrafهم إلى أَكْثَم بن صَيْفِي، وهو قاضي العرب يومئذٍ، فاستشاروه، فقال لهم: أَقِلُّوا الخِلافَ على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يَعْجِزُ لا المحالة. يا قوم تثبَّتوا فإنَّ أَحْزَمَ الفريقين الرُّكَّين، وربَّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْثاً، وأتْزروا للحرب، وأدْرعوا الليل فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف.

فلما انصرفوا من عند أَكْثَم تهيَّؤوا واستعدوا للحرب، وأقبل أهل اليمن من بني الحارث، من أشrafهم: يَزِيد بن عبد المَدان ويزيد بن مُخَرَّم ويزيد بن الطيثم بن المأمور ويزيد بن هُوَيْر، حتى إذا كانوا بَيْتَمَنَ نزلوا قريباً من الكلاب، ورجل من بني زيد بن رِيَّاح بن يربوع يقال له مُشَمَّت بن زِنْبَاع في إبل له عند خالٍ له من بني سعد يقال له زهير بن بَوٍّ، فلما أبصرهم المُشَمَّت قال لزهير: دونك الإبل وتنحَّ عن طريقهم حتى آتي الحيَّ فأُنذرهم، قال: فركب المُشَمَّت ناقة ثم سار حتى أتى سعداً والرَّباب وهم على الكلاب فأُنذرهم، فأعدوا للقوم. وصَبَّحَهم فأغاروا على النعم فطردوها، وجعل رجل [من أهل اليمن] يرتجز ويقول:

في كلِّ عامٍ نَعَمٌ نُنْتابُهُ على الكلابِ غِيَّاباً أَرْبابُهُ
[الرجز]

قال: فأجابه غلام من بني سعد كان في النعم على فرس له فقال:

عما قليل سَتُرى أَرْبابُهُ صُلْبَ القناةِ حازِماً شَبابُهُ
على جِيادِ ضُمَرٍ^(٣) عِرَابُهُ

[الرجز]

قال: فأقبلت سعد والرَّباب، ورئيس الرَّبابِ النُّعْمان بن جَسَّاس، ورئيس بني سعدٍ قيسُ بن عاصم المِنْقَرِي [قال أبو عبيدة: أجمع العلماء على أن الرئيس كان

(١) أعقاب: واحد تلو الآخر.

(٢) الجِباب: مفردها الجُب وهو البئر الكثيرة الماء.

(٣) العِرَاب: الفرس السليم من الهجئة.

يومئذ قيس بن عاصم] فقال [رجلٌ] ضَيَّ حين دنا من القوم .

في كلِّ عام نَعَم تَحْوُونَهُ يُلْقِجُه قَوْمٌ وَتُنْتِجُونَهُ
أربابه نَوَكِي^(١) فلا يَحْمُونَهُ ولا يُلاقون طِعَاناً دُونَهُ
أَنَعَم الأبناء تَحْسَبُونَهُ هيهات هيهات لما تَرْجُونَهُ

[الرجز]

فقال ضمرة بن لبید الحِمَاسِيّ: انظروا إذا استقمت النعم، فإن أتنكم الخيل عُصْباً عُصْباً وثبتت الأولى للأخرى حتى تلحق فإن أمر القوم هَيِّنٌ، وإن لحق بكم القوم فلم ينظروا إليكم حتى يَرُدُّوا وجوه النعم ولا ينتظر بعضهم بعضاً فإن أمر القوم شديد، وتقدمت سعد والرباب فالتقوا في أوائل الناس، فلم يلتفتوا إليهم، واستقبلوا النعم من قبل وجوها فجعلوا يَصْرِفونها بأرماحهم، واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم، حتى إذا كان من آخر النهار قُتِلَ النعمان بن جَسَاسٍ، قتله رجل من أهل اليمن كانت أمه من بني حنظلة يقال له عبد الله بن كعب، وهو الذي رماه، فقال للنعمان حين رماه: خذها وأنا ابن الحَنْظَلِيَّة، فقال النعمان: ثكلتك أمك، رب حنظلية قد غاظتني، فذهبت مثلاً، وظن أهل اليمن أن بني تميم سيهزمهم قتل النعمان، فلم يزداهم ذلك إلا جَرَاءة عليهم، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل، فباتوا يحرس بعضهم بعضاً، فلما أصبحوا غَدَوْا على القتال، فنَادَى قيس بن عاصم: يا لَ سَعْد، ونَادَى عبد يغوث: يا لَ سَعْد. قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم، وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة، فلما سمع ذلك قيس نادى: يا لَ كَعْب، فنَادَى عبد يغوث: يا لَ كَعْب. قيس يدعو كعب بن سعد، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو، فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال: ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دعوا بمثله، فنَادَى قيس: يا لَ مُقَاعَس، يعني بني الحارث بن عمرو بن كعب، وكان يلقب مُقَاعَساً، فلما سمع وعَلَّة بن عبد الله الجَرْمِيّ الصوتَ وكان صاحب اللواء يومئذٍ طرحه، وكان أول من انهزم من اليمن، وحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم أفضع هزيمة، وجعل رجل منهم يقول:

يا قوم لا يُفْلِتْكُمْ اليزيدان [يزيد حَزَنٌ ويزيد الرِّيانُ]
مُخَرِّمًا أعني به والدَيَّان

[الرجز]

(١) نوكي: حمقى.

وجعل قيس بن عاصم ينادي: يا ل تميم لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرِّجالة لكم،
وجعل يرتجز ويقول:

لما تَوَلَّوْا عَصَباً شَوَازِباً^(١) أقسمتُ لا أظعن إلا راكباً
إني وجدت الطعن فيهم صائباً

[الرجز]

وجعل يأخذ الأسارى، فإذا أخذ أسيراً قال له: ممن أنت؟ فيقول: من بني
زَعْبَل وهو زَعْبَل بن كعب أخو الحارث بن كعب وهم أنذال، فكان الأسارى يريدون
بذلك رخص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيراً منهم دَفَعَه إلى من يليه من بني تميم
ويقول: أمسك حتى أصطاد لك زَعْبَلَة أخرى، فذهبت مثلاً، فما زالوا في آثارهم
يقتلون ويأسرون حتى أسِرَ عبد يغوث. أسره فتى من بني عُمَيْر بن عبد شمس، وقُتِل
يومئذٍ علقمة بن سَبَّاح القريعي، وهو فارس هُبُود، وهُبُود فرس عمرو بن الجُعَيد
المُرادي، وأسر الأَهم - واسمه سنان بن سُمَي بن خالد بن منقر، ويومئذٍ سُمَي
الأَهم - رئيس كندة البراء بن قيس، وقتلت التَّيْم الأَدبر الحارث وآخر من بني
الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جِساس [قبل أن يُقتل] وقتل يومئذٍ من
أشرافهم خمسة. وقتلت بنو ضَبَّة ضَمْرَة بن لبيد الحِماسي الكاهن قتله قبيصة بن
ضِرار بن عمرو الضُّبي.

وأما عبد يغوث فانطلق به العَبشميُّ إلى أهله، وكان العَبشمي أهوج^(٢)، فقالت
له أمه ورأت عبد يغوث عظيمًا جميلًا: من أنت؟ قال: أنا سيّد القوم، فضحكت
وقالت: قَبِّحَكَ اللَّهُ من سيّد قوم حين أسرك هذا الأهوج. فقال عبد يغوث:

وتضحك مني شيخة عَبْشَمِيَّةُ كأن لم تَرَي قُبلي أسيراً يمانياً
[الطويل]

ثم قال لها: أيتها الحرة، هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أعطي ابنك
مائة من الإبل وينطلق بي إلى الأَهم فإنني أتخوَّف أن تنتزعني سعدٌ والربابُ منه،
فضمن لها مائة من الإبل وأرسل إلى بني الحارث فوجَّهوا بها إليه، فقبضها العَبشميُّ،
وانطلق به إلى الأَهم، وأنشأ عبد يغوث يقول:

أَهمُّ يا خير البريَّة والدَّاءُ ورهطاً إذا ما الناس عَدُّوا المساعيا

(١) الشواذب: الضوامر من الناس وغيرهم مفردها الشاذب.

(٢) أهوج: الأبيض الطويل مع حمق.

تَدَارَكَ أَسِيرًا عَانِيًا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تُثَقِّفَنِي التِّيمَ أَلَقَ الدَّوَاهِيَا
[الطويل]

فمشت سعد والرباب فيه، فقالت الرِّبَاب: يا بني سعد قُتِلَ فَارِسُنَا وَلَمْ يُقْتَلْ لَكَ
فَارِسٌ مَذْكُورٌ، فدفعه الأَهِمُّ إِلَيْهِمْ فَأَخَذَهُ عِصْمَةٌ بَنُ أَبِي الرَّبَابِ التِّيمِي فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ،
فَقَالَ عَبْدُ يَغُوثَ: يَا بَنِي تَيْمٍ اقْتُلُونِي قِتْلَةً كَرِيمَةً، فَقَالَ لَهُ عِصْمَةٌ: وَمَا تِلْكَ الْقِتْلَةُ؟
قَالَ: اسْقُونِي الْخَمْرَ وَدَعُونِي أَنْحُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ عِصْمَةٌ: نَعَمْ، فَسَقَاهُ الْخَمْرَ ثُمَّ
قَطَعَ لَهُ عِرْقًا يُقَالُ لَهُ الْأَكْحَلُ وَتَرَكَهُ يُنْزِفُ، وَمَضَى عَنْهُ عِصْمَةٌ وَتَرَكَ مَعَهُ ابْنَيْنِ لَهُ
فَقَالَا: جَمَعْتَ أَهْلَ الْيَمَنِ وَجِئْتَ لِتَصْطَلِمَنَا فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَنَعَ بِكَ؟ فَقَالَ
عَبْدُ يَغُوثَ فِي ذَلِكَ:

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا
فِيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرْضَتْ فَبَلَّغُنْ
أَبَا كَرِبٍ وَالْأَيَّهْمِينَ كُلِيهِمَا
جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكُلَابِ مَلَامَةً
وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتُ مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً
وَلَكِنِّي أَحْمِي ذِمَارًا^(١) أَبِيكُمْ
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ
وَقَدْ عَلِمْتَ عِرْسِي^(٢) مُلِيكَةً أَنَّنِي
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ^(٣)
أَمْعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكَتُمْ فَأَسْجَحُوا
أَحَقًّا عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا
وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمَعْمَلِ الْـ
وَأَنْحَرَ لِلشَّرْبِ الْكَرَامَ مَطِيَّتِي
وَعَادِيَّةِ سَوْمِ الْجَرَادِ وَرَزْعَتِهَا

(١) الذِّمَارُ: هُوَ مَا يَلْزِمُكَ حِفْظُهُ وَحِمَايَتُهُ. (٢) الْعِرْسُ: الزَّوْجُ.

(٣) النَّسْعَةُ: النَّسْعُ: سَبْرٌ عَلَى هَيْئَةِ أَعْنَةِ النِّعَالِ تَشَدُّ بِهِ الرَّحَالُ وَالْقِطْعَةُ مِنْهُ: النَّسْعَةُ.

(٤) الْبَوَاءُ: السَّوَاءُ وَالْكَفُّ.

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلَ لَخَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا
وَلَمْ أَسْبَأِ الزَّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلَ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا
[الطويل]

قال: فضحكت العيشمية، وهُم آسروه: وذلك أنه لما أُسر شدّوا لسانه بنسعة
لثلا يهجوهم وأبوا إلا قتله، فقتلوه بالنعمان بن جساس، فقالت صفية بنت الخُرع
ترثي النعمان:

نِطَافُهُ هُنْدَوَانِيَّ وَجُبَّتْهُ فَضْفَاضَةٌ كَأُضَاةِ النَّهْيِ مَوْضُونُهُ^(١)
[غابت تميم فلم تشهد فوارسها ولم يكونوا غداة الروع يُخزُونُهُ]
لَقَدْ أَخَذْنَا شِفَاءَ النَّفْسِ لَوْ شَفِيت وَمَا قَتَلْنَا بِهِ إِلَّا امْرَأً دُونَهُ
[البسيط]

وقال علقمة بن سباع لعمر بن الجعيد:

لَمَّا رَأَيْتَ الْأَمْرَ مَخْلُوجَةً^(٢) أَكْرَهْتَ فِيهِ ذَابِلًا مَارِنًا^(٣)
قُلْتَ لَهُ خُذْهَا فَإِنِّي امْرُؤٌ يَعْرِفُ رُمَحِي الرَّجُلَ الْكَاهِنَا
[السريع]

قوله: يعرف رمحي الرجل الكاهنا، يريد أن عمرو بن الجعيد كان كاهناً، وهو
أحد بني عامر بن الدَّيْل بن شَنّ بن أَفْصَى بن عبد القيس، ولم يزل ذلك في ولده،
ومنهم الرِّبَاب بن البراء كان يتكهن ثم طلب خلاف أهل الجاهلية فصار على دين
المسيح عليه السلام، فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه منادياً ينادي في
الليل وذلك قبل مبعث النبي ﷺ: «خير أهل الأرض رَبَابُ الشَّشْنِي وَبَحِيرَا الرَّاهِبِ وَآخِرُ
لَمْ يَأْتْ بَعْدُ». قال: وكان لا يموت أحد من ولد الرِّبَابِ إِلَّا رَأَوْا عَلَى قَبْرِهِ طَشًا^(٤).
ومن ولده مَخْرَبَةٌ وهو أحد أجواد العرب وإنما سُمي مَخْرَبَةً لِأَن السِّلَاحَ خَرَبَهُ^(٥) لكثرة
لبسه إياه، وقد أدرك النبي ﷺ وأرسله إلى ابن الجُلَنْدِي العُمَانِيّ. وابنه المَثْنَى بن
مَخْرَبَةٍ أحد وجوه أصحاب المُخْتَار، وكان قد وَجَّهَهُ إِلَى البَصْرَةِ لِيَأْخُذَهَا فَحَارَبَهُ
عَبَادُ بن الحُصَيْن فهزمه، وكان ابنه بَلْجُ بن المثنى جواداً، وفيه يقول بعض شعراء
عبد القيس:

(٢) المخلوجة: الطعنة ذات اليمين وذات الشمال.

(٤) الطَّش: المطر.

(١) الموضونة: الدرع المنسوجة.

(٣) المارن: الرمح الصلب اللدن.

(٥) خَرَبَهُ: ثَقَبَهُ وشقّه لكثرة لبسه إياه.

أَلَا يَا بَلُجُ بَلُجَ بَنِي الْمُثَنَّى وَأَنْتَ لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ كِفَاءُ
أَلَوْمُكَ طَائِعاً مَا دَمْتُ حَيًّا؟ عَلَيَّ إِذَا مِنْ أَلَلِّهِ الْعَفَاءُ
كَفَى قَوْماً مَكَارِمَ ضَيَّعُوهَا وَأَحْسَنَ حِينَ أَبْصَرَهُمْ أَسَاؤُهَا
[الوافر]

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوث والوقعة

قال: فأما وُعْلَةُ بن عبد الله الجرّمي فإنه لحقه رجل من بني سعد فَعَقَّرَ به فنزل وجعل يُحْضِرُ على رجليه، فلحق رجلاً من بني نَهْدٍ يقال له سَلِيطُ بن قَتَبٍ من بني رفاعَةَ فقال له لما لحقه: أردفني، فأبى فطرحه عن فرسه وركب عليها، وأدركت الخيلُ النَّهْدِيَّ فقتلوه، فقال وُعْلَةُ في ذلك:

ولما سمعتُ الخيلَ تدعو مُقَاعَسَا علمتُ بأنَّ اليومَ أغْبِرُ فاجِرُ
نَجُوتُ نَجَاءٍ لَيْسَ فِيهِ وَتِيرَةٌ كأني عِقَابٌ دُونَ تَيْمَنٍ كَاسِرُ
خُدَارِيَّةَ صَقْعَاءَ لَبَدٍ رِيَشَهَا بِطُخْفَةٍ^(١) يَوْمَ ذُو أَهَاضِيبٍ^(٢) مَاطِرُ
وقد قلتُ للنَّهْدِيَّ هل أنت مُردفي وكيف رَدَّافُ الْفَلِّ أُمِّكَ عَائِرُ
فإن أستطعُ لَا تَلْتَبَسُ بي مَقَاعَسُ وَلَا يَرْنِي بِأَدْيِهِمُ وَالْحَوَاضِرُ
فِدَى لِكَمَا رَحَلِي وَأُمِّي وَخَالَتِي غَدَاةَ الْكُلَّابِ إِذْ تُحَزُّ^(٣) الْحَنَاجِرُ
فمن كان يَرْجُو في تَمِيمٍ هَوَادَةً فَلَيْسَتْ لَجَرْمٍ في تَمِيمٍ أَوَاصِرُ
[الطويل]

وقالت نائحة عمرو بن الجعيد:

أَشَابَ قَذَالٌ^(٤) الرَّأْسِ مَصْرَعُ سَيِّدٍ وَفَارِسُ هَبُّودٍ^(٥) أَشَابَ النَّوَاصِيَا
[الطويل]

وقال مُحَرِّزُ بن مُكْعَبِ بْنِ الضَّبِّي:

فِدَى لِقَوْمِي مَا جَمَعْتُ مِنْ نَشَبٍ إِذْ سَاقَتِ الْحَرْبُ أَقْوَاماً لِأَقْوَامِ
قَدْ حَدَّثْتُ مَذْجِجَ عَنَا وَقَدْ كَذَبْتُ أَنْ لَا يُورَّعَ عَنْ نَسْوَانَنَا حَامِي

(١) الطُّخْفَةُ: جبلٌ أحمَرُ طَوِيلٌ، حذاءه آبارٌ ومنهل.

(٢) الْأَهَاضِيبُ: جمع الجمع لكلمة هَضَابٌ، واحدها الهَضْبَةُ وهي المطرة.

(٣) تُحَزُّ: تَقَطَّعُ.

(٤) الْقَذَالُ: جماع مؤخر الرأس جمعها قُدُلٌ وأقْدِلَةٌ.

(٥) الْهَبُّودُ: رجلٌ، والمعنى هنا اسم فرسٍ للشاعر.

ضربُ يَصْبَحُ منهم مَسْكَنُ الهام
فقد جعلنا لهم يوماً كأيامِ
والحموهن^(١) منهم أيّ إلحامِ
وهم يومُ بني نَهْدٍ بإِظلامِ
[البسيط]

دارت رَحَاهُمْ قليلاً ثم واجهَهُمْ
ساروا إلينا وهم صِيدُ رؤُوسِهِمْ
ظَلَّتْ ضِبَاعُ مُجِيرَاتٍ يَعْدُنَهُمْ
ظلت تدوس بني كعب بكلكلها^(٢)

وقال أوس بن مَعْرَاء:

قبائلُ أقبلوا متناسبينا
وهمدانٍ وكندةٌ أجمعينا
على حَرْدٍ جميعاً قادرينا
ولم نسألَهُمْ أَنْ يُمهِّلونا
شريدَهُمْ شَعاعاً هاربينا
لدينا منهم مُتَخَشِّعينا
[الوافر]

وفي يوم الكُلاب إذا اعترثنا
قبائل مَذْحِجٍ اجتمعت وجرم
وَحُمَيْرِ ثم ساروا في لُهامِ
فلما أن أتونا لم نُكْذِبْ
قتلنا منهم قتلَى وولَى
وفاضت منهم فينا أسارى

وقال ذو الرُّمَّة غِيلان بن عُقبة في ذلك:

وسعدُهُمُ الرأسُ الرئيس المؤمَّرُ
ضِرَارُ بنو القَوْمِ الأغرِّ ومنقَرُ
قد احتزَّ عُرْشِيهِ الحسام المذكَرُ
[الطويل]

وعمي الذي قاد الرِّباب جماعةً
عشيّة أعطتْنا أَرْمَةً أمرها
وعبدُ يغوثٍ تحجّل الطيرُ حوله

العُرْشان: عرقان في العنق:

قَضَى نَحْبَهُ في معرك الخيل هَوْبُرُ^(٣)
ولا وَرَزَّ إِلَّا النَّجَاءُ المُشْمَرُ
بنا يَسْمَعُ الصوتَ الأنامِ ويُبْصِرُ
ونُضْعِفُ أحياناً ولا نتمَضَّرُ
[الطويل]

عَشِيَّة فرَّ الحارثيون بعدما
وقال أخو جَرْمٍ ألا لا هوادة^(٤)
أبى الله إِلَّا أَننا آلَ خُنْدِفٍ
إذا ما تَمَضَّرنا فما الناس غيرُنا

(٢) الكَلْكَل: الصدر، أو ما بين الترقوتين.

(١) الحموهن: أطعموهن اللحم.

(٣) الهوبُر: فهد أو جروه أو القرد الكثير الشعر.

(٤) الهوادة: اللين، والرخصة، وما يرجى به الصلاح.

وقال ذو الرمة أيضاً:

فما شهدت خيل امرئ القيس غارة
أثرنا به نَقَعَ الكُلاب وأنتم
أدركنا على جَرَمٍ وأفناءٍ مَذْحِجٍ
صَدَمْنَاهُمْ دُونَ الْأَمَانِيِّ صَدْمَةٍ
إِذَا نَطَحَتْ شُهْبَاءُ شُهْبَاءَ بَيْنَهَا

وقال البراء بن قيس الكندي:

قَتَلْنَا تَمِيمٌ يَوْمًا جَدِيدًا
يَوْمَ جِئْنَا يَسُوقُنَا الْحَيْنُ سَوْقًا
سَرْتُ فِي الْأَزْدِ وَالْمَذَاحِجِ طُرًّا
وَبَنِي كِنْدَةَ الْمَلُوكِ وَلِخَمٍ
وَمُرَادٍ وَخَثْعَمٍ وَزُبَيْدٍ
وَحَشَدْنَا الصَّمِيمَ نَرْجُو نَهَابًا
لَقِيتْنَا أَسْوَدَ سَعْدٍ وَسَعْدٍ
تَرْكُونِي مُسَهَّدًا فِي وَثَاقٍ
خَائِفًا لِلرَّدَى وَلَوْلَا دِفَاعِي
لَسَقَيْتُ الرَّدَى وَكُنْتُ كَقَوْمِي
تَذْرِفُ الدَّمَاعَ بِالْعَوِيلِ نِسَائِي
فَلِعَيْنِي عَلَى الْأُولَى فَارِقُونِي
كَيْفَ أَبْغِي الْحَيَاةَ بَعْدَ رَجَالٍ
مِنْهُمْ الْحَرِثِيُّ عَبْدُ يَغُوثٍ
فِي مِئِينَ نَعْدُهَا وَمِئِينَ
بِرَجَالٍ مِنَ الْعَرَانِينَ شُمَّ

قَتَلَ عَادٍ وَذَاكَ يَوْمَ الْكُلابِ
نَحْوُ قَوْمٍ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ غَابِ
وَبَكِيلٍ وَحَاشِدَ الْأَثْيَابِ
وَجُذَامٍ وَحَمِيرَ الْأَرْبَابِ
وَبَنِي الْحَارِثِ الطَّوَالِ الرَّغَابِ
فَلَقِينَا الْبَوَارَ دُونَ النَّهَابِ
خُلِقْتُ فِي الْحُرُوبِ سَوْطُ عَذَابِ
أَرْقُبُ النِّجْمَ مَا أُسِيغُ شَرَابِي
بِمِئِينَ عَنْ مُهْجَتِي كَالْهَضَابِ
فِي ضَرِيحٍ مُغَيَّبًا فِي التَّرَابِ
كَنَسَاءٍ بَكَتْ قَتِيلَ الرُّبَابِ
دُرَّرَ مِنْ دَمُوعِهَا بَانَسْكَابِ
قُتِلُوا كَالْأَسْوَدِ قَتَلَ الْكُلابِ
وَيَزِيدُ الْفَتَيَانَ وَابْنُ شِهَابٍ
بَعْدَ أَلْفِ مُنُوا بِقَوْمِ غَضَابِ
أُسْدٍ حَرْبٍ مُمَحْوِضَةِ الْأَنْسَابِ

[الخفيف]

(١) المعازق: مفردها المعزقة، وهي آلة كالقدوم أو أكبر لعزق الأرض.

وقال وعلة بن عبد الله الجرمي:

عذلتني نَهْدٌ فقلتُ لنَهْدٍ
يوم كُنَّا لَدَيْهِمْ طَيْرَ مَاءٍ
لا تلوموا على الفِرَارِ فسعدُ
إنَّما هُمُها الطَّعَانُ إذا ما
تركوا مَذْحِجاً حديثاً مُشاعاً
يالَ قحطانَ وادْعُوا حيَّ سعد
إنَّ سعدَ السَّعُودِ أَسَدُ غِيَاضٍ
فضحتُ بالكُلابِ حارِ بنِ كعب
أسلموا للمُنُونِ عبدَ يغوثٍ
بعد ألفِ سُقُوا المنيَّةَ صِرْفاً^(٢)
ليت نَهْداً وجَرَمَها ومُراداً
عن تميم فلم تكن فَتَقَعَ قاع
قل لبكرِ العراقِ يَستَرِ عَمراً
عن تميمٍ ولو غزتها لكانت

حين حاستُ على الكُلابِ أخاها
وتميمٌ صُقُورُها وبُزَاها
يالَ نَهْدٍ يخافُها مَنْ يَراها
كرة الطعن والضَّرابِ سواها
مثل طَسَمٍ وجميرٍ وصُداها
وابتغوا سِلْمَها وفضلَ نَداها
باسلٍ بأُسُها شديدٌ قَواها
وبنو كندة الملوكة إِمَها
ويعضُّ الكَبُولَ^(١) حولاً يَراها
فأصابَتْ في ذاك سعدٌ مُناها
والمذاحيجُ ذو أناة نَهاها
تبتدِرها ربابها ومَناها
عمرو قيس فرأى عمرو قَراها
مثل قحطان مُستباحا حِماها
[الخفيف]

(١) الكَبُولُ: القيود، مفردُها: الكبل.

(٢) الصِّرف: الخالص.

أخبار ذات الخال

صوت

ما بال شمس أبي الخطاب قد حُجِبَتْ
أولاً فما بال ريح كنتُ آنسُها
إليك أشكو أبا الخطاب جارية
وأنتَ قَيِّمُها فانظُرْ لعاشِقِها
أظنَّ يا صاحبي الساعة اقترَبَتْ
عادتُ عليَّ بِصِرٍّ بعد ما جَنَبَتْ
غَريرةً بفؤادي اليومَ قد لَعِبَتْ
يا ليتها قربتُ مني وما بعدَتْ
[البسيط]

عروضه من البسيط، الشعر والغناء لإبراهيم الموصلي رمل بالنصر عن الهشامي وعليّ بن يحيى، وذكر محمد بن الحارث بن بسْخُنَر أن فيه هزجاً بالنصر لإبراهيم بن المهدي، وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلي أيضاً.

وأبو الخطاب الذي عناه إبراهيم الموصلي في شعره هذا رجل نَحَّاس يعرف بقرين مولى العبَّاسَة بنت المهدي، وكان إبراهيم يهوى جارية له يقال لها خُنْثُ وكانت من أجمل النساء وأكملهن، وكان لها خال فوق شفتها العليا، وكانت تُعرف بذات الخال، ولإبراهيم ولغيره فيها أشعار كثيرة نذكر منها كل ما فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

أخبرني بخبرها الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال:

حدثني أبي أن جدِّي كان يتعشَّق جارية لقرين المكنى بأبي الخطاب النحَّاس، وكان يقول فيها الشعر ويغنى فيه فشهرها بشعره وغنائه، وبلغ الرشيدَ خبرُها فاشتراها بسبعين ألف درهم، فقال لها ذات يوم: أسألك عن شيء فإن صدقتني وإلا صدقتني غيرك وكذبتك، قالت له: بل أصدقك، قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيء قطّ وأنا أحلفه أن يصدقني؟ قال: فتلكأت ساعة ثم قالت: نعم مرة واحدة، فأبغضها، وقال يوماً في مجلسه: أيكم لا يبالي أن يكون كَشْخَاناً^(١)

(١) الكشخان: الرئيس/ الديوث.

حتى أهب له ذات الخال؟ فبدر حمويه الوصيف فقال: أنا، فوهبها له .
وفيهما يقول إبراهيم:

أتحسب ذات الخال راجيةً ربًّا وقد سلبت قلباً يهيم بها حُبًّا
وما عذُرُها نفسي فداها ولم تدعُ على أعظمي لحماً ولم تُبق لي لُبًّا
[الطويل]

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى .

وذكر أحمد بن أبي طاهر أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم، وذكر قصة حمويه كما ذكرها حماد بن إسحاق وقال في خبره: فاشتاقها الرشيد يوماً بعدما وهبها لحمويه فقال له: ويلك يا حمويه. وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين مُرّ فيها بأمرك، قال: نحن عندك غداً، فمضى فاستعدّ لذلك واستأجر لها من بعض الجوهريين بدنة^(١) وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار، فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها، فلما رآه أنكره وقال: ويلك يا حمويه، من أين لك هذا وما وليتك عملاً تكسب فيه مثله ولا وصل إليك مني هذا القدر؟ فصدقه عن أمره، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم واشترى الجوهر منهم ووهبه لها، ثم حلف ألاّ تسأله في يومه ذلك شيئاً إلا أعطها ولا حاجة إلا قضائها، فسألته أن يولّي حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل ذلك وكتب له عهده به، وشرط على وليّ العهد بعده أن يُتمّها له إن لم تتم في حياته .

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن عبد الله العاصمي قال: حدثني أحمد بن عبد الله طمّاس، عن عبد الله وإبراهيم ابني العباس الصولي قالاً:

كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يوماً فوعدها أن يصير إليها وخرج يريدّها، فاعترضته جارية فسألته أن يدخل إليها فدخل وأقام عندها، فشق ذلك على ذات الخال وقالت: والله لأطلبنّ له شيئاً أغيظه به، وكانت أحسن الناس وجهاً ولها خال على خدها لم ير الناس أحسن منه في موضعه، فدعت بمقراض فقصّت الخال الذي كان في خدها، وبلغ ذلك الرشيد فشقّ عليه وبلغ منه، فخرج من موضعه وقال للفضل بن الربيع: انظر من

(١) البدنة: قميص لا أكمام له تلبسه النساء .

بالباب من الشعراء، فقال: الساعة رأيت العباس بن الأحنف، فقال: أدخله. فأدخله. فعرفه الرشيد الخبر وقال: اعمل في هذا شيئاً على معنَى رسمه له فقال:

صوت

تَخَلَّصْتُ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ ذَا حَفِيزَةٍ وَمِلْتُ إِلَى مَنْ لَا يُغَيِّرُهُ حَالُ
فَإِنْ كَانَ قَطَعُ الْخَالِ لَمَّا تَعَطَّفْتُ عَلَى غَيْرِهَا نَفْسِي فَقَدْ ظَلِمَ الْخَالُ
[الطويل]

غناه إبراهيم.

فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعاً مسترضياً لها، وجعل هذين البيتين سبباً، وأمر للعباس بألفي دينار، وأمر إبراهيم الموصلي فغناه في هذا الشعر.
أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن الفضل قال:
كان محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم في الشعر ويُشَغَفُ بجيد الأشعار، فكان مما يعجبه قول نُصَيْب:

صوت

أَيَا بَعْلَ لَيْلَى كَيْفَ تَجْمَعُ سِلْمَهَا وَحَرَبِي وَفِيْمَا بَيْنَنَا شَبَّتِ الْحَرْبُ
لَهَا مِثْلُ ذَنْبِي الْيَوْمَ إِنْ كُنْتُ مَذْنِباً وَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ كَانَ لَيْسَ لَهَا ذَنْبُ
[الطويل]

عروضه من الطويل والشعر لنصيب ويروى للمجنون ويروى لكعب بن مالك الخثعمي، والغناء لمالك ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو.
قال: وكان محمد بن موسى ينشد كثيراً للعباس بن الأحنف.

صوت

أَلَا لَيْتَ ذَاتَ الْخَالِ تَلْقَى مِنَ الْهَوَى عَشِيرَ الَّذِي أَلْقَى فَيَلْتَمِ الشَّعْبُ
إِذَا رَضِيتَ لَمْ يَهْنِئْكَ ذَلِكَ الرِّضَا لِعَلَمِي بِهِ أَنْ سَوْفَ يَتَّبِعُهُ عَثْبُ
وَأَبْكِي إِذَا أَذْنَبْتُ خَوْفَ صُدُودِهَا وَأَسْأَلُهَا مَرْضَاتَهَا وَلَهَا الدُّنْبُ

وَصَالِكُمْ صُرْمٌ وَحُبُّكُمْ قَلَى وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ
[الطويل]

ويقول: ما أحسن ما قَسَمَ حتى جعل بإزاء كل شيء ضده، واللّه إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس.

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصلي ثاني ثقل بالوسطى عن الهشامي.

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يهواهن ويقول الشعر فيهن، وهن سحر وضياء وخُنث، وفيهن قول:

إِنْ سَحَرًا وَضِيَاءً وَخُنْثٌ هُنَّ سَحَرٌ وَضِيَاءٌ وَخُنْثٌ
أَخَذْتُ سَحَرٌ وَلَا ذَنْبَ لَهَا ثُلْثِي قَلْبِي وَتَرْبَاهَا الثُّلُثُ
[الرملي]

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أحمد بن محمد الأسدي قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف السدوسي قال: حدثني محمد بن إسماعيل بن صبيح قال:

وجّه الرشيد إلى جاريته سحر لتصير إليه، فاعتلت عليه ذلك اليوم بعلة، ثم جاءته من الغد فقال الرشيد:

أَيَا مَنْ رَدَّ وَدِّي أَمْ — سِ لَا أُعْطِيكَه الْيَوْمَا
وَلَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِي — ك إِلَّا الصَّدَّ وَاللَّوْمَا
وَأِنْ كَانَ بِقَلْبِي مَنْ — ك مَا يَمْنَعُنِي النَّوْمَا
أَيَا مَنْ سُمِّتَهُ الْوَضُّ — ل فَأَغْلَى الْمَهْرَ وَالسَّوْمَا
[الهج]

قال: وفيهن يقول وقد قيل: إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه:

صوت

مَلَكُ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلَنْ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعُهُنَّ وَهَنْ فِي عَصِيَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى وَبِهِ قَوَيْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي
[الكامل]

غَنَّتْهُ عَرِيبٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ الْأَوَّلُ بِالْوَسْطَى.

وروى أحمد بن أبي طاهر عن إسحاق قال: وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل، فأحضرت فخرجت جارية كأنها المهابة، فأجلسها في حجره ثم قال: غنّني، فغنّته:

جئن من الروم وقالين
مُقرطقات بصنوف الحلى
يرفُلن في المرط ولين الملاء
يا حبذا البيض وتلك الحلاء

[السريع]

فاستحسنه وشرب عليه، ثم استؤذن للفضل بن الربيع فأذن له، فلما دخل قال: ما وراءك في هذا الوقت؟ قال: كل خير يا أمير المؤمنين، ولكن جرى لي الساعة سبب لم يجز لي كتمانها، قال: وما ذاك؟ قال: أخرج إليّ في هذا الوقت ثلاث جوار لي: مكيّة ومدينية وعراقية، فقبضت المدينية على ذكري، فلما أنعظ وثبت المكيّة فقعدت عليه، فقالت لها المدينية: ما هذا التعدي؟ ألم تعلمي أن مالكا حدثنا عن الزهري عن عبد الله بن طاهر، عن سعيد بن زيد أن النبي ﷺ قال: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له» فقالت الأخرى: أولم تعلمي أن سفيان حدثنا عن أبي الزناد الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الصيد لمن صاده لا لمن أثاره» فدفعتهما العراقية عنه ووثبت عليه وقالت: هذا لي وفي يدي حتى تصطلحا. فضحك الرشيد وأمر بحملهن إليه، ففعل، وحظين عنده، وفيهن يقول:

ملك الثلاث الأنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان

[الكامل]

حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابي قال: حدثني مهدي بن سابق قال:

حججت مع الرشيد آخر حجته فكان الناس يتناشدون له في جواريه:

ثلاث قد حللن حمى فؤادي
نظمت قلوبهن بخيط قلبي
ويُعطين الرغائب من ودادي
فهن قرابتي حتى التنادي
فمن يك حل من قلب محلاً
فهن مع النواظر والسواد

[الوافر]

ومما قاله إبراهيم وغيره في ذات الخال وغنى فيه.

صوت

أذات الخال أقصيت
محباً بكم صبا

فلا أنسى حياتي ما عبثت الدهر لي ربّا
وقد قلت أنيليني فقالت أفرق الذنبا

[الهمز]

الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالوسطى عن عمرو، ومنها:

صوت

أذات الخال قد طال بمن أسقمته الوجع
وليس إلى سواكم في الـ ذي يلقي له فزع
أما يمتنعك الإسلا من قتلي ولا الورع
وما ينفك لي فيك هوى تفتره خدع

[الهمز]

الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالوسطى عن عمرو، ومنها:

صوت

تغلب يا هذا الكثير العبت بالله لما قلت لي عن خنت
عن ظبية تميم في مشيتها أحسن من أبصرته في شعت
فقال قالت قل له أنت امرؤ موغل فيما ترى بالعبت
والله لولا خضلة أرقبها لقل في الدنيا لما به لبث

[الرجز]

الشعر لإبراهيم، وله فيه لحنان أحدهما ثقیل أول عن أبي العبيس والآخر هزج بالبنصر عن عمرو، وفيه لعريب ثقیل أول آخر، وذكر حبش أن فيه لابن جامع هزجاً آخر بالوسطى.

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه أن تغلبا هذا كان مملوكاً لإبراهيم فقال هذه الأبيات في خنث جارية جزء بن مغول الموصلية. وكانت مغنية محسنة، وخاطب تغلباً فيها مستخبراً له، وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه أنه قال في خنث جارية جزء بن مغول الموصلية، وخاطب في شعره غلاماً يقال له تغلب، وكانت خنث مغنية محسنة وكانت تعرف بذات الخال.

صوت

ثعلب يا هذا الكثير الخَبَثُ بالله إلا قلت لي عن خَنَثُ
[الرجز]

وذكر الأبيات، قال: وقال له أيضاً:

صوت

أَبْدِ لِدَاتِ الْخَالِ يَا ثَعْلَبُ قول امرئ في الحب لا يكذبُ
إني أقول الحق فاستيقني كل امرئ في حبه يلعبُ
[السريع]

الشعر والغناء لإبراهيم له فيه لحنان: رمل وخفيف ثقيل عن ابن المكي. ومنها:

صوت

جَزَى اللَّهَ خَيْرًا مَنْ كَلَفْتُ بِحَبِهِ وليس به إلا المَمَوَّةُ مِنْ حُبِّي
وَقَالُوا قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ رَقِيقَةٌ فما بال ذات الخال قاسية القلبِ
وَقَالُوا لَهَا هَذَا مُحِبُّكَ مُعْرِضًا فقالت أرى إعراضه أيسر الخطبِ
فَمَا هُوَ إِلَّا نَظْرَةٌ بِتَبَسُّمٍ فتنشَبُ رجلاه ويسقط للجَنبِ
ومنها:

صوت

إِنْ لَمْ يَكُنْ حُبُّ ذَاتِ الْخَالِ عَنَانِي إِذَا فُحِّوْلْتُ فِي مُسْكٍ ابْنِ زَيْدَانِ
فَإِنَّ هَذَا يَمِينٌ مَا حَلَفْتُ بِهَا إِلَّا عَلَى الْحَقِّ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
[البسيط]

الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالبنصر: ومنها:

صوت

لَقَدْ أَخْلَوْ بِذَاتِ الْخَالِ ل وَالْحُرَّاسُ قَدْ هَجَعُوا
فَمَنْ يُبْصِرُ أَبَا الْخَطَا بِ يَطْلُبُهَا وَيَتَّبِعُ
أَلَا لَمْ تَرَمْ خَزُونًا تَسَنَّم صَبْرَهُ الْجَزَعُ

وقارَعَنِي ففَزْتُ بِهَا وحازَتْهَا لِي الْقُرْعُ^(١)

[مجزوء الوافر]

غناه إبراهيم من رواية بذل عنه ولم يذكر طريقته، قال عليّ بن محمد الهشامي
حدثني جدي يعني ابن حمدون قال:

حدثني مُخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي ابنُ زيدان صاحب
البرامكة وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج، فدخل علينا إسحاق، فقال له أبوه: ما أفدت
اليوم؟ فقال: أعظم فائدة، سألني رجل: ما أفخم كلمة في الفم؟ فقلت: لا إله إلا
الله، فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت، هلاً قلت: دُنْيا ودِينا، فأخذ ابن زيدان الشَّاه
فضرب به رأس إبراهيم وقال له: يا زنديق، أتكفر بحضرتي؟ فأمر إبراهيم غلمانه
فضربوا ابن زيدان ضرباً شديداً، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى فحدثه
بخبيره، قال، وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى فاستجار
به، فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول:

صوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنّاني إذا فُحُولت في مُسْك ابن زيدانِ
فإن هذي يمين ما حلفت بها إلا على الصدق في سِرِّي وإعلاني

[البسيط]

قال: وله في هذين البيتين صنعة وهي هزج، ومنها:

صوت

من يرحم محزوناً بذات الخال مفتونا
أبى فيها فما يسلو وكلُّ الناس يسألونا
فقد أودى به السُّقْمُ وقد أصبح مجنوننا
فلإن دام على هذا ثوى في اللّحدِ مَدفوننا

[الهزج]

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقیل عن الهشامي. ومنها:

(١) الْقُرْع: مفردھا القرعة وهي خيار المال.

صوت

لذات الخال أرَّقني خيالٌ بات يَلْثُمُني^(١)
 بكى وجَرى له دَمْعٌ لما في القلب من حَزَنٍ
 فلا أنساه أو أنسى إذا أدْرِجْتُ في كَفَنِي

[مجزوء الوافر]

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي . ومنها :

صوت

هل علمتَ اليوم يا عا أن ذات الخال تأتِي—
 لا تَلُمُنِي إنَّ ذات الـ وإلى حفص خليلي
 صمُّ يا خيرَ خَدينِ نبي على رغم قَرِينِ
 خال دنياي وديني ووزيري وأميني
 بُحْتُ لا أكتمه شيء إن بي من حب ذات الـ
 خال شيئاً كالجنون

[مجزوء الرمل]

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى عن ابن المكي . ومنها :

صوت

تقول ذات الخالِ أيَا خَلِيَّ البَالِ
 فقلت حاشاك من أن يكون حالك حالي
 أعرضت عَنِّي لَمَّا أوقعتني في الجبالِ
 إنَّ الخَلِيَّ هو الغا فلُ الَّذِي لا يَبالي

[مجزوء المديد]

لإبراهيم من كتابه عن حبش فيه لحن ، وذكر ابن المكي أنه رمل . ومنها :

أما تعلم ذات الخا ل فوق الشفة العليا

(١) يلثمني: يشدني .

بأنّي لست أهوى غيـ رها شيئاً من الدنيا
وأنّي عن جميع النّـ سِ إلا عنهم أعمى
وأنّي لو سُقيت الدّهـ رَ من ريقك لا أزوَى

[الهج]

الشعر والغناء لإبراهيم رمل بالوسطى عن عمرو وابن المكي وغيرهما، وقد روى:

أما تعلم يا ذا الخال

وهذا هو الصحيح . ومنها .

صوت

يا ليت شعري كيف ذات الخال أم أين تحسب حالها من حالي
هل أنسين منها وضمت مرة رأسي إليها ثم قالت مالي
الزّلة أقصيتني نفسي الفدا لك أم أطعت مقالة العذال
والله ما استحسنت شيئاً موقناً التّذه إلا خاطرت ببالي

[الكامل]

الشعر والغناء لإبراهيم، وله فيه لحنان هزج بالأصابع كلها عن ابن المكي،

وثقيل أول بالوسطى عن حبش . ومنها:

صوت

يا ليت شعري والنساء غواذر خُلف العِداتِ وفاؤهنّ قليل
هل وُضِل ذات الخال يوماً عائد فتزول لوعاتي وحرّ غليلي
أم قد تناست عهدنا وإخالها عن ذاك ملكُ حال دون خليلي

[الكامل]

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ثقیل أول بالبنصر عن إسحاق بن إبراهيم وابن

المكيّ والهشاميّ .

صوت

إن من غرّه النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور

حُلُوَةُ الْقَوْلِ وَاللِّسَانِ وَمُرٌّ كُلُّ شَيْءٍ أَجَنٌّ مِنْهَا الضَّمِيرُ
 كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ^(١)
 [الخفيف]

الشعر لحُجْر بن عمرو آكل المُرار، والغناء لحُنين ثاني ثَقِيل بالبنصر عن
 الهشامي وفيه لُثْبِيه ثَقِيل أول بالوسطى عن حبش، وفيه رمل له.

(١) خَيْتَعُور: هو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ولا يستقر.

نسب حجر بن عمرو والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر

هو حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتَع واسمه عمرو بن ثور، وقيل ابن معاوية بن ثور، وهو كندة، بن عُفَيْر بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يَعْرُب بن قحطان.

أخبرني بخبره محمد بن الحسن بن دريد، إجازة قال: حدثني عمي، عن ابن الكلبي، عن أبيه، عن الشرقيّ بن القطاميّ قال:

أقبل تُبْعُ أيامَ سار إلى العراق فنزل بأرض مَعَدٍّ، فاستعمل عليهم حُجر بن عمرو وهو أكل المُرَارِ، فلم يزل ملكاً حتى خرف، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن، ثم إن زياد بن الهَبُولَةَ بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حَمَاطَةَ بن سعد بن سَلِيح القُضَاعِي أغار عليه، وهو ملك في ربيعة بن نزار، ومنزله بَعْمَرُ ذي كندة، وكان قد غزا بريعة البَحْرين، فبلغ زياداً غَزَاتُهُ، فأقبل حتى أغار في مملكة حجر فأخذ مالا كثيراً وسبى امرأة حجر، وهي هند ابنة ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل، فلما بلغ حُجراً وبَكَرَ بن وائل غارتهُ وما أخذ أقبلوا معه، ومعه يومئذٍ أشراف بكر بن وائل، منهم عوف بن مُحَلِّم بن ذُهَل بن شيبان وصُليح بن عبد غُثَم بن ذهل بن شيبان، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهَل، وضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة، وعامر بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة. فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن مُحَلِّم وقالوا لحجر: إنا متعجلان إلى الرجل لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا، فلقياه دون عين أباغ، فكلمه عوف بن مُحَلِّم وقال: يا خير الفتيان ارددْ عليّ ما أخذته مني، فأعطاه إياه، وكلمه عمرو بن معاوية في فحل إبله فقال: خذه، فأخذه عمرو وكان قوياً، فجعل الفحل ينزع إلى الإبل فاعتقله عمرو فصرعه، فقال له ابن الهَبُولَةَ: أما والله يا بني شيبان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم، فقال عمرو: أما والله لقد وهبت قليلاً

وشتمت جليلاً، ولقد جررت على نفسك شرّاً ولتجدني عند ما ساءك. ثم ركض حتى صار إلى حجر فأخبره الخبر، فأقبل حجر في أصحابه حتى إذا كان بمكان يقال له الحَفِير بالبرَدان وهو دون عين أباغ، بعث سدوساً وصليعاً يتجسسان له الخبر، ويعلمان له علم العسكر، فخرجا حتى هجما على عسكره، وقد أوقد ناراً ونادى منادٍ له: من جاء بِحُزْمَةٍ من حطب فله قَدْرُه من تمر، وكان ابن الهَبُولَة قد أصاب في عسكر حجر تمرّاً كثيراً، فضرب قِبابه وأَجَّج ناره ونثر التمر بين يديه فمَن جاء بحطب أعطاه تمرّاً، فاحتطب سدوس وصليع ثم أتيا به ابن الهَبُولَة، فطرحاه بين يديه، فناولهما من التمر وجلسا قريباً من القُبَّة، فأما صليع فقال: هذه آيَةٌ وَعِلْمٌ ما يريد، فانصرف إلى حجر فأعلمه بعسكره، وأراه التمر. وأما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتية بأمر جليي، فلما ذهب هَزِيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه، وقد تفرق أهل العسكر في كل ناحية، فضرب سدوس بيده إلى جليس له فقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكر، فقال: أنا فلان بن فلان، قال: نعم، ودنا سدوس من القُبَّة فكان حيث يسمع الكلام، فدنا ابنُ الهَبُولَة من هند امرأة حجر فقبلها وداعبها ثم قال لها فيما يقول: ما ظنك الآن بحجر لو علم بمكاني منك؟ قالت: ظني به والله أنه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر، وكأني أنظر إليه في فوارس من بني شيبان يَذْمُرهم ويَذْمُرُونه، وهو شديد الكَلْبِ سريع الطَلَب، يُزَبِّدُ شِدْقاه كأنه بعيرٌ أَكَلَ مُرَّارٍ، فَسُمِّيَ حجر أَكَلَ المُرَّارِ يومئذٍ، قال: فرفع يده فلطمها ثم قال: ما قلت هذا إلا من عَجَبِكَ به وحبك له، فقالت: والله ما أَبْغَضْتُ ذَا فَيْشَةٍ قَطَّ بُغْضِي له، ولا رأيت رجلاً قَطَّ أَحْزَمَ منه نائماً ومستيقظاً. إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حي لا ينام، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّاً^(١) مملوءاً لبناً، فبينما هو ذات ليلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه إذ أقبل أسودُ سالخ إلى رأسه، فنحى رأسه، فمال إلى يديه وإحدهما مقبوضة والأخرى مبسوطة فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى رجلية وقد قبض واحدة وبسط الأخرى فأهوى إليها، فقبضها، فمال إلى العُسِّ فشربه ثم مجّه فقلت: يستيقظ فيشرب فيموت فاستريح منه، فانتبه من نومه فقال: عليّ بالإناء، فناولته فشمّه فاضطربت يدها حتى سقط الإناء فَأَهْرَيْقَ. وذلك كُلُّه بأُذُنِ سدوس، فلما نامت الأحراس خرج يسري ليلته حتى صَبَحَ حجراً فقال:

أَتَاكَ المُرْجِفُونَ بِرَجْمٍ غَيْبٍ عَلَى دَهْشٍ وَجِئْتُكَ بِالْيَقِينِ

(١) العُسّ: السقاء يجعل للبن.

فمن يك قد أتاك بأمر لبس^(١) فقد آتني بأمر مستبين
[الوافر]

ثم قص عليه جميع ما سمع . فأُسِفَّ^(٢) ونادى في الناس الرحيل ، فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهبولة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الهبولة ، وعرفه سدوس فحمل عليه فاعتنقه وصرعه فقتله ، وبَصُرَ به عمرو بن معاوية فشد عليه وأخذ رأسه منه ، وأخذ سدوس سَلْبَهُ ، وأخذ حُجْرَ هنداً فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطعها قطعاً .

هذه رواية ابن الكلبي ، وأما أبو عبيدة فإنه ذكر أن ابن الهبولة لما غنم عسكر حجر غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم وأم إياس بنت عوف بن محمّل الشيباني ، وهي أم الحارث بن حُجْر وهند بنت حجر ، ولابنها الحارث ابن يقال له عمرو ، وله يقول بشر بن أبي خازم :

فإلى ابن أم إياس أعمل ناقتي عمرو فتُنْجِحُ حاجتي أو تَرْجِفُ
مَلِكُ إذا نزل الوفودُ ببابه عرفوا غوارب مُزْنِهِ ما تُنْزِفُ
[الكامل]

قال : وبنتها هند هي التي تزوجها المنذر بن ماء السماء اللخمي .

قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسوق ما معه من السبايا والنَّعَمِ ويتصيد في المسير ولا يمرّ بواد فيعجبه إلا أقام به يوماً أو يومين حتى أتى على ضعيفة فوجدها مُعْشِبَةً فأعجبته فأقام بها أياماً ، وقالت له أم إياس : إني لأرى ذات وَدَكٍ^(٣) وسوء دَرَكٍ ، كأنني قد نظرت إلى رجل أسود أذلم^(٤) كأنّ مشافره مشافر بعير آكلٍ مُرَارٍ قد أخذَ بَرَقْبَتَهُ . فسَمِّيَ حجر آكلَ المرار بذلك . وذكر باقي القصة نحو ما مضى وقال في خبر ابن الهبولة : إن سدوساً أسره وإن عمرو بن معاوية لما رآه معه حسده فطعنه فقتله ، فغضب سدوس لذلك وقال : قتلت أسيري وديته دية الملوك ، وتحاكما إلى حجر فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ، وأعانهم في ذلك بما له ، وقال سدوس في ذلك يعاتب بني شيبان :

ما بعدكم عيش ولا معكم عيش لذي أنفٍ ولا حَسَبٍ
لولا بنو دُهَلٍ وجمع بني قيسٍ وما جمعت من نَشَبٍ

(١) اللبس : الخلط والتدليس .

(٢) أُسِفَّ : تغيّر لونه .

(٣) الودك : الدسم من الشحم واللحم .

(٤) أذلم : طويل أسود .

مَا سُمْتُ مَوْنِي خَطَّةَ غَبْنًا وَعَلَى ضَرِيَّةَ رُمْتُمْ غَلْبِي
[الكامل]

قال: وقد روى أن حجراً ليس بأكل المرار وإنما أبوه الحارث أكل المرار، وروى أيضاً أنه إنما سُمِّيَ أكل المرار لأن سدوساً لما أتاه بخبر ابن الهُبولة ومداعبته لهند، وأن رأسه كان في حجرها، وحدثه بقولها وقوله، فيسمع ذلك وهو يعبت بالمرار - وهو نبت شديد المرارة وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير - فجعل يأكل من ذلك المرار غضباً، وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدة الغضب، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث، فعلم حينئذٍ بذلك ووجد طعمه، فسُمِّيَ يومئذٍ أكل المرار، قال ابن الكلبي: وقال حجر في هند:

لَمَنْ النَّارُ أَوْقَدَتْ بِحَفِيرٍ لَمْ يَنْمِ عِنْدَ مُصْطَلٍ^(١) مَقْرُورٍ^(٢)
أَوْقَدْتُهَا إِحْدَى الْهِنُودِ وَقَالَتْ أَنْتَ ذَا مُوْتَقٍّ وَثَاقَ الْأَسِيرِ
إِنَّ مِنْ غَرِّهِ النِّسَاءَ بِشَيْءٍ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٍ مَغْرُورٍ
[الخفيف]

وبعده باقي الأبيات المذكورة متقدماً وفيها الغناء.

صوت

طرب الفؤاد وعادوت أحزائه وتفرقت فِرْقاً به أشجائه
وبداله من بعدما اندمل الهوى بَرَقَ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لِمَعَانِهِ
يبدو كحاشية الرِّدَاءِ ودونه صَعْبُ الذُّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرْكَائِهِ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا جَادَتْ بِهِ أَجْفَائِهِ
[الكامل]

الشعر لمحمد بن صالح العلوي، والغناء لَرَدَّاذٍ ويقال إنه لبَنَانٍ خفيف ثقيل، وفيه ثقيل أول يقال: إنه لأبي العُبَيْس، ويقال: إنه للِقَاسِمِ بن زرزور، وفيه لعمرُو الميداني رمل طنبري وهو لحن مشهور.

(١) المصطلبي: المُسْتَدْفَى.

(٢) المقرور: البردان.

أخبار محمد بن صالح العلوي ونسبه

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، ويكنى أبا عبد الله، شاعر حجازي ظريف صالح الشعر من شعراء أهل بيته المقدّمين، وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجين في أيام المنصور، أمهم جميعاً هند بنت أبي عبيدة.

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء والطوسي قالاً: حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدثني الزبير بن بكار.

أن هنداً حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة، قال: ولا تحمل لستين إلا قرشية، ولا تحمل لخمسين إلا عريية، قال: وكان موسى آدم شديد الأذمة وله تقول أمه هند:

إِنَّكَ أَنْ تَكُونَ جَوْنًا^(١) أَنْزَعًا^(٢) أَجْدَرُ أَنْ تَضُرَّهُمْ وَتَنْفَعَا
وَتُسْلِكَ الْعَيْسَ^(٣) طَرِيقًا مَهْيَعًا^(٤) فَرْدًا مِنَ الْأَصْحَابِ أَوْ مُشَيَّعًا
[الرجز]

وكان موسى استتر بعد قتل أخويه زماناً، ثم ظفر به أبو جعفر فضربه بالسوط وحبسه مدة ثم عفا عنه وأطلقه، وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها، وكان محمد بن صالح خرج في أيام المتوكل مع من بيّض^(٥) في تلك السنة فظفر به وجماعة من أهل بيته أبو السّاج، فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم وأخرب سُوَيْقَةَ وهي منزل للحسينيين،

(١) الجون: الأحمر الخالص.

(٢) الأنزع: المنحسر الشعر عن جانبي جبهته.

(٣) العيس: الإبل البيضاء التي يخالط بياضها شقرة.

(٤) المهيع: الطريق الواسع الواضح.

(٥) المبيضة: فرقة سموا بذلك لأنهم كانوا يتخذون الثياب البيض شعاراً لهم مخالفين بذلك المسودة وهم العباسيون اللذين كانوا يتخذون السواد شعاراً لهم.

ومن جملة صدقات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وعقر بها نخلاً كثيراً وحرّق منازلهم بها، وأثر فيهم وفيها آثاراً قبيحة، وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى سرّ من رأى^(١)، فحبس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل، فأنشده الفتح قصيدته بعد أن عُني في شعره المذكور، فطرب وسأل عن قائله فعرفه، وتلا ذلك إنشاد الفتح قصيدته، فأمر بإطلاقه.

وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال:

أنكر موسى بن عبد الله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بعض ما ينكره العمومة على بني أخيه في شيء من أمور السلطان؛ وكان محمد بن صالح قد خرج بسويقة، فصار أبو الساج إلى سويقة، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان، فطرح سلاحه ونزل إليه فقيده وحمله إلى سر من رأى، فلم يزل محبوساً بها ثلاث سنين، ثم أطلق وأقام بها إلى أن مات وكان سبب موته أنه جدير فمات في الجدي، وهو الذي يقول في الحبس:

طرب الفؤاد وعادت أحزائه وتشعبت شعباً به أشجائه
وبدأ له من بعد ما اندمل الهوى برق تآلق موهناً لمعائه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنع أركائه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً إليه وردّه سجائه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سحت^(٢) به أجفائه
ثم استعاذ من القبيح وردّه نحو العزاء عن الصبا إيقائه
وبدأ له أن الذي قد ناله ما كان قدّره له ديّائه
حتى اطمأنّ ضميره وكائنما هتك العلائق عامل وسناؤه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل بالنيل باذل تافه منّائه^(٣)
يعدّ القضاء وليس يُنجز موعداً ويكون قبل قضائه ليّائه
خذل^(٤) الشوى^(٥) حسن القوام مخصّر عذب لمّاه طيب أردائه^(٦)

(٢) سحت: إنهمرت وسالت.

(١) سرّ من رأى: سامراء.

(٤) الخذل: الممتلى الضخم.

(٣) المثان: المنعم المتفضل.

(٦) الأردن: مفردا الرदन وهو أصل الكم.

(٥) الشوى: الأطراف.

واقنع بما قسم الإله فأمره ما لا يُزال عن الفتى إتيائه
والبؤس ماضٍ ما يدوم كما مضى عَصُرُ النعيم وزال عنك أوانه
[الكامل]

أخبرني يحيى قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بعض إخواننا، فأقمنا إلى أن غَسَقَ اللَّيْلُ، وأنا أرى أنه يَبِيتُ، فإذا هو قد قام فتقلَّد سيفه وخرج، فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت، وسألته المُقام والمَبِيتَ، وأعلمته خوفي عليه، فالتفت إليّ متبسماً وقال:

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أبلُ بشيءٍ ولم تَفْرَغْ فؤادي القوارعُ
أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال:
مرَّ محمد بن صالح بقبرٍ لبعض ولد المتوكل، فرأى الجواري يَلْطِمْنَ عنده،
فأنشدني لنفسه:

رأيتُ بِسَامِراً صَبِيحَةَ جُمُعَةٍ عيوناً يروق الناظرين فُتُورُها
تزور العظامَ البالياتِ لدى الثرى تَجَاوَزَ عن تلك العظامَ غُفُورُها
فلولا قضاءُ الله أن تُعَمَّرَ الثرى إلى أن يُنادَى يومَ يُنْفَخُ صُورُها^(١)
لقلْتُ عساها أن تَعِيشَ وأنها ستُنْشَرُ من جَرٍّ عيونَ تَزُورُها
أسيلا تُمَجِّرى الدمعَ إمَّا تَهَلَّلَتْ شُؤُونُ المَآفِي ثم سَحَّ مَطِيرُها
بِوَبْلٍ كَأَتْوَامِ^(٢) الجُمانِ تُفِيضُه على نَحْرِها أنفاسُها وَزَفِيرُها
فيا رحمةً ما قد رَحِمْتَ بواكياً ثِقَالاً تَوَالِيها لَطافاً خُصُورُها
[الطويل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال:
حدثني إبراهيم بن المدبّر قال: جاءني محمد بن صالح الحَسَنِي فسألني أن
أخْطُبَ عليه بنتَ عيسى بن موسى بن أبي خالد الحَرَبِيِّ أو أخته حمدونة، ففعلت
ذلك، وصرت إلى عيسى فسألته أن يجييه، فأبى وقال لي: لا أكذبك، والله ما أرده
لأنني لا أعرف أشرف وأشهر منه لمن يصاهره، ولكني أخاف المتوكل وولده بعده على
نعمتي ونفسي. فرجعت إليه فأخبرته بذلك، فأضرب عن ذلك مدة ثم عاودني بعد

(١) الصُّور: آلة ينفخ فيها فتصدر صوتاً قوياً.

(٢) الأتوام: مفردها التومة وهي اللؤلؤة.

ذلك وسألني معاودته، فعاودته ورفقت به حتى أجاب فزوجه أخته، فأنشدني بعد ذلك محمد:

خَطَبْتُ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى فِرْدَنِي
لَقَدْ رَدَّنِي عِيسَى وَيَعْلَمُ أَنَّنِي
وَأَنَّ لَنَا بَعْدَ الْوِلَادَةِ نَبْعَةً
فَلَمَّا أَبَى بُخْلًا بِهَا وَتَمَتَّعَا
تَدَارَكَنِي الْمَرْءُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ
سَمِيٌّ خَلِيلُ اللَّهِ وَابْنٌ وَلِيَّهِ
فَزَوَّجَهَا وَالْمَنْ عِنْدِي لَغِيرِهِ
وَيَا نَعْمَةً لَابْنِ الْمَدْبَرِ عِنْدَنَا

قال ابن مَهْرُويَه: قال لي إبراهيم بن المدبر: فلما نُقِلْتُ حمدونة إلى محمد شُغِفَ بها، وكانت امرأة جميلة عاقلة، فأنشدني لنفسه فيها:

لَعَمْرُ حَمْدُونَةَ إِنِّي بِهَا
مَجَاوِزٌ لِلْقَدْرِ فِي حُبِّهَا
مُطَّرِحٌ لِلْعَذْلِ مَاضٍ عَلَى
مُشَايَعِي قَلْبٌ يَخَافُ الْخَنَا
جَشَمَنِي ذَلِكَ وَجَدِي بِهَا
مَمْكُورَةُ السَّاقِ رَدِّيْنِيَّةٌ
صَامِتَةٌ الْحِجْلِ خَفُوقُ الْحَشَا
سَاجِيَةُ الطَّرْفِ نَوُومُ الضُّحَى
زَيْنُهَا اللَّهُ وَمَا شَانُهَا
تِلْكَ الَّتِي لَوْلَا غِرَامِي بِهَا

هكذا روى ابن مَهْرُويَه عن ابن المدبر في خبر ابن صالح وتزويجه حمدونة.

(١) العليق: هو الذي يعلق بقلبه حب من يهوى، أو الذي يتعلقه من مال أو زوجة أو ولد.

(٢) الصَّنُو: الأخ الشقيق، العم، والابن.

[الطويل]

[السريع]

وروى عمي عن أبي جعفر بن الدهقانة النديم قال:

حدثني إبراهيم بن المدبر قال: جاءني يوماً محمد بن صالح الحسن العلوي بعد أن أُلِّقَ من الحبس فقال لي: إني أريد المُقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمري ما لا يصلح أن يسمعه غيرنا، فقلت: أفعل، فصرفت من كان بحضرتي وخلوت معه وأمرت بربط دابته وأخذ ثيابه، فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا قال لي: أعلمك، أني خرجت في سنة كذا وكذا ومن معي من أصحابي على القافلة الفلانية، فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينا أنا أحوزها وأنيخ الجمال إذ طلعت عليّ امرأة من العماريّة ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً، فقالت: يا فتى إن رأيت أن تدعو لي بالشريف المُتولّي أمر هذا الجيش [فإن له عندي حاجة] فقلت: قد رأيته وسمعت كلامك، فقالت: سألتك بحقّ الله وحقّ رسوله ﷺ أنت هو؟ فقلت: نعم وحقّ الله وحقّ رسوله إني لهو، فقالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبي خالد الحربي، ولأبي محلّ من سلطانه، ولنا نعمة إن كنت سمعت بها فقد كفك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري، والله لا استأثرت عليك بشيء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليّ. وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني، وهذه ألف دينار معي لنفقتي خذها حلالاً، وهذا حلّي عليّ من خمسمائة دينار فخذ، وضمّني ما شئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو من أهل الموسم، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني واخمني من أصحابك ومن عار يلحقني، فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً فقلت لها: قد وهب الله عز وجل لك مالك وجاهك وحالك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجت فنادت في أصحابي فاجتمعوا، فنادت فيهم: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتي، فمن أخذ منها خيلاً أو عقلاً فقد آذنته بحرب. فانصرفوا معي وانصرفوا. فلما أخذت وحُبست، بينا أنا ذات يوم في مَحْبَسِي إذ جاءني السجّان وقال لي: إن بالبواب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك وقد حُظر عليّ أن يُدخل عليك أحد، إلا أنهما أعطتاني دُمْلَجَ ذهب وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك، وقد أذنت لهما وهما في الدهليز، فاخرج إليهما إن شئت. ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا يعرفني أحد، ثم قلت: لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي، فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتني، فلما رأتني بكت لما رأت من تغير خَلْقِي وثقل الحديث عليّ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أهو هو؟ فقالت: إي والله إنه لهو هو، ثم أقبلت عليّ فقالت: فذاك أبي وأمي، والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلتُ

وكنْتُ بذلك مني حَقِيقاً، وواللَّهِ لا تركتُ المعاونة لك والسعيَ في حاجتك وخلصك بكلِّ حيلة ومال وشفاعة، وهذه دنائير وثيابٌ وطيبٌ فاستعِنْ بها على موضعك، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يُصلِّحك حتى يُفرِّج الله عنك، ثم أخرجت إليَّ كسوة وطيباً ومائتي دينار، وكان رسولها يأتيني في كل يوم بطعام نظيف، ويتواصل برُّها بالسجان فلا يمتنع من كل ما أريده، حتَّى مَنْ الله بخلصي، ثم راسلتها فخطبتها فقالت: أمّا من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة، والأمر إلى أبي، فأتيته فخطبتها إليه فردني وقال: ما كنتُ لأحقّق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها وقد صيرّتنا فضيحةً، فقامت من عنده منكساً مُستجِياً وقلت له في ذلك:

رموني وإياها بشنعاء هُم بها أحقُّ، أَدالَ اللهُ منهم فعجلاً
بأمرٍ تركناه وربّ محمدٍ عياناً فإمّا عِفّةٌ أو تجملاً
[الطويل]

فقلت له: إن عيسى صنيعة أخي، وهو لي مطيع، وأنا أكفيك أمره، فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله وقلت له: قد جئتُك في حاجة لي، فقال: مَقْضِيَّةٌ ولو كنتُ استعملتُ ما أحبه لأمرتني فجئتُك وكان أسراً إليّ، فقلت له: قد جئتُك خاطباً إليك ابنتك، فقال: هي لك أمةٌ وأنا لك عبد وقد أجبتُك، فقلت: إني خطبتها على من هو خير مني أباً وأماً وأشرف لك صِهاً ومُتصلاً محمد بن صالح العلوي، فقال لي: يا سيدي هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنّةٌ، وقيلت فينا أقوال، فقلت: أفليست باطلة؟ قال: بلى والحمد لله، قلت: فكأنها لم تُقل، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع، ولم أزل أرفق به حتى أجاب، وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتة، وما برحت حتى زوجته وسقت الصداق عنه.

قال أبو الفرج الأصفهاني: وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبر مدائح كثيرة لما أولاه من هذا الفعل، ولصداقةٍ كانت بينهما، فمن جيّد ما قاله فيه قوله:

أُتْخِبرُ عَنْهُمْ الدَّمَنُ^(١) الدُّثُورُ^(٢) وَقَدْ يُنْبِي إِذَا سُئِلَ الْخَبِيرُ
وَكَيْفَ تُبَيِّنُ الْأَنْبَاءَ دَارٌ تَعَاقَبُهَا الشَّمَائِلُ وَالِدُّبُورُ
[الوافر]

يقول فيها في مدحه:

فَهَلَا فِي الَّذِي أَوْلَاكَ عُرْفَاً تُسَدِّي مِنْ مَقَالِكَ مَا يَسِيرُ

(١) الدَّمَنُ: ما بقي من آثار الدار.

(٢) الدُّثُورُ: الدُّرُوس.

ثَنَاءٌ غَيْرُ مُخْتَلِقٍ وَمَذْحَأٌ مَعَ الرُّكْبَانِ يُنْجِدُ^(١) أَوْ يَغُورُ^(٢)
 أَخٌ وَاسَاكَ فِي كَلْبِ اللَّيَالِي وَقَدْ خَذَلَ الْأَقَارِبُ وَالنَّصِيرُ
 حِفَاطاً حِينَ أَسْلَمَكَ الْمَوَالِي وَضَنَّ بِنَفْسِهِ الرَّجُلُ الصَّبُورُ
 فَإِنْ تَشْكُرْ فَقَدْ أَوْلَى جَمِيلاً وَإِنْ تَكْفُرْ فَإِنَّكَ لَلْكَفُورُ
 وَمَا فِي آلِ خَاقَانَ اعْتِصَامٌ إِذَا مَا عَمَّكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ
 لِنِئَامِ النَّاسِ إِثْرَاءً وَفَقْرًا وَأَعْجَزُهُمْ إِذَا حَمِيَ الْقَتِيرُ^(٣)
 لِنِئَامٍ لَا يُزَوِّجُهُمْ كَرِيمٌ وَلَا تُسْنَى لِنَسْوَتِهِمْ مُهَوْرُ
 [الوافر]

وإنما ذكر آل خاقان هاهنا لأن عبيد الله بن يحيى قصّر به وتحامل عليه، وكان يقول فيه ما يكره، ويؤكد ما يوجب حبسه، وكان فيه وفي ولده نصّب شديد.
 ولمحمد بن صالح في آل المدبر مدائح كثيرة لا معنى لذكرها في هذا الكتاب.
 أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدثني عبد الله بن طالب الكاتب قال:

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُلُوِي حَلَوَ اللِّسَانِ ظَرِيفاً أَدِيباً، فَكَانَ بَسَرّاً مِنْ رَأْيِ
 مَخَالِطٍ لِسَرَاةِ النَّاسِ وَوُجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَكَانَ لَا يَكَادُ يَفَارِقُ سَعِيدَ بْنَ حَمِيدٍ، وَكَانَا
 يَتَقَارَضَانِ الْأَشْعَارَ وَيَتَكَاتَبَانِ بِهَا، وَفِي سَعِيدٍ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُلُوِي:
 أَصَاحِبُ مِنْ صَاحِبَتٍ ثَمَّتَ أَثْنِي إِلَيْكَ أَبَا عَثْمَانَ عَطْشَانَ^(٤) صَادِيَا
 أَبِي الْقَلْبِ أَنْ يُرَوِّى بِهِمْ وَهُوَ حَائِمٌ^(٥) إِلَيْكَ وَإِنْ كَانُوا الْفُرُوعَ الْعَوَالِيَا
 وَلَكِنْ إِذَا جِئْنَاكَ لَمْ نَبْغِ مَشْرَباً سَوَاكَ وَرَوَيْنَا الْعِظَامَ الصَّوَادِيَا
 [الطويل]

قال عبد الله بن طالب: وكان بعض بني هاشم دعاه فمضى إليه وكتب سعيد إليه يسأله المصير إليه، فأخبر بموضعه عند الهاشمي، فلما عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليه، فكتب إليه بهذه الأبيات - قال عبد الله: وشرب يوماً هو وسعيد بن

(١) يُنْجِدُ: يأتي النجد وهو الأرض المرتفعة.

(٢) يغور: يأتي الغور وهو الأرض المنخفضة.

(٣) القتير: الدرع أو رؤوس المسامير في الدرع، وهو هنا كناية عن الحرب والقتال.

(٤) الصادي: الشديد العطش.

(٥) الحائم: العطشان من الإبل.

حميد فسكر محمد بن صالح قبله فقام لينصرف والتفت إلى سعيد وقال له -:

لعمرك إنني لمّا افترقنا لذومقة لخلصاني سعيد
تبقتّه المدام وأزعجتني إلى رحلي بتعجيل الورود
[الوافر]

قال: وتوفي محمد بن صالح بسرّ من رأى، وكان يجهد في أن يؤدّن له في الرجوع إلى الحجاز فلا يُجاب إلى ذلك، فقال سعيد يرثيه.

بأيّ يد أسطو على الدهر بعدما أبانَ يدي عَضْبُ الدُّبَابَيْنِ قاضِبُ
وهاض جناحي حادثٌ جلّ خطبه وسُدَّتْ عن الصبر الجميل المذاهب
ومن عادة الأيام أنّ صُروفها إذا سرّ منها جانبٌ ساء جانبُ
لعمري لقد غال التَّجَلُّدُ أننا فقدناك فَقْد الغيثِ والعامُ جادِبُ
فما أعرف الأيام إلا ذميمةً ولا الدهرَ إلا وهو بالثَّارِ طالِبُ
ولا لي من الإخوان إلا مكاشِرُ فوجهٌ له راضٍ ووجهٌ مُغاضِبُ
فقدتُ فتى قد كان للأرض زينة كما زينت وجهَ السماءِ الكواكبُ
لعمري لئن كان الرّدى بك فاتني وكلُّ امرئٍ يوماً إلى اللّه ذاهِبُ
لقد أخذتُ مني النوائِبُ حكمها فما تركتُ حقاً عليّ النوائِبُ
ولا تركتُني أرهب الدهرَ بعده لقد كلّ عني نابهُ والمخالِبُ
سقى جدثاً أمسى الكريمُ ابنُ صالح يحلُّ به دانٍ من المُزِنِ ساكِبُ
إذا بشرُ الرُّوَادَ بالغيثِ بزُفُّه مرّتُهُ الصِّبا واستجلبتُهُ الجنائبُ
فَعَا^(١) وَرَبَا في الدهرِ تأثيرُ صُوبِهِ ربيعاً زهتُ منه الرُّبَا والمَذَانِبُ^(٢)

[الطويل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثنا المبرد قال:

لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى توصل بُنان له بأن غنى بين يدي المتوكل في شعره يقول:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برُقْ تألّق مَوْهناً لمعائنه
[الكامل]

(١) فعا: فشا.

(٢) المذانب: مسايل المياه.

فاستحسن المتوكل الشعر واللحن وسأل عن قائله فأخبر به، وكُلِّم في أمره، وأحسنت الجماعة رفده، وقام الفتح بأمره قياماً تاماً، فأمر بإطلاقه من حبسه على أن يكون عند الفتح وفي يده حتى يقيم كفيلاً بنفسه ألا يبرح من سرٍّ من رأى، فأطلق وأخذ عليه الفتح الإيمان المؤثقة ألا يبرح من سرٍّ من رأى إلا بأذنه، ثم أطلقه. ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جياذ كثيرة، منها قوله في المتوكل من قصيدة أولها قوله:

أَلِفَ الثُّقَى وَوَفَى بِنَذْرِ النَّاذِرِ
وَلَقَدْ تَهَيَّجُ لَهُ الدِّيارُ صَبَابَةً
فَرَأَى الْهَيْدَايَةَ أَنْ أَنْابَ وَأَنَّهُ
يَا ابْنَ الْخُلَائِفِ وَالَّذِينَ بِهِدْيِهِمْ
وَابْنَ الَّذِينَ حَوَوْا ثَرَاثَ مُحَمَّدٍ
نَطَقَ الْكِتَابُ لَكُمْ بِذَلِكَ مُصَدِّقاً
ووصلت أسباب الخلافة بالهedy
أحييت سنة من مضى فتجددت
فافخر بنفسك أو بجذك مغلناً
مال للمكارم غيركم من أول
إني دعوتك فاستجبت لدعوتي
فانتشنتني^(٢) من قعر مُوردة الردى
وفككت أسري والبلاء مُوَكَّلُ
وعطفت بالرحم التي تَرجو بها
وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى
أو أن أَضَيَّعَ بعدما أنقذتني
ولقد مَنَنْتَ فكنْتَ غيرَ مكدرٍ

وَأَبَى الْوُقُوفَ عَلَى الْمَحَلِّ الدَّائِرِ^(١)
حِيناً وَيَكْلَفُ بِالْخَلِيطِ السَّائِرِ
قَصَرَ الْمَدِيحِ عَلَى الْإِمَامِ الْعَاشِرِ
ظَهَرَ الْوَفَاءِ وَبَانَ غَدْرُ الْغَادِرِ
دُونَ الْأَقَارِبِ بِالنَّصِيبِ الْوَافِرِ
ومضت به سننُ النبي الطاهرِ
إذ نِلْتَهَا وَأَنْمَتَ عَيْنُ السَّاهِرِ
وَأُبْنَتَ بِدَعَاةِ ذِي الضَّلَالِ الْخَاسِرِ
أَوْ دَعُ فَقَدْ جَاوَزْتَ فَخَرَ الْفَاخِرِ
بعد النبي وما لها من آخرِ
والموتُ مني قيدَ شَبْرِ الشَّابِرِ
مَنّاً وَلَمْ تَسْمَعْ مَقَالََةَ زَاجِرِ
وَجَبَزْتَ كَسْراً مَالَهُ مِنْ جَابِرِ
قُرْبِ الْمَحَلِّ مِنَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
غَرَضاً بِبَابِكَ لِلْمُلِمِّ الْفَاقِرِ^(٣)
من ريبٍ مهلكةٍ وَجَدَّ عَائِرِ
ولقد نَهَضْتُ بِهَا نُهَوْضَ الشَّاكِرِ

[الكامل]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن خلف وكيع قالوا: حدثنا

(١) الدائر: الهالك والغافل.

(٢) إنتشنتني: تناولتني وأنقذتني.

(٣) الفاجر: المصيبة التي تنزل بالمرء وكأنها تكسر فقار ظهره.

الفضل بن سعيد بن أبي حرب قال: حدثنا أبو عبد الله الجهنّي قال:

دخلت على محمد بن صالح الحسني في حبس المتوكل فأنشدني لنفسه يهجو أبا السّاج:

ألم يحزنك يا ذلفاء أتي
وأن حمائي ونجاد سيفي
فقصّرهنّ لما طلن حتى اسد
أما والراقصات بذات عرق
لو امكنني غداتئذ جلاذ
سكنت مساكن الأموات حيا
علون مجدعا أشرا سنيا
توين عليه لا أمسى سويا
تريد البيت تحسبها قسيا
لألفوني به سُمحا سخيا

[الوافر]

قال ابن عمار: وأنشدني عبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضا:

نظرت ودوني ماء دجلة موهنا
لتؤنس لي نارا بتثليث أوقدت
فلو أنها منها لقلت كأنني
تضيء لنا منها جبيناً ومحجراً
بمطروفة الإنسان محسورة جدا
وتا لله ما كلفتها منظراً قصدا
أرى النار قد أمست تضيء لنا هندا
ومبتسماً عذبا وذا غدر جعدا

[الطويل]

صوت

يا عدياً لقلبك المهتاج
غيرته الصّبا، وكلُّ مُلث^(١)
وحملنا غلامنا ثم قلنا
فانتحي مثل ما انتحي باز دجن
إن عفا رسم منزل بالنّجاج
دائم الودق^(٢) ذي أهاضيب داج
هاجر العيس ليس منك بناج
جوّعته القنّاص للدرّاج^(٣)

[الخفيف]

الشعر لأبي دؤاد الإيادي، والغناء لحنين ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة، وفيه لعريب هزج، وفيه ثقيل أول ينسب إلى يزيد حوراء وإلى أحمد التّصبيبي.

(١) المُلث: الدائم بلا انقطاع، وأراد هنا مطول المطر.

(٢) الودق: القطر. (٣) الدرّاج: ضرب من الطيور.

ذكر أخبار أبي دواد الإيادي ونسبه

هو فيما ذكر يعقوب بن السكيت، جارية بن الحجاج، وكان الحجاج يلقب حمران بن بحر بن عصام بن مُنبّه بن حُذافة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ وقال ابن حبيب: هو جارية بن الحجاج أحد بني برد بن دُعَمي بن إياد بن نزار، شاعر قديم من شعراء الجاهلية وكان وصافاً للخليل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها تصوّف بين مدح وفخر وغير ذلك، إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر [وأشهر].

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: حدثني الهيثم بن عدي، وابن الكلبي عن أبيه، والشرقي.

أن أبا دواد الإيادي مدح الحارث بن هَمّام بن مُرّة بن دُهل بن شيبان، فأعطاه عطايا كثيرة، ثم مات ابن أبي دواد وهو في جواره فودّاه، فمدحه أبو دواد، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ولا يذهب له مال إلا أخلفه، فضربت العرب المثل بجار أبي دواد، وفيه يقول قيس بن زهير:

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى جَارِ كَجَارِ أَبِي دَوَادٍ
[الوافر] هذه رواية هؤلاء، وأبو عبيدة يخالف ذلك.

أخبرني ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال:

جاور أبو دواد الإيادي كَعَبَ بن مامة الإيادي، فكان إذا هلك له [ولد وداه، وإن هلك له] بعير أو شاة أخلفها له، وفيه يقول طرفة يمدح عمرو بن هند:

جارٌ كجار الحُذاقِي الذي اتصفنا

وكان لأبي دواد ابن يُقال له دُواد شاعر، وهو الذي يقول يرثي أباه:

فبات فينا وأمسى تحت هاديةٍ ما بعد يومك من ممسى وإصبح
لا يدفع السُّقْمَ إِلَّا أَنْ تُفَدِّيَهُ ولو ملكنّا مَسْكِنَا السُّقْمَ بالراح^(١)
[البسيط]

(١) الرَّاح: الخمر.

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح قال: أخبرنا أبو المنذر عن أبيه قال:

تزوج أبو دواد امرأة من قومه فولدت له دواداً ثم ماتت، ثم تزوج أخرى فأولعت بدواد وأمرت أباه أن يجفوه ويبعده، وكان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت: أخرجني، فخرج به وقد أردفه خلفه إلى أن انتهى إلى أرض جرداء ليس فيها شيء، فألقى سوطه متعمداً، وقال: أي دُود أنزل فناولني سوطي، فنزل، فدفع بعيره وناداه:

أدوداً إنَّ الأمر أصبح ما ترى فانظر دُوداً لأي أرض تَعْمِدُ
[الطويل]

فقال له دواد: على رِسْلِكَ، فوقف له فناداه:

وبأي ظَنِّكَ أن أقيم ببلدة جرداء ليس بغيرها مُتَلَدِّدٌ
[الطويل]

فرجع إليه وقال له: أنت والله ابني حقاً، ثم رده إلى منزله وطلق امرأته.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد، عن أبيه، عن أبي عمرو الشيباني قال:

كانت لأبي دواد امرأة يقال لها أم حَبتر وفيها يقول:

في ثلاثين زَعَزَعْتُهَا حَقُوقُ أصبحتُ أمَّ حَبتر تشكوني
زعمت لي بأنني أَفْسِدُ الما لَ وَأَزْويهِ عن قضاء ديوني
أَمَلْتُ أن أكون عبداً لمالي وَتَهْتَأُ بنافع المالِ دوني
[الخفيف]

وهي طويلة، قال: ولها يقول وقد عاتبته على سماحته بما له فلم يُعْجِبْهَا
فَصَرَمَتْهُ:

حاولت حين صَرَمْتَنِي والمَرءُ يَعْجِزُ لا المَحَالُةُ
والدَّهْرُ يلعب بالفتى والدهر أروغُ من تُعَالِةُ^(١)
والمَرءُ يكسب ماله والشُّجُّ يُورثه الكَالِةُ
والعبدُ يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه المقالِةُ
والسَّكْتُ خيرٌ للفتى فالْحَيْنُ من بعض المقالِةُ
[مجزوء الكامل]

(١) الثُعالة: أنثى الثعلب.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى [قال: حدثني أبي] عن إسحاق، عن الأصمعي قال:

ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد: طفيل وأبو دواد والجعدى، فأما أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر، وأما طفيل فإنه كان يركبها وهو أغزل إلى أن كبر، وأما الجعدى فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء فأخذ عنهم.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: أبو دواد أوصف الناس للخيال في الجاهلية والإسلام، وبعده طفيل الغنوي والنابعة الجعدي.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز، عن ابن الأعرابي قال:

لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دواد، ولا وصف الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر، ولا وصف أحد نعمة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني.

أخبرني عمي قال: حدثنا جعفر بن محمد العاصمي، قال: حدثني عيينة بن المنهال قال: حدثني شداد بن عبيد الله قال: حدثني عبيد الله بن الحارث العنزي القاضي، عن أبي عرادة قال:

كان علي عليه السلام يُفطر الناس في شهر رمضان، فإذا فُرج من العشاء تكلم فأقل، وأوجز فأبلغ، فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال علي عليه السلام لأبي الأسود الدؤلي: قل يا أبا الأسود فقال أبو الأسود: وكان يتعصب لأبي دواد الإيادي، أشعرهم الذي يقول:

ولقد أغتدى يُدافعُ ركني أحوذِي^(١) ذو مَيْعَةٍ إضريج^(٢)
مِخْلَطٌ مِرْبَذٌ مَكْرٌ مَفَرٌ مِنْفَحٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ
سَلْهَبٌ^(٣) شَرْحَبٌ^(٤) كأن رماحاً حملته وفي السَّراة دُمُوجٌ^(٥)
[الخفيف]

(٢) الإضريج: الفرس الجواد السريع العدو.

(٤) الشَّرْحَب: الطويل.

(١) الأحوذِي: السريع في كل شأنه.

(٣) السَّلْهَب: الطويل الفارع.

(٥) الدُمُوج: التداخل والاستحكام.

قال: وكان لأبي الأسود رأى في أبي داود. فأقبل عليّ عليه السلام على الناس فقال: كل شعرائكم مُحسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه، وإن يكن أحد فَضْلُهُم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجر، فإنه كان أصحّهم بادرةً وأجودهم نادرة.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه، عن إسحاق، عن الأصمعي قال: كانت الرواة لا تروي شعر أبي داود ولا عديّ بن زيد لمخالفتهم مذهب الشعراء من العرب، قال: وكان أبو داود على خيل المنذر بن ماء السماء فأكثر وصفه للخليل.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني ابن أبي الهيثم قال:

اسم أبي داود الإيادي جُوَيْرِيَّة بن الحجاج، وكانت له ناقة يقال لها الزباء، وكانت بنو إياد يتبركون بها، فلما أصابتهم السنّة تفرقوا ثلاث فرق: فرقة منهم سلكت في البحر فهلكت، وفرقة قصدت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل فنزلوا على الحارث بن همّام، وكان السبب في ذلك أنهم أرسلوا الزباء وقالوا: إنها ناقة ميمونة فَخَلُّوها فحيث توجّهت فاتبعوها، وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجعة، فخرجت تخوض العرب حتى بركت بفناء الحارث بن همّام، وكان أكرم الناس جواراً، وهو جار أبي داود المضروب به المثل، فقال أبو داود يمدح الحارث ويذكر ناقته الزباء:

فإلى ابن همّام بن مُرّة أصعدت	ظعنُ الخَلِيط بهم فقلّ زِيالُها
أنعمت نعمةً ماجدٍ ذي مِنّةٍ	نُصِبْتُ عليك من العُلا أظلالُها
وجعلتنا دون الوليّ فأصبحت	زَبَاءٌ ^(١) مُنْقَطِعاً إليك عِقالُها

[الكامل]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال:

كانت إياد تفخر على العرب تقول: منا أجود الناس كعبُ بن مامة، ومنا أشعر الناس أبو داود، ومنا أنكح الناس ابن العُزّ.

(١) الزَبَاء: اسم ناقة أبي داود الإيادي. ويقال داهية زَبَاء أي عظيمة تشبيهاً بالناقة الثفّور.

ابن الغز:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينه قال: حدثني القحزمي قال:

كان ابن أَلْغَزْ أَبَارِيًّا، فكان إذا أَنْعَظَ احتَكَّتْ الْفِصَالُ^(١) بِأَيْرِهِ، قال: وكان في إِيَادِ امرأة تستصغر أَيْور الرجال، فجامعها ابن أَلْغَزْ فقالت: يا معشر إِيَادِ أَبَالرُّكْبِ تَجَامِعُونَ النساء؟ قال فضرب بيده على اسْتَهَا وقال: ما هذا؟ فقالت، وهي لا تعقل ما تقول: هذا القمر، فضربت العرب بها المثل «أَرِيهَا اسْتَهَا وَتُرِينِي الْقَمَرَ».

وَأُنْشِدُ وقد كان الحجاج منع من لحوم البقر خوفاً من قلة العِمارة في السواد فقيل فيه:

شكونا إليه خراب السَّوَادِ فحَرَمَ فِينَا لِحُومَ الْبَقَرِ
فَكُنَّا كَمَنْ قَالَ مَنْ قَبَلْنَا أَرِيهَا اسْتَهَا وَتُرِينِي الْقَمَرَ
[المقارب]

أخبرني عمي، عن الكراني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي بنحوه.

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني العمري، عن لقيط قال: أخبرني التَّوْزِي، عن أبي عبدة قال:

كان الحُطَيْئَةُ عند سعيد بن العاص ليلة فتذاكروا الشعراء وفضلوا بعضهم على بعض وهو ساكت، فقال له: يا أبا مُلَيْكَةَ ما تقول؟ فقال: ما ذكرتم واللَّه أشعر الشعراء ولا أنشدتم أجود الشعر، فقالوا: فمن أشعر الشعراء؟ فقال: الذي يقول:

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنَ قَدْ رُزِئَتْهُ الْإِعْدَامُ
[الخفيف]

والشعر لأبي دواد الإيادي، قالوا: ثم من؟ قال: ثم عَبِيدُ بن الأبرص، قالوا: ثم من؟ قال: كفاكم واللَّه بي إذا أخذتني رغبةً أو رهبةً ثم عَوَيْتُ في أثر القوافي عواء الفصيل في أثر أمه.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي، وأخبرنا أبو حاتم قال: أخبرنا الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، عن هَجَّاسِ بن مَرِيرِ الإيادي عن أبيه، وكان قد أدرك الجاهلية قال:

(١) الْفِصَالُ: مفردا الفصيلة، وهي القطعة من لحم الفخذ.

بيناً أبو دواد وزوجته وابنه وابنته على ربوة وإياد إذ ذاك بالسَّواد، إذ خرج ثورٌ من أجمة، فقال أبو دواد:

وبدت له أذنٌ تـوجَّسُ حِرَّةً وأحـمُّ وارِدٌ
وقوائـمٌ عُوجٌ لها من خلفها زَمْعٌ زوائِدٌ
كمقاعد الرُّقباءِ للضُّرباءِ أيديهم نواهِدٌ

[مجزوء الكامل]

ثم قال: أنفذي يا أم دُواد فقالت:

وبدت له أذنٌ تـوجَّسُ حِرَّةً وأحـمُّ مُولِقٌ
وقوائـمٌ عُوجٌ لها من خلفها زَمْعٌ معلَّقٌ
كمقاعد الرُّقباءِ للضُّرباءِ أيديهم تالِقٌ

[مجزوء الكامل]

ثم قال: أنفذي يا دواد فقالت:

وبدت له أذنٌ تـوجَّسُ حِرَّةً وأحـمُّ مُرْهَفٌ
وقوائـمٌ عُوجٌ لها من خلفها زَمْعٌ مُلْفَفٌ
كمقاعد الرُّقباءِ للضُّرباءِ أيديهم تَلْقَفٌ

[مجزوء الكامل]

ثم قال: أنفذي يا دواده، قالت: وما أقول مع من أخطأ؟ قالوا: ومن أين أخطأنا؟ قالت: جعلتم له قرناً واحداً وله قرنان، قالوا: فقولِي، قالت:

وبدت له أذنٌ تـوجَّسُ حِرَّةً وأحـمَّـتـانِ
وقوائـمٌ عُوجٌ لها من خلفها زَمْعٌ ثمانِ
كمقاعد الرُّقباءِ للضُّرباءِ أيديهم دواني

[مجزوء الكامل]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه قال:

كان أبو دواد الإيادي الشاعر جاراً للمنذر بن ماء السماء، وإن أبا دواد نازع رجلاً بالحيرة من بهراء يقال له رَقَبَة بن عامر بن كعب بن عمرو، فقال له رَقَبَة: صالحني وحالفني فقال له أبو دواد: فمن أين يعيش أبو دواد إذا فوالله لولا ما نُصيب من بهراء لهلكت، وانصرفا على تلك الحال، ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة في

تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رقبة البهراني، فبعث إلى قومه فأخبرهم بما قال له أبو دواد عند المنذر، وأخبرهم أن القوم ولد أبي دواد، فخرجوا إلى الشام فلقوهم فقتلوهم وبعثوا برؤوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرؤوس صنع طعاماً كثيراً ثم أتى المنذر فقال له: قد اصطنعت لك طعاماً كثيراً، فأنا أحب أن تتغذى عندي، فأتاه المنذر وأبو دواد معه، فبينما الجفان ترفع وتوضع إذ جاءته جفنة عليها أحد رؤوس بني أبي دواد، فوثب وقال: أبيت اللعن، إني جارك، وقد ترى ما صنع بي، وكان رقبة أيضاً جار للمنذر، فوقع المنذر بينهما في سؤاة وأمر برقبة فحُبس، وقال لأبي دواد: أما يرضيك توجيهي بكتيبتَي: الشهباء والدوسر إليهم؟ قال: بلى، قال: قد فعلت، فوجه إليهم بالكتيبتين، فلما بلغ ذلك رقبة قال لامرأته: ويحك الحقي بقومك فأنذرهم، فعمدت إلى بعض إبل زوجها فركبته، ثم خرجت حتى أتت قومها، فلما قربت منهم تعرت من ثيابها وصاحت وقالت: أنا النذير العريان. فأرسلتها مثلاً، فعرف القوم ما تريد فصعدوا إلى أعالي الشام، وأقبلت الكتيبتان فلم تُصيبا منهم أحداً، فقال المنذر لأبي دواد: قد رأيت ما كان منهم وأنا أدي^(١) كل ابن لك بمائتي بعير، فأمر له بستمائة بعير، فرضي بذلك، فقال فيه قيس بن زهير العبسي:

سأفعل ما بدلي ثم آوي إلى جارٍ كجارٍ أبي دواد
[الوافر]

صوت

وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل داج غياهبه^(٢)
لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
[الطويل]

الشعر لأبي تمام الطائي، والغناء للقاسم بن زُرْزور ثاني ثقل بالوسطى في مجرى البصر، وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقل.

أخبرني إبراهيم بن القاسم بن زُرْزور عن أبيه وحدثني المظفر بن كيغلغ، عن القاسم أيضاً.

إن المكتفي بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقعة في رقعة وهو أمير، وأمر أن يُصنع فيهما لحن، فصنع القاسم هذا اللحن، وصنع جعفر خفيف الثقل.

(١) أدي: أدفع الدية.

(٢) الغياهب: مفردها الغيب وهو الظلمة.

أخبار أبي تمام ونسبه

أبو تَمَّام حبيب بن أوس الطائي، من نفس طيء صليبة، مولده ومنشؤه بناحية مَنبَج بقرية منها يقال لها جاسِم، شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غَوَّاص على ما يُستصعب منها ويعسر متناوله على غيره، وله مذهب في المطابقة هو كالسابق إليه لجميع الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضل الإكثار فيه، والسلوك في جميع طرقه، والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلَّق به أحد، وله أشياء متوسطة وردية رَذَلَة جداً، وفي عصرنا هذا من يتعصَّب له فيُفِرط حتى يفضِّله على كلِّ سالف وخالف، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه ويَطوِّون محاسنه ويستعملون القِحة والمكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب، وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلَب^(١) الناس وطلَّب معايبهم سبباً للترفُّع وطلباً للرياسة، وليست إساءة مَنْ أَسَاءَ في القليل وأحسن في الكثير مُسْقِطَةً إحسانه، ولو كثرت إساءته أيضاً ثم أحسن لم يُقَلَّ له عند الإحسان: أسأت، ولا عند الصواب: أخطأت، والتوسط في كلِّ شيء أجمل، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ، وقد روى عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها إلا في بيت واحد فقال له: يا أبا تمام لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيباً، فقال له: أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم، ولكنَّ مثْلُ شعر الرجل عنده مثْلُ أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حُلُوٌّ في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل لم يبغض الناقص، وإن هَوِيَ بقاء المتقدم لم يَهَوَّ موت المتأخر. واعتذاره بهذا ضدَّ لما وَصَفَ به نفسه في مدحه الوثائق حيث يقول:

جاءتكَ من نظم اللسان قلادةٌ سِمْطانٍ فيها اللؤلؤ المكنونُ
أهداكها صنْعُ اللسانِ يَمُدُّه جَفْرٌ^(٢) إذا نَضَبَ الكلامَ مَعِينٌ^(٣)

(١) ثَلَبَ الناس: لومهم وعييبهم.

(٢) الجفر: البئر الواسعة.

(٣) المَعِين: الجاري، سهل التناول.

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنُ هُوَ بَابِنَهُ وَبِشَعْرِهِ مَفْتُونُ
[الكامل]

فلو كان يسيء بالإساءة ظناً ولا يفتتن بشعره كنا في [عافية و] غني عن الاعتذار له. وقد فضّل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبَارَهُ، ولا يدركون وإنْ جَدُّوا آثاره، وما أرى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جَدِّه نظيراً ولا شكلاً، ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه، والتنبيه على رَذْلِهِ ودنيئه، لذكرت منه طرفاً، ولكن قد آتى من ذلك ما لا مزيد عليه.

أخبرني عمي قال: حدثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول:

أشعر الناس طراً^(١) الذي يقول:

وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتَ دَمِي
[البسيط]

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب، فجلست إليه وكنت أجري عنده مَجْرَى الولد فقلت له: من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول:

مَطَرُ أَبوكَ أَبُو أَهْلَةٍ وَائِلٍ مَلَأَ الْبَسِيطَةَ عُدَّةً وَعَدِيدًا
نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضَّحَى نُورًا وَمَنْ فَلَقَ الصَّبَاحَ عَمُودًا
وَرِثُوا الْأَبُوءَ وَالْحِظُوظَ فَأَصْبَحُوا جَمَعُوا جُدُودًا فِي الْعُلَى وَجُدُودًا
[الكامل]

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال:

قدم عُمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه وكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار، فقال بعضهم: ها هنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طراً، ويزعم غيره ضد ذلك، فقال: أنشدوني له، فأنشدوه:

عَدْتُ تَسْتَجِيرَ الدَّمَعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلَّ مَرْقَدٍ

(١) طراً: جميعاً.

وأنقذها من غمرة الموت أنه صدود فراق لا صدود تَعْمُد
فأجرى لها الإشفاق دمعاً مُورِداً من الدم يجري فوق خد مُورِد
هي البدر يُغنيها تورُّد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تَوَدِّد
[الطويل]

ثم قطع المنشد، فقال له عماره: زدنا من هذا، فوصل نشيده وقال:

ولكنني لم أخو وفراً مُجمِعاً ففزتُ به إلا بشمْلٍ مُبَدِّد
ولم تعطني الأيامُ نوماً مُسْكناً ألدُّ به إلا بنوم مُشَرِّد
[الطويل]

فقال عماره: لله درّه، لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه على كثرة القول فيه حتى لقد حُبب الاغتراب، هيه، فأنشده:

وطول مُقام المرء في الحيّ مخلّق لديباجتيه فاغترب تتجدّد
فإنني رأيت الشمس زِيدتُ محبّةً إلى الناس أن ليست عليهم بِسُرْمِد
[الطويل]

فقال عماره: كمل واللّه، ولئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني وأطراد المُراد واتساق الكلام فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال:

سمعت عليّ بن الجهم يصف أبا تمام ويفضّله، فقال له رجل: واللّه لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا، فقال: إن لم يكن أخاً بالنسب فإنه أخ بالأدب والمودّة، أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إن يُكْدِ مُطَّرِفُ الإخاء فإننا نغدو ونسري في إخاء وتالد
أو يَخْتَلِفُ ماء الوصال فماؤنا عذّب تحدرّ من غمام واحد
أو يفترق نسبٌ يُؤْلَفُ بيننا أدب أقمناه مقام الوالد
[الكامل]

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله المهلبّي قال:

كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام فقال دعبل: كان يتبع معانيّ فيأخذها، فقال له رجل في مجلسه: وأي شيء من ذلك أعزك الله؟ قال: قولي:

وإنَّ أَمراً أسدى إليّ بشافع إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شَفِيعَكَ فَأَشْكُرُ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يُخْلِقُ
[الطويل]

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : فَكَيْفَ قَالَ أَبُو تَمَامٍ ؟ فَقَالَ : قَالَ :

فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْهِ حُلُوَ عَطَائِهِ وَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سَوَالِهِ
وَإِذَا امْرُؤٌ أَسَدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ
[الكامل]

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ قَبْحَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لئن كَانَ
أَخَذَهُ مِنْكَ لَقَدْ أَجَادَ فَصَارَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ أَخَذْتَهُ مِنْهُ فَمَا بَلَغْتَ مَبْلَغَهُ .
فَغَضِبَ دَعْبِلَ وَانْصَرَفَ .

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُويَه قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ :

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَازِمِ الْبَاهِلِيِّ يَقْدُمُ أَبَا تَمَامٍ وَيُفَضِّلُهُ وَيَقُولُ : لَوْ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً
إِلَّا مَرِثَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

أَصَمَّ بِكَ النَّعَاعِيُّ وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
وَقَوْلُهُ :

لَوْ يَقْدُرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ وَجَبَاهِهِمْ فَضْلاً عَنِ الْأَقْدَامِ
[الكامل]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ :
كَانَ عِمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ عِنْدَنَا يَوْمًا فَسَمِعَ مُؤَدِّبًا كَانَ لَوْلَدٍ أَخِي يَرُوهُمْ قَصِيدَةَ أَبِي
تَمَامٍ :

أَلْحَقْ أَبْلَجُ وَالسِّيُوفُ عَوَارِي

فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

سَوْدُ اللَّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ أَيْدِي السَّمُومِ مَدَارِعاً مِنْ قَارٍ^(١)
بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرَبُطِ النَّجَارِ

(١) القار : المادة السوداء التي تُطلى بها السفن والإبل وغيرها .

لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهْمُ أَبْدَأُ عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
[الكامل]

فقال عمارة: لله درّه ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو ذكوان قال:

قال لي إبراهيم بن العباس: ما أتكتلت في مكاتبتني قط إلا على ما جاش به
صدري وجلبه خاطري، إلا أنني قد استحسنت قول أبي تمام:

فإن باشر الإصحار^(١) فالبيض^(٢) والقنا^(٣) قرأه وأحواض المنايا مناهله
وإن يبن حيطاناً عليه فإنما أولئك عقالاته^(٤) لا معاقله
وإلا فأعلمه بأنك ساخط عليه فإن الخوف لا شك قاتله

[الطويل]

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي فقلت: فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم،
وما كان يعقلهم يعتقلهم. قال: ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اخترم وما استمتع
بخاطره، ولا نرح ركي^(٥) فكره حتى انقطع رشاء^(٦) عمره.

أخبرني محمد: قال حدثني أبو الحسين بن السخي قال: حدثني الحسين بن
عبد الله قال:

سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشد شعراً له في
المعتصم: يا أبا تمام أمراء الكلام رعية لإحسانك.

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبد الله قال:

قال لي محمد بن جابر الأزدي وكان يتعصب لأبي تمام: أنشدت دعبل بن علي
شعراً لأبي تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسن من عافية بعد
يأس، فقلت: إنه لأبي تمام، فقال: لعله سرقه.

أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلب، عن أبيه قال:

ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام،
فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

(١) الإصحار: الخروج إلى الصحراء والمراد هنا الخروج للحرب.

(٢) البيض: السيوف.

(٣) القنا: الرماح.

(٤) العقالات: الديات.

(٥) الركي: مفردها الركية وهي البئر.

(٦) الرشاء: الحبل.

أخبرني عمي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظن أيضاً لحظة حدثنا به قالوا: حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

لَمَّا قَدِمَ أَبُو تَمَامٍ إِلَى خُرَاسَانَ اجْتَمَعَ الشُّعْرَاءُ إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُنْشِدَهُمْ فَقَالَ: قَدْ وَعَدَنِي الْأَمِيرُ أَنْ أَنْشِدَهُ غَدًا وَتَسْتَمْعُونَنِي، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ أَنْشَدَهُ:

هُنَّ عَوَادِي ^(١) يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ
[الطويل]

فلما بلغ إلى قوله:

وَقَلِقْلَ نَائِيٍّ مِنْ خُرَاسَانَ جَاشَهَا فَقُلْتُ اظْمَنِّي أَنْضِرُ الرُّوضَ عَازِيَهُ
وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
[الطويل]

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما يستحق مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله، وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي: لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير، فقال له: بل نضعفها لك وتقوم له بما يجب له علينا، فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال: يترفع عن برّي، ويتهاون بما أكرمته به. فلم يبلغ ما أراد منه بعد ذلك.

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحزنبلي، عن سعيد بن جابر الكرخي عن أبيه.

أنه حضر أبا دُفْلَ القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائي وقد أنشده قصيدته:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبٍ أَذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدَّمُوعِ السَّوَائِبِ
[الطويل]

فلما بلغ إلى قوله:

إِذَا افْتَخَرْتُ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَّدْتُ مِنْ مَنَاقِبِ
فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَالَتْ سَيُوفُكُمْ عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرَهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ
مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى تَقْرِنُوا بِهَا مُحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ
[الطويل]

(١) العوادي: الأعداء.

فقال أبو دلف: يا معشر ربعة، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قط، فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم^(١) يرمونها إليه، فقال أبو دلف: قد قبلها وأعاركم لبسها، وسأنوب عنكم في ثوابه، تَمَّ القصيدة يا أبا تمام، فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم وقال: واللّه ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك فاعذرنا، فشكره وقام ليقبل يده فحلف ألا يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حميد:

وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمُرُ
وقد كان فوت الموت سهلاً فَرَدَّه إليه الحِفاظُ^(٢) المرُ والخلق الوَعْرُ
فأثبت في مُستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك^(٣) الحَشْرُ
غدا غدوةً والحمد حَشْوُ رداءه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجرُ
كأن بني نبهان يوم مُصابه نجوم سماءٍ خرّ من بينها البدرُ
يُعزّون عن ثاوٍ يُعزّي به العُلا ويبكي عليه البأس والجود والشعرُ
[الطويل]

فأنشده إياها فقال: واللّه لوددت أنها فيّ، فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم، فقال: إنه لم يمت من رُئي بهذا الشعر أو مثله.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال:

قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد: بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار، قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته خمسمائة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

فأشدُّ بهارونَ الخلافة إنَّه سَكَنَ لوحشتها ودارُ قرارِ
ولقد علمتُ بأن ذلك مِعَصَمٌ ما كنتَ تتركه بغير سِوارِ
[الكامل]

فتبسم وقال: إنه لحقيق بذلك.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال:

(١) المطارف: مفردھا المُطَرَف وهو رداء من خرّ مربّع، ذو أعلام.

(٢) الحِفاظ: المواظبة والذبّ عن المحارم.

(٣) الأخمص: ما لم يصب الأرض من باطن القدم.

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأزمينية فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال: تكون العشرة الآلاف موفورة، فإن أردت الشخص فاعجل، وإن أردت المقام عندنا فلك الجاء والبر، قال: بل أشخص، فودّعه ومضت أيام وركب خالد يتصيد، فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكْرَةٌ فيها شراب، وغلام يغنيه بالطنبور، فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك، قال: ما فعل المال؟ فقال:

عَلَّمَنِي جَوْدُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ
مَا مَرَّ شَهْرٌ حَتَّى سَمَحْتُ بِهِ كَأَنَّ لِي قُدْرَةً كَمَقْدَرَتِكَ
تُنْفِقُ فِي الْيَوْمِ بِالْهَبَاتِ وَفِي الْـ سَاعَةِ مَا تَجْتَنِيهِ فِي سَنَتِكَ
فَلَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ تَنْفِقُ لَوْ لَا أَنَّ رَبِّي يَمُدُّ فِي هِبَتِكَ
[المنسرح]

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها وخرج.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا عون بن محمد الكندي قال: حدثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقي وكان يكتب للحسن بن رجاء قال: قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره، فاستنشد الحسن ونحن على نبذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

أَنَا مِنْ عَرَفْتَ فَإِنْ عَرَّتْكَ جِهَالَةٌ فَأَنَا الْمَقِيمُ قِيَامَةَ الْعُذَالِ
عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مَسْوَدَّةً حَتَّى تَوَهَّوْهُمْ أَنَّهُنَّ لِيَالِي
[الكامل]

فقال الحسن: واللّه لا تسودّ عليك بعد اليوم، فلما قال:

لَا تُنْكِرِي عَظْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
وَتَنْظُرِي حَيْثُ الرِّكَابُ يَنْصُهَا مُحْيِي الْقَرِيضِ^(١) إِلَى مُمَيِّتِ الْمَالِ
[الكامل]

فقام الحسن بن رجاء على رجليه وقال: واللّه لا أتممتها إلا وأنا قائم، فقام أبو تمام لقيامه وقال:

لَمَّا بَلَّغْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَّا تَمْلُكُ دَوْلَةِ الْإِمْحَالِ^(٢)

(١) القريض: هو ما يردّه البعير من جرّته. (٢) الإمحال: الكيد والمكر.

بَسَطَ الرَّجَاءُ لَنَا بِرَغَمِ نَوَائِبِ كَثُرَتْ بِهِنَ مِصَارُغُ الْأَمَالِ
أَغْلَى عِذَارَى الشَّعْرِ إِنَّ مُهَوْرَهَا عِنْدَ الْكِرَامِ وَإِنْ رَخُصْنَ غَوَالِي
تَرْنُو الظَّنُونُ بِهِ عَلَى تَصْدِيقِهَا وَيُحَكِّمُ الْأَمَالَ فِي الْأَمْوَالِ
أُضْحَى سَمِيَّ أَبِيكَ فَيْكَ مُصَدِّقًا فَأَجَلٌ فَائِدَةٌ وَأَيْمَنُ فَالِ
وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلْتُ نَفْسَكَ سَيِّبَهَا لِي ثُمَّ جُدْتَ وَمَا انتَظَرْتَ سَوَالِي
كَالْغَيْثِ لَيْسَ لَهُ - أُرِيدُ غَمَامُهُ أَوْ لَمْ يُرَدْ - بُدٌّ مِنَ التَّهْطَالِ

[الكامل]

فتعانقا وجلسا وقال له الحسن: ما أحسن ما جلوت هذه العروس، فقال: والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها، قال محمد بن سعد: وأقام شهرين فأخذ على يدي عشرة آلاف درهم، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به، على بخل كان في الحسن بن رجاء.

أخبرني الصولي قال: حدثني عون بن محمد قال:

شهدت دِعْبَلًا عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام، فاعترضه عَصَابَةٌ
الْجَرَجَرَائِي فَقَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ اسْمَعْ مِنِّي مَا قَالَهُ، فَإِنْ أَنْتَ رَضِيْتَهُ فَذَلِكَ وَإِلَّا وَافَقْتُكَ
عَلَى مَا تَذُمَّ مِنْهُ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ فَيْكَ مِنْ أَنْ لَا تَرْضَاهُ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ، قَوْلُهُ:

أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا الْخَلِيطُ الْمُودِعُ وَمَعْنَى عَفَا مِنْهُ مَصِيفٌ وَمَرْبَعٌ

[الطويل]

فلما بلغ إلى قوله:

هُوَ السَّيْلُ إِنْ وَاجَهْتَهُ انْقَدَتْ طَوْعُهُ وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتَّبَعُ
وَلَمْ أَرْ نَفْعًا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ ضَائِرًا وَلَمْ أَرْ ضَرًّا عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ
مَعَادُ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ وَسَيِّبُهُ مَعَادُ لَنَا قَبْلَ الْمَاتِ وَمَرْجِعُ

[الطويل]

فقال له دعبل: لم ندفع فضل هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتقدمونه على من يتقدمه، وتنسبون إليه ما قد سرقه، فقال له عصابة: إحسانه صيرك له عائباً وعليه عاتباً.

أخبرني الصولي قال: حدثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء قال:

حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام يُنشده:

أَسْقَى دِيَارَهُمْ أَجْشُ هَزِيمٌ^(١) وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ
[الكامل]

قال: فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام:

قد كسانا من كسوة الصيف خِرْقٌ^(٢) حُلَّةٌ سَابِرِيَّةٌ وَرِدَاءٌ
كالسراب الرقراق في الحُسْنِ إِلَّا قَصَبِيًّا تَسْتَرْجِفُ الرِّيحَ مَتْنِيَّ
رَجْفَانًا كَأَنَّهُ الدَّهْرَ مِنْهُ لَازِمًا مَا يَلِيهِ تَحْسِبُهُ جُزْ
يَطْرُدُ الْيَوْمَ ذَا الْهَجِيرِ وَلَوْ شُبَّ خَلْعَةٌ مِنْ أَغْرَارِ رَحْبِ الصَّ
سَوْفَ أَكْسُوكَ مَا يُعْفَى عَلَيْهَا حُسْنُ هَاتِيكَ فِي الْعُيُونِ وَهَذَا
مَكْتَسٍ مِنْ مَكَارِمِ وَمَسَاعِي كَسَحَا^(٣) الْقَيْضُ^(٤) أَوْ رِدَاءِ الشُّجَاعِ
أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْخَدَاعِ لَهُ بِأَمْرٍ مِنَ الْهَبُوبِ مُطَاعٌ
كِبْدُ الضَّبِّ أَوْ حَشَا الْمُرْتَاعِ أَمْ مِنَ الْمُتَنَتَيْنِ وَالْأَضْلَاعِ
لَهُ فِي حَرِّهِ بِيَوْمِ الْوَدَاعِ لَذْرُ رَحْبِ الْفُؤَادِ رَحْبِ الذَّرَاعِ
مِنْ ثَنَاءٍ كَالْبُرْدِ بُرْدِ الصَّنَاعِ حُسْنُهُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ
[الخفيف]

فقال محمد بن الهيثم: ومن لا يعطى على هذا ملكه؟ واللّه، لا بقي في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام، فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال:

لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلد، وقد كان عبد الله وجد عليه وأبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسهها بيده ترفعاً عنها فأغضبه وقال: يحتقر فعلي ويرفع علي؛ فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالكوت، فقال أبو تمام:

لَمْ يَبْقَ لِلصَّيْفِ لَا رَسْمٌ وَلَا طَلَلٌ وَلَا قَشِيبٌ فَيُسْتَكْسَى وَلَا سَمَلٌ
يُبْكِي الشَّبَابَ وَيُبْكِي اللَّهْوَ وَالْغَزْلُ عَذْلٌ مِنَ الدَّمْعِ أَنْ يُبْكِيَ الْمَصِيفُ كَمَا

(١) الهزيم: الرعد.

(٢) الخرق: الكريم الجواد.

(٣) السحا: غلاف الدماغ.

(٤) القيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة.

يُمْنَى الزَّمانِ انْقَضَى معروفها وغدَّتْ يُسْراه وهْي لنا من بعدها بَدَلْ
[البسيط]

فبلغت الأبياتُ أبا العَمَيْثِلَ شاعر آل عبد الله بن طاهر . فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمَّن له ما يُحِبُّه ، ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير ، أتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ، فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شرِّه والتوقي لدمِّه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السَّكن ، وقد قصدك عاقداً بك أمله ، مُعَمِّلاً إليك رِكاَبه ، مُتَعَباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يُلْزمك قضاء حقِّه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سُمع فيك منه ما سُمع إلا قوله :

يقول في قَوْمِسٍ^(١) صحبي وقد أخذتُ منا السُّرى^(٢) وخُطا المَهْرِيةِ^(٣) القُودِ
أَمْطَلِعَ الشَّمْسِ تبغى أن تؤمَّ بنا فقلت كلا ولكن مَطْلِعَ الجُودِ
[البسيط]

فقال له عبد الله : لقد نَبَّهت فأحسنْتَ ، وشفعت فلطفْتَ ، وعاتبْتَ فأوجعتْ ، ولك ولأبي تمام العُتْبَى ، اذْعُه يا غلام ، فدُعي له فنادمه يومه وأمر له بألفي دينار وما يحمله من الظَّهْر ، وخلع عليه خلعة تامَّة من ثيابه ، وأمر بِدَرْقَتِهِ^(٤) إلى آخر عمله .

أخبرني جحظة قال : حدثني ميمون بن هارون قال :

مر أبو تمام بمخنث يقول لآخر : جئتكَ أمس فاحتجبت عني ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغيم رُجِّي خَيْرُها . فتبيَّنت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى لينظمه في شعره فما لبثنا إلا أياماً حتى أُشِدَّتْ قوله :

ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً إِنَّ السماء تُرَجِّي حين تَحْتَجِبُ
[البسيط]

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابنُ عمي قالا : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال :

كنا عند دعبِل أنا والقاسم في سنة خمس وثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام ،

(١) القومس : عَلَم .

(٢) السُّرى : سير عامَّة الليل .

(٣) المَهْرِية : إبل سريعة الجري تنسب إلى مهرة بن حيدان .

(٤) البذرقة : الخفارة .

فذكرنا أبا تمام فثَلَبه وقال: هو سَرُوق للشعر، ثم قال لغلّامه: يا ثَقِيف هاتِ تلك المِخْلاة، فجاء بمِخْلاة فيها دفاتر، فجعل يُمرّها على يده حتى أخرج منها دفتراً فقال: اقرؤوا هذا، فنظرنا فيه فإذا فيه: قال مُكْنِف أبو سُلَمَى من ولد زهير بن أبي سلمى، وكان هجا دُفافة العَبَسِيّ بأبيات منها:

إِن الضَّرَاطَ بِهِ تَصَاعَدَ جَدُّكُمْ فتعاضموا ضَرَطاً بني القعقاع
[الكامل]

قال: ثم مات دُفافة بعد ذلك فرثاه فقال:

أبعدَ أبي العباس يُستعذبُ الشُّعْرُ فما بعده للدهر حُسْنٌ ولا عُذْرُ
ألا أيها الناعي دُفافة والنَّدَى تَعِسْتَ وَشَلَّتْ من أناملك العَشْرُ
أتُنْعَى لنا من قيسٍ عيلانَ صخرةٍ تَفَلَّقَ عنها من جبالِ العِدا الصَّخْرُ
إذا ما أبو العباس خَلَّى مكانه فلا حملتُ أنثى ولا نالها طُهرُ
ولا أمطرتُ أرضاً سماءً ولا جرتُ نجومٌ ولا لَذْتُ لشاربها الخَمْرُ
كأنَّ بني القعقاع يوم مُصابه نجومٌ سماءٍ خَرَّ من بينها البَدْرُ
تُؤَفِّيتُ الآمالَ يوم وفاته وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفَرُ
[الطويل]

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في قصيدته:

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدَحَ الأمرُ وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ
[الطويل]

أخبرني الصولي قال: حدثني محمد بن موسى قال: كان أبو تمام يعشق غلاماً خَزَرِيّاً للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاماً رومياً لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه فقال له: واللّه لئن أعتقت إلى الروم لنرُكُضَنَّ إلى الخَزَرِ، فقال له الحسن: لو شئتُ حَكَمْتُنا واحتكمت، فقال له أبو تمام: أنا أشبهك بدواد عليه السلام وأشبه نفسي بخصمه. فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منشور فلا، لأنه عارض لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أبا عليٍّ لَصَرْفِ الدَّهْرِ والغَيْرِ وللحوادثِ والأيامِ والعِبَرِ
أذكرُ نَبِيَّ أَمْرَ داودٍ وكنت فتى مُصَرَّفَ القلبِ في الأهواءِ والفكرِ
أعندك الشَّمْسُ لم يحظَ المغيبُ بها وأنت مضطربُ الأحشاءِ للقَمَرِ

إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى
 إنَّ القُطُوبَ^(٢) له مني مَحَلُّ هَوَى
 ورُبَّ أَمْنَع منه جانباً وِجْمَى
 جَرَدْتُ فيه جنودَ العزمِ فانكشفت
 سبحانَ من سَبَّحْتُهُ كُلَّ جارِحَةٍ
 أنت المقيمُ فما تغدو رواحله
 جاذر^(١) الرومِ أعَنَقْنَا إلى الخَزَرِ
 يَحُلُّ مني مَحَلَّ السَّمْعِ والبَصَرِ
 أمسى ولكنَّه مني على خطرِ
 منه غَيَابَتُهَا عن نَبْكَةٍ^(٣) هَدَرِ
 ما فيك من طَمَحانِ الأيْرِ والنَّظَرِ
 وأیره أبدأ منه على سَفَرِ
 [البسيط]

أخبرني الصولي قال: حدثني عبد الله بن الحسين قال: حدثني وهب بن سعيد قال:

جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا علي أنت الذي تطعن على من يقول:

شهدتُ لقد أقوتُ مغانيكُم بعدي
 ومَحَّتْ^(٤) كما مَحَّتْ وَشَائِعُ^(٥) من بُرْدِ
 وأنجدتُم من بعد إتهامِ دارِكُم
 فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجدِ
 [الطويل]

فصاح دعبل: أحسن والله، وجعل يردد:

فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

ثم قال: رحمه الله، لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت: إنه أشعر الناس.

أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن يزيد قال: مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده:

ما زالت الأيام تخبر سائلاً
 أن سوف تفجع مُسْهِلاً^(٦) أو عاقِلاً^(٧)
 مجدُّ تَأَوَّب طارِقاً حتى إذ
 قلنا أقام الدهرُ أصبح راحِلاً

(١) جاذر: مفردا جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية.

(٢) القطوب: مفردا القُطْبَة وهو سيد القوم، أو مدار الشيء وملاكه.

(٣) النبكة: التل الصغير، أو هي أكمة محددة الرأس وربما كانت حمراء. جمعها نَبْكَ وَنَبْكَ.

(٤) مَحَّتْ: بَلَيْت.

(٥) الوشائع: مفردا الوشيعَة وهي الطريقة في البرد.

(٦) المُسْهِل: هو الذي أتى السهل.

(٧) العاقل: من صعد إلى الجبل العالي واحتفى به.

نجمان شاء اللّهُ ألا يَطْلَعَا
 إِنَّ الفَجِيعَةَ بالرياض نواضراً
 لو يُنْسَبَان لكان هذا غارباً
 لهفي على تلك المخايلِ منهما
 لغدا سكونُهما حَجِي (١) وصباهما
 إِنَّ الهلال إذا رأيت نموّه
 إلا ارتدادَ الطرف حتى يافُلا
 لأجلُ منها بالرياض دَوَابِلا
 للمكْرُماتِ وكان هذا كاهِلا
 لو أمْهَلْتُ حتى تكونَ شَمَائِلا
 حِلْماً وتلك الأريحيّة نائِلا
 أيقنت أن سيكونُ بذراً كامِلا
 [الكامل]

صوت

باللّهِ قُلْ يَاطْلُلُ أهْلُكَ ماذا فعَلُوا
 فإن قَلْبِي حَذِرٌ من أن يَبِينُوا، وَجِلُّ

[مجزوء الرجز]

عروضه من الرجز، الشعر لأبي الشَّيْص، والغناء لأحمد بن يحيى المكي خفيف
 ثقیل بالوسطی من نسخة عمرو بن بانة الثانية، ومن رواية الهشامي:

(١) الحَجِي: العقل، والحكمة والمقدار جمعها أحجاء.

أخبار أبي الشيص ونسبه

اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم بن نَهْشَل، وقيل: ابن بُهَيْس بن خَراش بن خالد بن عبد بن دُعْبَل بن أنس بن خُزيمة بن سَلامان بن أسلم بن أَقْصَى بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر بن ثعلبة.

وكان أبو الشيص لقباً غلب عليه، وكنيته أبو جعفر، وهو عم دُعْبَل بن علي بن رَزهين لَحاً. وكان أبو الشيص من شعراء عصره، متوسط المَحَل فيهم، غير نبيه الذكر، لوقوعه بين مُسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس فَخَمَل، وانقطع إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعي، وكان أميراً على الرِّقَّة، فمدحه بأكثر شعره، فقلماً يُروى له في غيره، وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره.

ولأبي الشيص ابنٌ يقال له عبد الله شاعر أيضاً صالح الشعر، وكان منقطعاً إلى محمد بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، ومن جهته خرج إلى الناس.

وعمي أبو الشيص في آخر عمره، وله مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده، نذكر منها مختارها مع أخباره.

وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه، فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامري قال له: من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشيص فكذب، والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان، وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك. وهكذا ذكر ابن المعتز، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره، ولا هو بساقط، ولكن هذا سرف شديد.

أخبرني عمي قال: حدثنا الكراني، عن النضر بن عمر قال.

قال لي أبو الشيص: لما مدحت عقبة بن جعفر بقصيدتي التي أولها:

لا تُنْكِرِي صَدِّي ولا إِعْراضِي ليس المُقِلُّ عن الزمانِ بِراضٍ
[الكامل]

أمر بأن تُعَدَّ وأعطاني لكل بيت ألف درهم.

أخبرني الحسن بن علي قال:

حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: أنشدت إبراهيم بن المدبر أبيات أبي يعقوب الخُرَيْمِي التي يَرِثي بها عينه يقول فيها:

إذا ما مات بعضُك فابكِ بعضاً فإن البعض من بعض قريب
[الوافر]

فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه:

يا نفسُ بَكِّي بأدْمُعِ هُتْنٍ^(١) وواكِفٍ^(٢) كالجُمان في سَنَنِ
على دليلى وقائدي ويدي ونور وجهي وسائس البدن
أبكي عليها بها مخافة أن تَقْرِنَنِي وَالظَّلَامَ فِي قَرَنٍ^(٣)
[المنسرح]

وقال أبو هِفَّان: حدثني دعبل أن امرأة لقيت أبا الشيص فقالت: يا أبا الشيص عمتٌ بعدي، فقال: قَبَحَكَ اللَّهُ دعوتني باللقب وعيرتني بالضرر.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي، عن أحمد بن عُبَيْد قال:

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس فقالوا: لِيُنْشِدْ
كُلُّ واحد منكم أجودَ ما قاله من الشعر، فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني
أخبركم بما يُنْشِدُ كُلُّ واحد منكم قبل أن ينشد. قالوا: هاتِ، فقال لمسلم: أما أنت يا
أبا الوليد فكأنني بك قد أنشدت:

إذا ما عَلَتْ مِئاً ذُوباًهُ واحِدٍ وإن كان ذا حلم دَعَتْهُ إلى الجَهِلِ
هل العيشُ إلّا أن تَروحَ مع الصِّبَا وتغدو صريعَ الكأس والأعين التُّجَلِ^(٤)
[الطويل]

قال: وبهذا البيت لُقِّبَ صريع الغواني، لقبه به الرشيد. فقال له مسلم: صدقت. ثم أقبل على أبي نواس فقال له: كأنني بك يا أبا علي قد أنشدت:

لا تَبْكِ ليلي ولا تَطْرَبِ إلى هِنْدٍ واشربْ على الورد من حمراء كالوردِ
تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سُكْرَيْنِ من بُدٍّ
[البسيط]

(١) الهُتْنُ: المُنْصَبَةُ.

(٢) الواكِف: المقطر أي السائل قليلاً قليلاً من الدمع.

(٣) القَرَن: هو الحبل الذي يربط به البعيران معاً.

(٤) التُّجَل: العيون الواسعة.

فقال له: صدقت، ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا علي فكأنني بك
تنشد قولك:

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلَكَا لَا أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكَا
لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
[الكامل]

فقال: صدقت، ثم أقبل على أبي الشيص فقال له: وأنت يا أبا جعفر فكأنني بك
وقد أنشدت قولك:

لَا تُنْكِرِي صَدِّي وَلَا إِعْرَاضِي لَيْسَ الْمُقِلُّ عَنِ الزَّمَانِ بِرَاضٍ
[الكامل]

فقال له: لا، ما هذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته قالوا: فأنشدنا ما
بدا لك، فأنشدهم قوله:

صوت

وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثَ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمَ
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٌ حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلَيْلُ مَنِي اللَّوْمِ
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصَرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ
وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهْنَتْ نَفْسِي عَامِدًا مَا مِنْ يَهُونَ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ
[الكامل]

لعريب في هذا الشعر لحنان ثقيل أول ورمل، قال: فقال أبو نواس: أحسنت
والله ولجودت، وحياتك لأسرقن هذا المعنى منك، ثم لأغلبنك عليه فيشتهر ما
أقول، ويموت ما قلت، قال: فسرق قوله:

وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثَ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمَ
سَرَقًا خَفِيًّا فَقَالَ فِي الْخَصِيبِ: [الكامل]

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ
[الطويل]

فسار بيت أبي نواس وسقط بيت أبي الشيص.

نسخت من كتاب جدي لأمي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطه: حدثني
الحسن بن سعد قال:

حدثني رزين بن عليّ الخزاعي أخو دعبل قال: كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصاري، فقال أبو نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتك المُخزِية، قال: وما هي؟ قال: الضادية، فما خطر بخلدي قولك.

ليس المقلُّ عن الزمان براضٍ

إلا أخزيتك استحساناً لها، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته - وقد كان ثقفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام - ثم يقول لها عُدِّي لي المخزيات، فتعدّ قوله:

أغرُّ أروغ يُستسقى الغمامُ به لو قارع الناس عن أحسابهم قَرعا
[السيط]

وما أشبهها من شعره. قال أبو الشيص: لا أقول إنها ليست عندي عَقْدُ دُرٍّ مَفْصَلٍ، ولكني أكثر غيرها، ثم أنشده قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
[الكامل]

الآبيات المذكورة، فقال له أبو نواس: قد أردتُ صرْفَكَ عنها فأبيت أن تَحَلِّيَ عن سَلْبِكَ أو تُدْرِكَ في هَرَبِكَ، قال: بل أقول في طَلبي، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نمطاً خُسْروانياً مُذهَباً حسناً فكيف تركت:

في رداءٍ من الصفيح صَقِيلٍ^(١) وقميصٍ من الحديد مُذَالٍ^(٢)
[الخفيف]

قال: تركته كما ترك مختار الدُّرَّتين إحداهما بما سبق في الحاظه وزُيِّن في ناظره.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابنُ مهرويه قال: حدثني أبي قال:

حدثني من قال لأبي نواس: مَنْ أشعر طبقات المحدثين؟ قال: الذي يقول:

يطوف علينا بها أخوٌّ يده من الكأس مَخْضُوبَتانِ
[المقارب]

والشعر لأبي الشيص.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهاني قال: حدثني أبي قال:

(٢) المُذال: طويل الذيل.

(١) الصقيل: المصقول.

دخل أبو الشيص على أبي دُلف وهو يلاعب خادماً له بالشطرنج، فقيل له: يا أبا الشيص سَلْ هذا الخادم أن يَحْلَ أزرار قميصه، فقال أبو الشيص: الأمير أعزّه الله أحق بمسألته، قال: قد سألته فزعم أنه يخاف العين على صدره فقل فيه شيئاً، فقال:

وشادن كالبدر يجلو الدُجى في الفَرْقِ منه المِسْكُ مَذْرُور
يُحاذِر العين على صدره فالجَيْبُ منه الدَّهْرُ مَزْرُور^(١)

[السريع]

فقال أبو دلف: وحياتي لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم، فقال الخادم: قد والله أحسن كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت، فضحك وأمر له بخمسة آلاف أخرى.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني علي بن سعد بن إياس الشيباني قال:

تعشَّق أبو الشيص محمد بن رزين قينةً لرجل من أهل بغداد، فكان يختلف إليها وينفق عليها في منزل الرجل حتى أتلف مالاً كثيراً، فلما كُفَّ بصره وأخفق جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجه ومنعه من الدخول، فجاءني أبو الشيص فشكا إليّ وَجَدَه بالجارية واستخفاف مولاها به، وسألني المضيّ معه إليه، فمضيت معه فاستؤذن لنا عليه فأذن، فدخلت أنا وأبو الشيص فعاتبته في أمره وعظمت عليه حقه، وخوفته من لسانه ومن إخوانه، فجعل له يوماً في الجمعة يزورها فيه، فكان يأكل في بيته ويحمل معه نبيذه ونَقْلَه، فمضيت معه ذات يوم إليها؟ فلما وقفنا على بابهم سمعنا صراخاً شديداً من الدار، فقال لي: ما لها تصرخ، أترأه قد مات لعنه الله؟ فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا، فإذا هو قد حَسَرَ كُمَيْه، وبیده سوط وقال لنا: ادخلا فدخلنا، وإنما حمّله على الإذن لنا الفَرْقُ^(٢) مني، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخل يضربها، فاستمعنا عليه وأطلعنا فإذا هي مشدودة على سُلَم، وهو يضربها أشدَّ ضرب، وهي تصرخ وهو يقول: وأنت أيضاً فاسرقي الخبز، فاندفع أبو الشيص على المكان يقول في ذلك:

يقول والسوط على كَفِّهِ قد حَزَّ في جلدتها حَزًّا
وهي على السُلَم مشدودة وأنت أيضاً فاسرقي الحُبْزَا

[السريع]

(١) المزور: المنشور.

(٢) الفَرْق: الخوف والفرع.

قال: وجعل أبو الشيص يرددهما، فسمعهما الرجل فخرج إلينا مبادراً وقال له: أنشدني البيتين اللذين قلتكما، فدافعه فحلف أنه لا بد من إنشادهما، فأنشده إياهما فقال لي: يا أبا الحسن أنت كنت شفيح هذا وقد أسعفتك بما تُحبُّ، فإن شاع هذان البيتان فضحتني، فقل له يقطع هذا ولا يُسمعهما وله عليّ يومان في الجمعة، ففعلت ذلك ووافقته عليه، فلم يزل يتردد إليه يومين في الجمعة حتى مات.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن الكاتب، عن أبيه قال:

كانت لأبي الشيص جارية سوداء اسمها تير وكان يتعشقها وفيها يقول:

لم تنصفي يا سَمِيَّةَ الذَّهَبِ تَتَلَفَ نَفْسِي وَأَنْتِ فِي لَعَبِ
يا ابنةَ عَمِّ الْمَسْكِ الذَّكِيِّ وَمَنْ لَوْلَاكَ لَمْ يُتَّخَذْ وَلَمْ يَطْبِ
نَاسَبَكَ الْمَسْكُ فِي السَّوَادِ وَفِي الرِّبِ حِ فَاكْرِمْ بِذَاكَ مِنْ نَسَبِ
[المنسرح]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن عمه قال:

كان أبو الشيص صديقاً لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمي، وهما حينئذٍ مُمْلِقَان^(١)، فنال محمد بن إسحاق مرتبةً عند سلطانه واستغنى، فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب إليه:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى قَرِيبِي وَبَعْدِكَ مِنْهُ يَا ابْنَ إِسْحَاقِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي مَتَى تُجِدِّي عَلَيَّ وَقَدْ أَصْبَحْتَ رَبَّ دَنَانِيرٍ وَأَوْرَاقِ
تُجِدِّي عَلَيَّ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ رَاقٍ وَالتَفَّتِ السَّاقُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالسَّاقِ
يَوْمٌ لِعَمْرِي تُهْمُ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ وَلَيْسَ يَنْفَعُ فِيهِ رُقِيَّةُ الرَّاقِي
[البسيط]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني أبو العباس بن الفرات قال:

كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حفص على دابةٍ هزبل وخلفه غلامٌ له وشيخ على بغل له هرم، وما فيهم إلا نضو^(٢)، فأقبل عليّ

(١) مملقان: متوددان.

(٢) النضو: المهزول من الإبل وغيرها.

عبيدُ اللَّهِ بنُ سليمانَ فقال: كأنهم واللّه صِفَةُ أبي الشيص حيث يقول:

أَكَلَ الْوَجِيفُ^(١) لَحْمَهَا وَلَحْمَهُمْ فَأَتَوْكَ أَنْقَاضاً عَلَى أَنْقَاضٍ
[الكامل]
وقال عبد الله بن المعتز: حدثني أبو مالك عبد الله قال: قال لي عبد الله بن الأعمش.

كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعي يشرب، فلما ثمل نام عنده. ثم انتبه في بعض الليل فذهب يَدِبُّ إلى خادم له، فوجأه بسكين، فقال له: ويحك قتلتنني واللّه، وما أحب واللّه أن أفتضح أني قُتِلْتُ في مثل هذا ولا تفتضح أنت بي، ولكن خذ دَسْتَجَةً^(٢) فاكسرها ولوّثها بدمي واجعل زجاجها في الجرح، فإذا سئلت عن خبري فقل: إني سقطت في سُكري على الدَسْتَجَةِ فانكسرت فقتلتني، ومات من ساعته، ففعل الخادم ما أمره به، ودُفِن أبو الشيص، وجزع عقبة عليه جزعاً شديداً، فلما كان بعد أيام سَكَر الخادمُ فَصَدَّقَ عقبة عن خبره وأنه هو قتله، فلم يُلبّثه أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتله.

صوت

هَلَا سَأَلْتَ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ وَالرَّسَمَ بَعْدَ تَقَادُّمِ الْأَحْوَالِ
دِمْنًا تَهِيْجُ رَسْمُهَا بَعْدَ الْبَلَى طَرِبًا وَكَيْفَ سَوَالُ أَعْجَمَ بِالِي
يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا الْبِطَاحِ تَأَوُّدَا قُبَّ الْبُطُونِ رَوَاجِحَ الْأَكْفَالِ
مَنْ كُلَّ أَنْسَةِ الْحَدِيثِ حَيَّةٍ لَيْسَتْ بِفَاحِشَةٍ وَلَا مِثْفَالِ
أَقْصَى مَذَاهِبَهَا إِذَا لَاقَيْتَهَا فِي الشَّهْرِ بَيْنَ أُسْرَةٍ وَحِجَالِ
وَتَكُونُ رِيْقُتُهَا إِذَا نَبَّهَتْهَا كَالشَّهْدِ أَوْ كَسَلَاةِ الْجِرْيَالِ
[الكامل]

المتفال: المنتنة الريح، والجريال فيما قيل: اسم للون الخمر، وقيل: بل هو من أسمائها، والدليل على أنه لونها قول الأعشى:

وَسَلَاةٌ مِمَّا تَعْتَقُ بَابِلُ كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبَتْهَا جِرْيَالُهَا
[الكامل]

قال سِمَاكُ بن حرب: حدثني يُحَنِّسُ بن مَتَّى الجيري راوية الأعشى: أنه سأله

(١) الوجيف: العدو أو السير السريع. وأراد هنا الإبل السريعة.

(٢) الدستجة: الأناء الكبير الواسع من الزجاج.

عن هذا البيت فقال: سلَبْتُهَا لونها: شَرِبْتُهَا حمراء وبُلْتُهَا بيضاء.

الشعر في هذا الغناء المذكور للكميت بن زيد، والغناء لابن سريج ثقیل أول بالبنصر عن عمرو بن بانه، وذكر ابن المكي أنه لابن مُحَرِّز وفيه لَعَطَرْد خفيف ثقیل، وهذا الشعر من قصيدة للكميت يمدح بها مَخلد بن يزيد بن المهلب يقول فيها:

قَادَ الْجِيُوشَ لْخَمْسَ عَشْرَةَ حَجَّةً	وَلِدَاتُهُ ^(١) عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ
قَعَدْتُ بِهِمْ هَمَّائُهُمْ وَسَمْتُ بِهِ	هَمَّمُ الْمَلُوكِ وَسَوْرَةُ الْأَبْطَالِ
فَكَأَنَّمَا عَاشَ الْمَهْلَبُ بَيْنَهُمْ	بِأَغْرَقَاسٍ مِثَالَهُ بِمِثَالِ
فِي كَفِّهِ قَصَبَاتٌ كُلٌّ مَقْلَدٍ	يَوْمَ الرِّهَانِ وَفَوْزُ كُلِّ نِصَالٍ ^(٢)
وَمَتَى أَرِزْنُكَ بِمَعْشَرٍ وَأَزْنَهُمْ	بِكَ أُلْفٍ وَزَنْكَ أَرْجَحَ الْأَثْقَالِ

[الكامل]

(١) اللدات: الأقران/ الأتراب.

(٢) النصال: مفردها النصل وهو حديدة السهم.

ذكر الكميت ونسبه وخبره

هو الكميت بن زيد بن حُنَيْس بن مُجَالِد بن وَهَيْب بن عمرو بن سُبَيْع، وقيل: الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن دُؤَيْبَة بن قيس بن عمرو بن سُبَيْع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر مقدّم عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مضر وألسنتها، والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام المفآخرين بها، وكان في أيام بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية ومات قبلها، وكان معروفاً بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميات من جيّد شعره ومختاره، ولم تزل عصبته للعَدَنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دُعْبَلُ وابنُ أَبِي عُيَيْنَة قصيدته المذهبة بعد وفاته، وأجابهما أبو الزلفاء البصري مولى بني هاشم عنها وذلك يذكر في موضع آخر يصلح له من هذا الكتاب إن شاء الله.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد، عن أبي حاتم، عن الأصمعي.

عن خَلْف الأَحمر: أنه رأى الكميت يُعلم الصبيان في مجسّد بالكوفة، قال ابن قتيبة في خبره خاصة: وكانت بينه وبين الطَّرْمَاح خُلْطَة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين، قال: فحدثني بعض أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكميت قال: أنشدت الكميت قول الطَّرْمَاح:

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرْمَاحِ أَخْلَقْتُ عُرَا المجد واسترخى عِنَانُ القصائد

[الطويل]

قال: إي والله وعِنَانُ الخطابة والرّواية. قال: وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة: كان الكميت شيعياً عصبياً عدنانياً من شعراء مضر متعصباً لأهل الكوفة، والطَّرْمَاح خارجي صُفْرِي^(١) قحطاني عسبي لقحطان من شعراء اليمن

(١) الصُفْرِي: المنسوب إلى عبد الله بن صفار من الحرورية من الخوارج.

متعصب لأهل الشام، فقليل لهما: ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء^(١)؟ قالاً: اتفقنا على بعض العامة.

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا أبو عمر العُمري، عن لقيط قال:

اجتمع الكميت بن زيد وحماد الراوية في مسجد الكوفة، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها، فخالفه حماد في شيء ونازعه، فقال له الكميت: أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظن؟ هذا والله هو اليقين، فغضب الكميت ثم قال له: ألكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروي؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عمرو تروي؟ فقال حماد قولاً لم يحفظه، فجعل الكميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه، فإذا قال: لا، أنشده من شعره جزءاً جزءاً حتى ضجرنا، ثم قال له الكميت فإني سائلك عن شيء من الشعر، فسأله عن قول الشاعر:

طرحوا أصحابهم في ورطةٍ قَذَفَكَ الْمَقْلَةَ شَطْرَ الْمُعْتَرِكِ
[الرم]

فلم يعلم حماد تفسيره، فسأله عن قول الآخر:

تَدَرَّيْنَا بِالْقَوْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا تَدَرَّيْنِ وَلِدَانَا تَصِيدُ الرَّهَادِنَا
[الطويل]

فأفحم حماداً، فقال له: قد أجَلتْكَ إلى الجمعة الأخرى، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرهما، وسأل الكميت أن يفسرهما له فقال: المَقْلَةُ: حصاة أو نواة من نوى المُقْلِ يحملها القوم معهم إذا سافروا، وتوضع في الإناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء. والشَّطْرُ: النصيب، والمُعْتَرِكُ: الموضع الذي يختصمون فيه في الماء فيلقونها هناك عند الشرِّ، وقوله: تَدَرَّيْنَا يعني النساء أي خَتَلْنَا فرميننا، والرَّهَادُنُ: طير بمكة كالعصافير.

وكان خالد بن عبد الله القسري - فيما حدثني به عيسى بن الحسين الوراق قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الفزاري، عن ابن الإعرابي، وذكره محمد بن أنس السلامي، عن المُسْتَهْلَ بن الكُميت، وذكره ابن كناسة عن جماعة من بني أسد.

(١) هوّموا: التهويم: هزّ الرأس من النعاس.

- أن الكميت أنشد قصيدته التي يهجو فيها اليمن وهي :

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يَا مَدِينَا

فأحفظته عليه، فروى جارية حسناء قصائده الهاشميات وأعدّها ليُهديها إلى هشام، وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني أمية، وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها :

فِيَا رَبِّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُبْتَغَى وَيَا رَبَّ هَلْ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ
[الطويل]

وهي طويلة، يرثى فيها زيد بن علي وابنه الحسين بن زيد ويمدح بني هاشم، فلما قرأها أكبرها وعظمت عليه واستنكرها، وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده، فلم يشعر الكميت إلا والخيل مُحْدَقَةٌ بداره، فأخذ وحبس في المحبس، وكان أباؤ بن الوليد عاملاً على واسط، وكان الكميت صديقه، فبعث إليه بسلام على بعل وقال له: أنت حرٌّ إن لحقته والبغل لك، وكتب إليه: قد بلغني ما صرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله جل وعزّ، وأرى لك أن تبعث إلى حُبّى - يعني زوجة الكميت، وهي بنت نُكَيْف بن عبد الواحد وهي ممن يتشيع أيضاً - فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت، فإني أرجو أن لا يؤبه لك. فأرسل الكميت إلى أبي وضّاح حبيب بن بُدَيْل وإلى فتیان من بني عمه من مالك بن سعيد، فدخل عليه حبيب فأخبره الخبر وشاوره فيه، فسدد رأيه، ثم بعث إلى حُبّى امرأته فقصص عليها القصة وقال لها: أي ابنة عمّ إن الوالي لا يُقدِّم عليك، ولا يُسلمك قومك، ولو خفّته عليك لما عرّضتك له. فألبسته ثيابها وإزارها وخمّرتة وقالت له: أقبل وأدبر، ففعل فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يُبسأ في كنفك فاخرج على اسم الله، وأخرجت معه جارية لها، فخرج وعلى باب السجن أبو وضّاح ومعه فتیان من أسد، فلم يؤبه له، ومشى والفتيان بين يديه إلى سِكَّة شبيب بناحية الكناس، فمر بمجلس من مجالس بني تميم، فقال بعضهم: رَجُلٌ وربّ الكعبة، وأمر غلامه فاتبعه. فصاح به أبو الوضّاح: يا كذا وكذا، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأوماً إليه بنعله، فولى العبد مدبراً، وأدخله أبو الوضّاح منزله، ولما طال على السجنان الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة: وراءك لا أمّ لك، فشقّ ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد فأخبره الخبر، فأحضر حُبّى فقال لها: يا عدوة الله احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدوّه، لأمثّلن بك ولأصنعن ولأفعلن، فاجتمعت بنو أسد إليه

وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خُدِعتْ؟ فخافهم فخلَّى سبيلها. قال: وسقط غراب على الحائط فنعب، فقال الكميت لأبي وضاح إني لمأخوذ، وإن حائطك لساقط، فقال: سبحان الله، هذا ما لا يكون إن شاء الله، فقال له: لا بد من أن تُحوِّلني، فخرج به إلى بني علقمة، وكانوا يتشيِّعون، فأقام فيهم، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب.

قال ابن الأعرابي: قال المُستهلّ: وأقام الكميت مدّة متواريًا، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه صاعدٌ غلامه، قال: وأخذ الطريق على القُطُطانة^(١)، وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها، فلما صار سُحَيْر صاح بنا: هَوِّمُوا يا فتیان، فَهَوِّمْنَا وقام يصلي، قال المستهل: فرأيت شخصاً فتضعضعت له فقال: ما لك؟ قلت: أرى شيئاً مقبلاً، فنظر إليه فقال: هذا ذئب قد جاء يستطعمكم، فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يدَ جزور فتعرَّقها، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه وارتحلنا، فجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ما له ويله؟ ألم نطعمه ونسقيه؟ وما أعرفني بما يريد، هو يعلمنا أننا لسنا على الطريق، تيامنُوا يا فتیان، فتيامنًا فسكن عَوَاؤُه، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام، فتواری في بني أسد وبني تمیم، وأرسل إلى أشراف قريش وكان سيدهم يومئذٍ عنبسة بن سعيد بن العاص، فمشت رجالاً قريش بعضها إلى بعض وأتوا عنبسة فقالوا: يا أبا خالد، هذه مكرمة قد أتاكَ الله بها، هذا الكميت بن زيد لسانٌ مُضَر، وكان أميرُ المؤمنين كتب في قتله فنجا حتى تخلص إليك وإلينا، قال: فمُرَّوه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء، فمضى الكميت فضرب فُسطاطه عند قبره، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال له: يا أبا شاعر، مكرمةٌ أتيتك بها تبلغ الثَّريَّا إن اعتقدتها، فإن علمتُ أنك تفي بها وإلا كتمتها، قال: وما هي؟ فأخبره الخبر وقال: إنه قد مدحكم عامّة وإياك خاصّة بما لم يُسمع بمثله، فقال: عليّ، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه في غير وقت دخول، فقال له هشام: أجئت لحاجة؟ قال: نعم، قال: هي مقضية إلا أن يكون الكميت، فقال: ما أحب أن تستثنى عليّ في حاجتي، وما أنا والكميت؟ فقالت أمه: والله لتقضين حاجته كائنه ما كانت، قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها، قال: هي الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عزّ وجلّ وأماني،

(١) القُطُطانة: موضع في العراق قرب الكوفة.

وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولاً لم يُقَلْ مثله، قال: قد أَمَّنْتُه وأجزت أمانك له فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا، فعقد له وعنده الأبرش الكلبي، فتكلم بخُطبة ارتجلها ما سُمع بمثلها قط، وامتدحه بقصيدته الرائية، ويقال إنه قالها ارتجالاً وهي قوله:

قف بالديار وقوف زائر

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ماذا عليك من الوقو ف بها وأنك غير صاغر
دَرَجَتْ عليها الغاديا تُ الرائحات من الأعاصر

[مجزوء الكامل]

وفيهما يقول:

فالآن صرتُ إلى أميِّ — عة والأمور إلى المصاير

[مجزوء الكامل]

وجعل هشام يغمز مسلمة بقضيبي في يده فيقول: اسمع اسمع، ثم استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فأنشده قوله:

سأبكيك للدنيا وللدين إنني رأيت يدَ المعروف بعدك شَلَّتْ
فدامتُ عليك بالسلام تحيَّةً ملائكةُ الله الكرام وصَلَّتْ

[الطويل]

فبكى هشام بكاء شديداً، فوثب الحاجب فسكته، ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً، فحشدت له المُضَرِّيَّة بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته، وأنه لا سلطان له عليهم. قال: وجمعت له بنو أمية بينها مالا كثيراً، قال: ولم يُجمع من قصيدته تلك يومئذٍ إلا ما حفظه الناس منها فألف، وسئل عنها فقال: ما أحفظ منها شيئاً، إنما هو كلام ارتجلته.

فقال وودَّع هشاماً وأنشده قوله فيه:

ذكر القلب إلفه المذكورا

قال محمد بن كُناسة: وكان الكميت يقول: سبقت الناس في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى ما سُبِّقْتُ إليه في صفة الفرس حين أقول:

يَبْحَثُ التُّرْبَ عَنْ كَوَاسِرِهِ فِي الْمَشْرَبِ لَا يُجْشِمُ السُّقَاةَ الصَّفِيرَا
[الخفيف]

هذه رواية ابن عمّار، وقد روى فيه غير هذا، وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكميت غير هذا، نسخته من كتاب محمد بن يحيى الخزاز قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الحاسب قال: حدثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أمية البلخي قال:

كان حكيم بن عياش الأعور الكلبي ولياً بهجاء مضر، فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم، وكان الكميّ يقول: هو والله أشعر منكم، قالوا: فأجب الرجل. قال: إن خالد بن عبد الله القسريّ محسن إليّ فلا أقدر أن أرد عليه، قالوا: فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء، وأنشدوه ذلك، فحمي الكميّ لعشيرته فقال المذهبة:

أَلَا حَيَّيتِ عَنَّا يَا مَدِينَا

فأحسن فيها وبلغ خالداً خبرها فقال: لا أبالي ما لم يجر لعشيرتي ذكراً، فأنشدوه قوله:

وَمِنْ عَجَبٍ عَلَيَّ لِعَمْرُأَمْ	عَذَّتْكَ وَغَيْرَ هَاتِيَا يَمِينَا
تَجَاوَزْتَ الْمِيَاءَ بِلَا دَلِيلٍ	وَلَا عَلِمَ تَعْسُفَ مُخْطِئِينَا
فَإِنَّكَ وَالتَّحَوُّلُ مِنْ مَعَدٍّ	كَهَيْلَةٍ قَبْلَنَا وَالحَالِبِينَا
تَخَطَّتْ خَيْرَهُمْ حَلَباً وَنَسْأاً	إِلَى الْوَالِي الْمَغَادِرِ هَارِبِينَا
كَعَنَزِ السَّوَاءِ تَنْطَحُ عَالِفِيهَا	وَتَرْمِيهَا عَصِيُّ الذَّابِحِينَا

[الوافر]

فبلغ ذلك خالداً فقال: فعلها، والله لأقتلنّه، ثم اشترى ثلاثين جارية بأعلى ثمن، وتخيرهن نهايةً في حسن الوجوه والكمال والأدب، فروّاهن الهاشميات، ودسهن مع نخّاس إلى هشام بن عبد الملك، فاشتراهن جميعاً، فلما أنس بهن استنطقهن فرأى فصاحة وأدباً، فاستقرأهن القرآن فقرأن، واستنشدهن الشعر فأنشدنه قصائد الكميّ الهاشميات، فقال: ويلكن، من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميّ بن زيد الأسدي، قال: وفي أي بلد هو؟ قلن: في العراق ثم بالكوفة، فكتب إلى خالد وهو عامله على العراق: ابعث إليّ برأس الكميّ بن زيد، فبعث خالد إلى الكميّ في الليل فأخذه وأودعه السجن، ولما كان من الغد أقرأ من

حضره من مُضر كتابَ هشام، واعتذر إليهم من قتله وأذنه في إنفاذ الأمر فيه في غد، فقال لأبان بن الوليد البجلي، وكان صديقاً للكميت: انظر ما ورد في صديقك، فقال: عزّ عليّ واللّه به، ثم قام أبان فبعث إلى الكميت فأنذره، فوجّه إلى امرأته.

ثم ذكر الخبر في خروجه ومقامها مكانه كما ذكر من تقدمه، وقال فيه: فأتى مسلمة بن عبد الملك فاستجار به، فقال: إني أخشى أن لا ينفعك جوارى عنده. ولكن استجر بابنه مسلمة بن هشام، فقال: كن أنت السفير بيني وبينه في ذلك، ففعل مسلمة وقال لابن أخيه: قد أتيتك بشرف الدهر واعتقاد الصنعة في مضر، وأخبره الخبر، فأجاره مسلمة بن هشام، وبلغ ذلك هشاماً فدعا به ثم قال: أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟ فقال: كلا ولكني انتظرت سكون غضبه، قال: أحضرني الساعة فإنه لا جوار لك، فقال مسلمة للكميت: يا أبا المُستهل، إن أمير المؤمنين أمرني بإحضارك، قال: أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلا ولكني أحتال لك، ثم قال له: إن معاوية بن هشام مات قريباً، وقد جزع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان من الليل فاضرب رُواقك على قبره، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدّمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولوا: هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحقّ من أجاره. فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر فقال: من هذا؟ فقالوا لعلّه مستجير بالقبر، فقال: يجار من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له، فقليل: فإنه الكميت قال: يُحضر أعنف إحضار، فلما دُعِيَ به رَبط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر، وهم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا، وقد مات ومات حظّه من الدنيا، فاجعله هبة له ولنا ولا تفضحنا فيمن استجار به. فبكى هشام حتى انتحب، ثم أقبل على الكميت فقال له: يا كميت أنت القائل:

وإلا تقولوا غيرها تعرّفوا نواصيها تردي بنا وهي شُرْبُ

[الطويل]

لا واللّه ولا أتان من أتني الحجاز وحشيّة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: أما بعد فإنني كنت أتدهدى في غمرة، وأعوم في بحر عواية، أخنى عليّ خطلها، واستفزني وهلها، فتحيّرت في الضلالة، وتسكّعت في الجهالة، مُهرّعا عن الحق، جائراً عن القصد، أقول الباطل ضلالاً، وأفوه بالبهتان وبالأ، وهذا مقام العائذ مُبصر الهدى ورافض العماية، فاغسل عني يا أمير المؤمنين

الْحَوْبَةُ بِالتَّوْبَةِ، وَاصْفَحْ عَنِ الزَّلَّةِ، وَاعْفُ عَنِ الْجُرْمَةِ ثُمَّ قَالَ:

كَمْ قَالَ قَائِلَكُمْ لَعَاً لَكَ عِنْدَ عَشْرَتِهِ لِعَاثِرُ
وَعَفَرْتُمْ لَذَوِي الذَّنْوِ بَ مِنْ الْأَكَابِرِ وَالْأَصْغَارِ
أَبْنِي أُمِّيَّةً إِنَّكُمْ أَهْلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَوَامِرِ
ثَقَّتِي لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ الْعِشَائِرِ
أَنْتُمْ مَعَادُنُ لِلْخِلَا فَةٌ كَابِرًا مِنْ بَعْدِ كَابِرِ
بِالتَّسْعَةِ الْمَتَابَعِي مِنْ خِلَافٍ وَبَخِيرٍ عَاشِرِ
وَالِى الْقِيَامَةِ لَا تَزَا لَ لِشَافِعٍ مِنْكُمْ وَوَاتِرِ

[مجزوء الكامل]

ثم قطع الإنشاد وعاد إلى خطبته فقال: إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته، ومناط المنتجعين بحبله، من لا تحل حبوته لإساءة المذنبين فضلاً عن استشاطه غضبه بجهل الجاهلين. فقال له: ويلك يا كميث، من زين لك الغواية ودلاك في العماية؟ قال: الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزماً، فقال: إيه أنت القائل:

فِيَا مَوْقِدًا نَارًا لَغَيْرِكَ ضَوْؤُهَا وَيَا حَاطِبًا فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ

[الطويل]

فقال: بل أنا القائل:

إِلَى آلِ بَيْتِ أَبِي مَالِكٍ مُنَاخٌ هُوَ الْأَرْحَبُ الْأَسْهَلُ
نَمْتُ بِأَرْحَامِنَا الدَّخْلَا تِ مِنْ حَيْثُ لَا يُنْكَرُ الْمَدْخَلُ
بِبَرَّةٍ وَالنُّضْرِ وَالْمَالِكِي نَ رَهْطُهُمُ الْأَنْبَلُ الْأَنْبَلُ
وَبَابْنِي خُزَيْمَةَ بَذَرِ السَّمَا ِ وَالشَّمْسِ مِفْتَاحُ مَا نَأْمَلُ
وَجَدْنَا قُرَيْشًا قُرَيْشَ الْبِطَاحِ عَلَى مَا بَنَى الْأَوَّلُ الْأَوَّلُ
بِهِمْ صَلَحَ النَّاسُ بَعْدَ الْفَسَا دِ وَحَيْصُ^(١) مِنَ الْفَتْقِ مَا رَغَبَلُوا^(٢)

[المقارب]

قال له: وأنت القائل:

(٢) رعبل: قطع وشق.

(١) حيص: خاط وأصلح.

لا كعبد المليك أو كوليّد
مَنْ يَمُتْ لا يَمُتْ فقيداً ومن يحـ
أو سليمان بعد أو كهشام
يَ فلا ذو إل^(١) ولا ذو ذمام^(٢)
[الخفيف]

ويلك يا كميّ، جعلتنا ممن لا يرقّب في مؤمن إلّا ولا ذمّة، فقال: بل أنا
القائل يا أمير المؤمنين:

فالآن صرت إلى أميّة والأمر إلى المصايير
والآن صرت بها المصايير
يا ابن العقائل للعقا
من عبد شمس والأكا
إنّ الخلافة والإلا
دلفا من الشرف التلي
فحللت مُعْتَلِجَ البطا
فَ برغم ذي حسدٍ وواغر^(٣)
ئل والجحاجة^(٣) الأخايير
بَ كمُهتدٍ بالأمس حائر
مد إليك بالرّفد المَوافِر
ح وحلّ غيرك بالظّواهر
[مجزوء الكامل]

قال له: إيه فأنت القائل:

فقل لبني أمية حيث حلّوا
أجاع الله مَنْ أشبعتموه
بمرضيّ السياسة هاشميّ
وإن خفت المهنّد والقطيعة
وأشبع من بجوركُم أجيعة
يكون حياً لأُمّته ربيعا

[الوافر]

فقال: لا تثريب يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب، قال:
بماذا؟ قال: بقولي الصادق:

أورثته الحصان^(٥) أم هشام
وتعاطى به ابن عائشة البد
وكساه أبو الخلائف مروا
حسباً ثاقباً ووجهها نضيرا
رفأمسى له رقيباً نظيرا
نُ سناء المكارم المأثورا

(١) الإل: العهد.

(٢) الذمام: الحق.

(٣) الجحاجة: مفردها الجحجاح وهو السيد المسارع إلى الخيرات.

(٤) الواغر: المعتاض، الحاقد.

(٥) الحصان: المرأة العفيفة الوقورة.

لَمْ تَجْهَمْ لَهُ الْبِطَاحُ وَلَكِنْ وَجَدَتْهَا لَهُ مَغَاراً وَدُوراً

[الخفيف]

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال: هكذا فليكن الشعر، يقولها لسالم بن عبد الله بن عُمَر وكان إلى جانبه، ثم قال: قد رضيت عنك يا كميث. فقبل يده وقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد في تشريفي ولا تجعل لخالد عليّ إمارة، قال: قد فعلت، وكتب له بذلك، وأمر له بأربعين ألف درهم هشامية وثلاثين ثوباً وكتب إلى خالد أن يخلي سبيل امرأته ويُعطيها عشرين ألفاً وثلاثين ثوباً، ففعل ذلك.

وله مع خالد أخبار بعد قدومه الكوفة بالعهد الذي كُتِبَ له: منها أنه مرّ به خالد يوماً وقد تحدّث الناس بعزله عن العراق، فلما جاز تمثل الكميث:

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تُحِبُّ كَأَنَّهَا سَحَابَةٌ صِيفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَفْشَعُ

[الطويل]

فسمعه خالد فرجع وقال: أما والله لا تنقشع حتى يغشاك منها شُؤْبُوبٌ^(١) برد، ثم أمر به فجرّد فضربه مائة سوط ثم خلى عنه ومضى.

هذه رواية ابن حبيب.

وقد أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا النوفلي عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن قال: حدثني أبي قال:

كان هشام بن عبد الملك قد اتهم خالد بن عبد الله، وكان يقال: إنه يريد خلْعك، فَوُجِدَ بباب هشام يوماً رُقعة فيها شعر، فدُخِلَ بها على هشام فقرئت عليه وهي:

تَأْلُقُ بَرْقٌ عِنْدَنَا وَتَقَابِلَتْ	أَثَافٍ ^(٢) لِقِدْرِ الْحَرْبِ أَخْشَى اقْتِبَالَهَا
فَدُونُكَ قِدْرَ الْحَرْبِ وَهِيَ مُقَرَّةٌ	لَكَفَيْكَ وَاجْعَلْ دُونَ قِدْرِ جِعَالِهَا ^(٣)
وَلَنْ تَنْتَهِيَ أَوْ يَبْلُغَ الْأَمْرُ حَدَّهُ	فَنَلَّهَا بِرِسْلِ ^(٤) قَبْلَ أَنْ لَا تَنَالَهَا
فَتَجْشَمَ مِنْهَا مَا جَشِمْتَ مِنَ التِّي	بِسَوْزَاءِ هَرَّتْ نَحْوَ حَالِكَ حَالِهَا
تَلَاَفَ أُمُورَ النَّاسِ قَبْلَ تَفَاقُمِ	بِعَقْدَةِ حَزْمٍ لَا تَخَافُ انْجِلَالَهَا

(١) الشؤبوب: الدفعة من المطر.

(٢) الأثافي: مفردا الأثفية وهو الحجر الذي يوضع عليه القدر.

(٣) الجعال: الخرقعة تُنَزَّلُ بها القدر.

(٤) الرّسل: الرفق والتؤدة والهدوء.

فَمَا أَبْرَمَ الْأَقْوَامُ يَوْمًا لِحِيلَةٍ مِنْ الْأَمْرِ إِلَّا قَلَّ دُوكُ احْتِيَالِهَا
وَقَدْ تُخْبِرُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ بِسَرِّهَا وَإِنْ لَمْ تُبَحْ مَنْ لَا يَرِيدُ سُؤَالَهَا
[الطويل]

فأمر هشام أن يُجمع له من بحضرته من الرواة فجمعوا، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم فقال: شعر من تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنه كلام الكميت بن زيد الأسدي، فقال هشام: نعم هذا الكميت يندرنى بخالد بن عبد الله ثم كتب إلى خالد بخبره، وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذ بواسط، فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذه، فأخذ الكميت وحبسه، وقال لأصحابه: إنه بلغني أن هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية، فأتوني من شعر هذا بشيء، فأتي بقصيدته اللامية التي أولها:

أَلَا هَلْ عَمِ فِي رَأْيِهِ مُتَأَمِّلٌ وَهَلْ مُدْبِرٌ بَعْدَ الْإِسَاءَةِ مُقْبِلٌ
[الطويل]

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول: هذا شعر الكميت، فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذلك. فلما قرئت على هشام اغتاظ، فلما قال:

فِيَا سَاسَةً هَاتُوا لَنَا مِنْ جَوَابِكُمْ ففِيكُمْ لِعَمْرِي ذُو أَفَانِينَ مَقُولٌ
[الطويل]

اشتد غيظه فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه، ويضرب عنقه، ويهدم داره ويصلبه على ترابها، فلما قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته، وأعلن الأمر رجاء أن يتخلص الكميت فقال: لقد كتب إلي أمير المؤمنين، وإني لأكره أن أستفسد عشيرته؛ وسماه، فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد، فأخرج غلاماً له مؤلداً ظريفاً، فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة وقال: إن أنت وردت الكوفة فأنذرت الكميت لعله أن يتخلص من الحبس فأنت حرّ لوجه الله، والبغلة لك، ولك عليّ بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك. فركب البغلة فسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصباحها، فدخل الحبس مُتَنَكِّراً فخبّر الكميت بالقصة، فأرسل إلى امرأته وهي ابنة عمه يأمرها أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخُفَّانٍ، ففعلت، فقال: ألبسيني لبسة النساء، ففعلت، ثم قالت له: أقبل، فأقبل: وأدبر، فأدبر، فقالت: ما أرى إلا بُسّاً في منكبيك، اذهب في حفظ الله، فخرج فمرّ بالسجان فظن أنه المرأة فلم يعرض له فنجا. وأنشأ يقول:

خرجتُ خروجَ القِدَحِ^(١) قِدَح ابن مُقْبِلٍ على الرِّغَم من تلك النوايح والمُشْلِي^(٢)
عليّ ثيابُ الغانيات وتحتها عزيمةُ أمرٍ أشبهت سَلَّةَ النَّضْلِ
[الطويل]

وورد كتاب خالد على والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميث ليؤتي به من الحبس فيُنْفَذ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت فكلمتهم المرأة، وخبرتهم أنها في البيت وأن الكميث قد خرج، فكتب بذلك إلى خالد فأجابه: حُرَّة كريمة فدت ابن عمها بنفسها. وأمر بتخليتها، فبلغ الخبرُ الأعور الكلي بالشم فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميث بأهل الحبس ويقول:

أسودين وأحمرينا

فهاج الكميث ذلك حتى قال:

ألا حُيِّيت عَنَّا يا مَدِينَا

وهي ثلاثمائة بيت، لم يترك فيها حيًّا من أحياء اليمن إلا هجاهم، وتواري وطلب فمضى إلى الشام فقال شعره الذي يقول فيه:

قف بالديار وقوف زائر

في مسلمة بن عبد الملك ويقول:

يا مَسْلَمُ ابن أبي الوليد دَلِمَيْتِ إن شئتِ ناشِرُ

اليوم صرتُ إلى أُمِّي ة والأُمور إلى المصايرِ

[مجزوء الكامل]

قال أبو الحسن: قال أبي: إنما أراد اليوم صرت إلى أمية والأُمور إلى مصايرها أي بني هاشم، وبذلك احتجَّ ابنُه المستهْلُ على أبي العباس حين عيَّره بقول أبيه هذا الشعر.

فأذن له ليلاً فسأله أن يجيره على هشام فقال: إني قد أجرت على أمير المؤمنين فأخفر جوارِي وقبيح برجل مثلي أن يُخْفَر في كل يوم، ولكنني أدلك، فاستجِرْ بمسلمة بن هشام وبأُمِّه أم الحكم بنت يحيى بن الحكم، فإن أمير المؤمنين قد رشحه لولاية العهد، فقال الكميث: بنس الرأي، أضيع دمي بين صبي وامرأة، فهل غير هذا؟ قال: نعم، مات معاوية ابن أمير المؤمنين وكان يُحبه، وقد

(٢) المُشْلِي: الغضبان.

(١) القِدَح: الذي يستخدم للضرب به.

جعل أمير المؤمنين على نفسه أن يزور قبره في كل أسبوع يوماً، وسمّى يوماً بعينه، وهو يزوره في ذلك اليوم، فامض فاضرب بناءك عند قبره استجِرْ به، فأني سأحضر معه وأكلمه بأكثر من الجوار، ففعل ذلك الكميت في اليوم الذي يأتيه فيه أبوه، فجاء هشام ومعه مسلمة، فنظر إلى البناء فقال لبعض أعوانه: انظر ما هذا، فرجع فقال: الكميت بن زيد مستجير بقبر معاوية بن أمير المؤمنين، فأمر بقتله، فكلمه مسلمة وقال: يا أمير المؤمنين إن إخفار الأموات عار على الأحياء، فلم يزل يُعظم عليه الأمر حتى أجاره.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا حُجر بن عبد الجبار قال:

خرجت الجَعْفَرِيَّةُ على خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم، فخرجوا في البيانيين ينادون: لَبَّيْكَ جعفر، لَبَّيْكَ جعفر، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر فدهش فلم يعلم ما يقول فرعاً، فقال: أطعموني ماءً، ثم خرج الناس إليهم فأخذوا، فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويؤخذ طُنُّ قَصَبٍ فيُطلى بالنَّفْطِ ويقال للرجل: احتضنه، ويُضرب حتى يفعل، ثم يحرق، فحرقهم جميعاً، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي فأنشده قوله فيه:

خرجت لهم تمشي البراح^(١) ولم تكن كمن حصنه فيه الرتاج^(٢) المَضَبُّ
وما خالدٌ يَسْتَطعم الماءَ فاغراً بِعِدْلِكَ والداعي إلى الموت يَنْعَبُ
[الطويل]

قال: والجند قيام على رأس يوسف بن عمر وهم يمانية، فتعصبوا لخالد، فوضعوا ذباب سيوفهم في بطن الكميت فوجؤوه^(٣) بها وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره؟ فلم يزل يَنْزِف الدَّمَ حتى مات.

أخبرني عمي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطَّلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل قال:

لما دخل الكميت بن زيد على هشام سلم ثم قال: يا أمير المؤمنين، غائب

(١) البراح: البراح عن المكان.

(٢) الرتاج: الباب المغلق وعليه باب صغير.

(٣) وجؤوه: ضربوه.

آب، ومذنب تاب، مَحَا بِالْإِنَابَةِ ذَنْبَهُ، وبالصدق كذبه، والتوبة تُذهب الحَوْبَةَ، ومثلك حلُمٌ عن ذي الجريمة، وصفح عن ذي الرِّبِيَّةِ، فقال له هشام: ما الذي نجَّاك من القَسْرِيِّ؟ قال: صدق النِّيَّةِ في التوبة، قال: ومن سنَّ لك العَيَّ وأورطك فيه؟ قال: الذي أغوى آدم فنسي ولم يجد له عِزْماً، فإن رأيت يا أمير المؤمنين - فدتك نفسي - أن تأذن لي بمحو الباطل بالحق بالاستماع لما قلته، فأنشده:

ذَكَرَ الْقَلْبُ إِلْفَهُ الْمَذْكُورَا وتلافى من الشباب أخيراً
[الخفيف]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا الحسن بن عُليِّ العَنْزِي قال: حدثني أحمد بن بُكَيْرِ الأَسَدِي قال: [حدثني محمد بن أنس قال:] حدثني محمد بن سَهْلِ الأَسَدِي قال:

دخل المُسْتَهْلُ بن الكميت على عبد الصمد بن عليّ فقال له: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا حيَّاكَ اللهُ ولا حيَّا أباك، هو الذي يقول:

فَالآنَ صَرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَايِرِ
[مجزوء الكامل]

قال: فأطرقت استحياء مما قال، وعرفت البيت، قال: ثم قال لي: ارفع رأسك يا بُنَيَّ، فلئن كان قال هذا فلقد قال:

بَخَاتِمِكُمْ كَرْهًا تَجُوزُ أُمُورَهُمْ فلم أرَ غَضَبًا مثله حين يُغْصَبُ
[الطويل]

قال: فسَلَّى بعض ما كان بي وحادثني ساعة ثم قال: ما يعجبك من النساء يا مستهل؟ قلت:

غَرَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ فَرَعَهَا جَثْلًا^(١) يُزَيِّنُهُ سَوَادُ أَسْحَمٍ^(٢)
فكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وكأنه ليل عليها مظلُمٌ
[الكامل]

قال: يا بُنَيَّ، هذه لا تُصاب إلَّا في الفردوس، وأمر له بجائزة.

أخبرني عمي قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله الخَصَّافُ الطَّلْحِيُّ، عن محمد بن أنس السَلَامِيِّ قال:

(١) الجثل: الكثير اللين.

(٢) الأسحم: شديد السواد.

كان هشام بن عبد الملك مشغولاً بجارية له يقال لها صدوف مَدَيَّة اشترت له بمال جزيل، فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها وحلف ألا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك فقال: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين؟ لا غمك الله، فأخبره هشام بالقصة، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول:

أَعْتَبْتَ أَمَّ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ وَعَتَابُ مِثْلِكَ مِثْلَهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومُ نَفْسِكَ دَائِباً فِيهَا وَأَنْتَ بِحُبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنْ الصَّرِيمَةُ لَا يَقُومُ بِثَقْلِهَا إِلَّا الْقَوِيُّ بِهَا وَأَنْتَ ضَعِيفُ
[الكامل]

فقال هشام: صدقت والله، ونهض من مجلسه فدخل إليها، ونهضت إليه فاعتنقته، وانصرف الكميت، فبعث إليه هشام بألف دينار، وبعثت إليه بمثلها. قال الطلحي: أخبرني حبيش بن الكميت أخو المستهل بن الكميت بن زيد قال:

وفد الكميت بن زيد على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوماً وقد اشترت له سَلَامَةُ الْقَسِّ، فأدخلها إليه والكميت حاضر، فقال له: يا أبا المستهل، هذه جارية تُباع، أفترى أن نبتاعها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتتك، قال: فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك، فقال الكميت:

هِيَ شَمْسُ النَّهَارِ فِي الْحَسَنِ إِلَّا أَنَهَا فُصِّلَتْ بِقَتْلِ الظَّرَافِ^(١)
غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخِيمٌ لَعُوبٌ وَعَثَّةُ الْمَتَنِ شَخْتَةٌ^(٢) الْأَطْرَافِ
زَانَهَا دَلُّهَا وَتَغَرُّ نَقِيٍّ وَحَدِيثُ مُرْتَلٍ غَيْرُ جَافِي
خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيَةِ الْمُتَمَنِّي فَاقْبَلِ النُّصْحَ يَا ابْنَ عَبْدِ مَنْفٍ
[الخفيف]

فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل، وأمر له بجائزة سنية.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: وأخبرني إبراهيم بن أيوب، عن ابن قتيبة قال:

(١) الظَّرَاف: الجسان.

(٢) الشَّخْتَةُ: الضامرة دون الهزال.

مرّ الفرزدق بالكميت وهو ينشد، والكميت يومئذ صبي، فقال له الفرزدق: يا غلام، أيسرك أني أبوك؟ قال: لا ولكن يسرني أن تكون أُمي، فحصر الفرزدق فأقبل على جلسائه وقال: ما مرّ بي مثلها قطّ.

أخبرني أحمد بن [محمد بن] سعيد الهمداني بن عقدة قال: أخبرنا علي بن محمد الحُسَيني قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال قال: حدثنا مصبّح بن الهَلْقام قال:

حدثنا محمد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له: جُعِلْتُ فداك ألا أنشدك؟ قال: إنها أيام عظام، قال: إنها فيكم، قال: هات، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب، فأنشده فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت:

يُصِيبُ بِهِ الرّامونَ عَنْ قَوْسٍ غَيْرِهِمْ فَيَا آخِرًا سَدَى لَهُ الْغَيَّ أَوَّلُ
[الطويل]

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال: اللَّهُمَّ اغفر للكميت ما قدّم وما آخَر وما أسَرَّ وما أعلن، وأعطه حتى يرضى.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال محمد بن كناسة:

حدثني صاعد مولى الكميت قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام فأنشده الكميت قصيدته التي أولها:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُسْتَهَامٍ

فقال: اللَّهُمَّ اغفر للكميت، اللَّهُمَّ اغفر للكميت.

قال: ودخلنا يوماً على أبي جعفر بن عليّ فأعطانا ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: واللّهِ ما أحببتكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه، ولكنني أحببتكم للآخرة، فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها، وأما المال فلا أقبله، فردّه وقبل الثياب.

قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين عليهما السلام فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بقدرح فيه سَوِيق^(١) فحرّكته بيدها وسقت الكميت فشربه، ثم أمرت له

(١) السَّوِيق: الخمر.

بثلاثين ديناراً ومركب، فهمت عيناه وقال: لا والله لا أقبلها، إني لم أحبكم للدنيا.
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: أخبرني عمي، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كناسة قال:

لما جاءت المسودة^(١)، سَخَرُوا المستهلَّ بن الكميت وحملوا عليه حملاً ثقيلاً وضربوه، فمر بني أسد فقال: أترضون أن يفعل بي هذا الفعل؟ قالوا له: هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم:

والمصيبون باب ما أخطأ النَّاسُ
سُومُوسُوا قِوَاعِدَ الْإِسْلَامِ
[الخفيف]

قد أصابوا فيك فلا تكذب أباك.

قال: ودخل المستهلَّ على أبي مُسلم فقال له: أبوك الذي كفر بعد إسلامه، فقال: كيف وهو الذي يقول:

بخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم
فلم أرَ غَضَباً مثله حين يُغَضَبُ
[الطويل]

فأطرق أبو مسلم مستحياً منه.

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثنا الحسن بن بشر السعدي قال: أخذ العَسَسُ المستهلَّ بن الكميت في أيام أبي جعفر، وكان الأمر صعباً، فحُبِسَ، فكتب إلى أبي جعفر يشكو حاله وكتب في آخر الرقعة:

لئن نحن خِفْنَا في زمانِ عَدُوِّكُمْ
وخَفْنَاكُمْ إن البلاءَ لَرَاكِدُ
[الطويل]

فلما قرأها أبو جعفر قال: صدق المستهلُّ، وأمر بتخليته.

حدثني علي بن محمد بن عليّ إمام مسجد الكوفة قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخزاعي ابن أخي دعبل قال:

حدثني عمي دعبل بن علي قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: ما لك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله ما بيني وبينه إلا كما بين الشعراء، فقال: لا تفعل، أليس هو القائل:

(١) المُسَوَّدَةُ: لقب للعباسيين الذين كانوا يتخذون السواد شعاراً لهم.

فلا زلتُ فيهم حيث يتَّهمونني ولا زلت في أشياعهم أتقلَّبُ
[الطويل]

فإن الله قد غفر له بهذا البيت، قال: فانتهيت عن الكميت بعدها.

حدثني علي بن محمد قال: حدثني إسماعيل بن عليّ قال:

حدثني إبراهيم بن سعد الأسدي قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: «من أيّ الناس أنت؟» قلت: من العرب، قال: «أعلم فمن أيّ العرب؟» قلت: من بني أسد، قال: «من أسد بن خزيمة؟» قلت: نعم، قال لي: «أهلالي أنت؟» قلت: نعم، قال: «أتعرف الكميت بن زيد؟» قلت: يا رسول الله، عمّي ومن قبيلتي، قال: «أنحفظ من شعره شيئاً؟» قلت: نعم، قال: «أنشدني»:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ

قال: فأنشدته حتى بلغت إلى قوله:

فمالي إلا آل أحمد شيعهٌ ومالي إلا مشعب الحق مشعبُ
[الطويل]

فقال لي: إذا أصبحت فاقراً عليه السلام وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة.

وجدت في كتاب بخط المُرهبّي الكوفي: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام النّهدي الخزاز قال:

حدثني نصر بن مراحم المُنقري أنه رأى النبي ﷺ في النوم وبين يديه رجل ينشده:

مَنْ لقلبٍ مُتَيِّمٍ مستهامٍ

قال: فسألت عنه، فقل لي: هذا الكميت بن زيد الأسدي، قال: فجعل النبي ﷺ يقول له: «جزاك الله خيراً»، وأثنى عليه.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا الحسن بن عُليل العنزي. قال: حدثني أحمد بن بُكير الأسدي. قال: حدثني محمد بن أنس السلمي. قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميت قال:

جاء الكميت إلى الفرزدق لما قدم الكوفة فقال له: إني قد قلت شيئاً فاسمعه مني يا أبا فراس، قال: هاته، فأنشده قوله:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي وذو الشوق يلعبُ

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلبُ
[البسيط]

فقال له: قد طربت إلى شيء ما طرب إليه أحد قبلك، فأما نحن فما نطرب ولا
طرب من كان قبلنا إلا إلى ما تركت أنت الطرب إليه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا محمد بن علي النوفلي
قال: سمعت أبي يقول:

لما قال الكميت بن زيد الشعر، كان أول ما قال الهاشميات، فسترها ثم أتى
الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس إنك شيخ مُضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك
الكميت بن زيد الأسدي، قال له: صدقت أنت ابن أخي فما حاجتك؟ قال: نُفِثَ
على لساني فقلت شعراً فأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن
كان قبيحاً أمرتني بستره وكنت أولى مَنْ ستره عليّ، فقال له الفرزدق: أمّا عقلك
فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ

قال: فقال لي: فيم تطرب يا ابن أخي؟ فقال:

ولا لعباً مئّي وذو الشوق يلعبُ

فقال: بل يا ابن أخي فالعبُ فإنك في أوان اللعب فقال:

ولم يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزِلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ
[الطويل]

فقال: ما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحات عَشِيَّةَ أَمْرٍ سَلِيمٍ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ
[الطويل]

فقال: أَجَلٌ لَا تَتَطَيَّرُ، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلبُ
[الطويل]

فقال: ومن هؤلاء ويحك؟ فقال:

إلى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ
[الطويل]

قال: أرحني ويحك مَنْ هؤلاء؟ قال:

بني هاشم رَهْطُ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مَرَاراً وَأَغْضِبُ
خَفَضْتُ لَهُمْ مَنِي جَنَاحِي مَوْدَّةً إِلَى كَنْفِ عِطْفَاهِ أَهْلٍ وَمَرْحَبُ
وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مُجِبّاً عَلَى أَنِّي أُذَمُّ وَأُقْضَبُ^(١)
وَأُرْمَى وَأُرْمَى بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا وَإِنِّي لَأُوذَى فِيهِمْ وَأُوْتَبُ
[الطويل]

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي أذعُ ثم أذعُ، فأنت والله أشعرُ مَنْ مضى وأشعر من بقي.

أخبرني الحسن قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي. قال: حدثني أحمد بن بكير. قال: حدثني محمد بن أنس. قال: حدثني محمد بن سهل راوية الكميت. عن الكميت قال: لما قدم ذو الرمة أتيته فقلت له: إنني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك:

ما بال عينك منها الماء يَنْسَكُبُ

فقال لي: وأي شيء قلت؟ قال: قلت:

هل أنت عن طلب الإيفاع^(٢) مُنْقَلِبُ أَمْ كَيْفَ يَحْسُنُ مِنْ ذِي الشَّيْبَةِ اللَّعْبُ
[البسيط]

حتى أنشدته إياها فقال لي: ويحك، إنك لتقول قولاً ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به، ولا تقع بعيداً منه، بل تقع قريباً، قلت له: أو تدري لم ذلك؟ قال: لا، قلت: لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك، وأنا أصف شيئاً وُصِفَ لي، وليست المعاينة كالوَصْف، قال: فسكت.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني إسماعيل بن عبد الله الطَّلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، عن حماد الراوية قال:

كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية، فإذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه، فمن هناك كان علمه.

(٢) الإيفاع: المرافقة ومناهزة الحُلم والبلوغ.

(١) أقضب: أقطع.

أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي . قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن المَعْلَى . قال : حدثنا مُحَمَّد بن فَضِيل - يعني الصَّيرَفِي - عن أبي بكر الحَضْرَمِي قال :

استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام في أيام التشريق بِمَنَى ، فأذن له فقال له الكميت : جعلت فداك ، إني قلت فيكم شعراً أحب أن أنشدكّه ، فقال : يا كميت ، اذكر الله في هذه الأيام المعلومات وفي هذه الأيام المعدودات فأعاد عليه الكميت القول ، فرق له أبو جعفر عليه السلام فقال : هات ، فأنشده قصيدته حتى بلغ :

يُصِيب به الرّامون عن قوس غيرهم فيا آخراً سَدَى له الغيَّ أوَّل [الطويل]

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء . وقال : اللهم اغفر للكميت .

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغَزَال الكُوفِي . قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أُرطاة بن حبيب ، عن فَضِيل الرِّسَّان .

عن وَرْد بن زيد أخي الكميت قال : أرسلني الكميت إلى أبي جعفر فقلت له : إن الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع ، فتأذن له أن يمدح بني أمية؟ قال : نعم هو في حلّ فليقل ما شاء .

أخبرني محمد بن العباس قال : أخبرني عمي ، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب ، عن ابن كُناسة قال :

مات وردُّ أخو الكميت ، فقليل للكميت : ألا ترثي أخاك؟ فقال : مَرِثِيَّتُهُ وَمَرِزِيَّتُهُ^(١) عندي سواء ، وإني لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه .

وقد روى الكميت بن زيد الحديث ورُوي عنه .

أخبرني جعفر بن محمد بن عبيد بن عتبة في كتابه إليّ قال : حدثني الحسين بن محمد بن عليّ الأزدي قال : حدثني الوليد بن صالح قال : حدثني محمد بن سعيد بن عُمير الصَّيْدَاوي ، عن أبيه .

عن الكميت بن زيد قال : حدثني عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن عليّ عليهما السلام ، فجعل يُهْلُ^(٢) حتى رمى جُمرة العقبة ، أو حين رمى جُمرة العقبة ، فسألته عن ذلك فأخبرني أن أباه فعله ، فحدثت به ابن عباس فقال لي :

(٢) يُهْلُ : يرفع صوته بالتلبية .

(١) المرزية : المصيبة العظيمة .

لا أمُّ لك، أتسألني عن شيء أخبرك به الحسين بن علي عن أبيه؟ والله إنها لُسُنَّة.

أخبرنا أبو الحسن بن سراج الجاحظ قال: حدثنا مسروق بن عبد الرحمن أبو صالح، عن الحسن بن محمد بن أعين، عن حفص بن محمد الأسدي قال: حدثنا الكميت بن زيد، عن مذكور مولى زينب، عن زينب قالت: دخل علي النبي ﷺ وأنا فُضِّل^(١)، قالت: فقلت بيدي هكذا، واستترت، قالت: فقال لي: إن الله عز وجل زوجنيك.

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة. قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن سراج. قال: حدثني الحسن بن أيوب الخثعمي. قال: حدثنا فُرات بن حبيب الأسدي. قال: حدثني أبي حبيب بن أبي سليمان قال:

حدثني الكميت بن زيد قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْرَضُ عَلَيْكَ الْفَرَاعَ لِرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] قال: دخلت أنا وأبي إلى أبي سعيد الخُدري، فسأله أبي عنها فقال: مَعَادُ آخِرَتِهِ: الموت.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني إسحاق بن محمد بن أبان قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مهران قال: حدثني رُبُعِي بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبرة، عن أبيه قال:

دخل الكميت بن زيد الأسدي على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فقال له: يا كميت أنت القائل:

فَالآنَ صَرْتُ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَايِرِ
[مجزوء الكامل]

قال: نعم، قد قلت، ولا والله ما أردت به إلا الدنيا، ولقد عرفت فضلكم، قال: أما أن قلت ذلك إِنَّ التَّقِيَّةَ^(٢) لَتَحِلُّ.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربيعي قال: حدثنا أحمد بن بَكِير الأسدي قال: حدثنا محمد بن أنس السلامي الأسدي قال:

سئل مُعَاذُ الْهَرَاءِ: من أشعر الناس؟ قال: أمن الجاهليين أم من الإسلاميين؟

(١) فُضِّل: المرأة في ثياب تبذلها أو نومها.

(٢) التَّقِيَّة: إتقاء شر الناس بإظهار خلاف ما يظن.

قالوا: بل من الجاهليين، قال: امرؤ القيس وزُهير وعبيد بن الأبرص، قالوا: فمن الإسلاميين، قال: الفرزدق وجريير والأخطل والراعي، قال: فقليل له: يا أبا محمد، ما رأيك ذكرت الكميت فيمن ذكرت، قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين.

أخبرني الحسن بن عليّ. قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي. قال: حدثنا العباس بن بكار. قال: حدثنا أبو بكر الهذلي. قال:

لما خرج زيد بن عليّ كتب إلى الكميت: اخرج معنا يا أعيمش، ألسن القائل:

ما أبالي إذا حفظت أبا القفا سم فيكم ملامة اللؤم
فكتب إليه الكميت: [الخفيف]

تَجُودَ لَكُمْ نَفْسِي بِمَا دُونَ وَثْبَةٍ تَظَلُّ لَهَا الْغُرْبَانُ حَوْلِي تَحْجُلُ
[الطويل]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثني عمي، عن عبيد الله بن محمد بن حبيب، عن محمد بن كناسة قال:

لما أُنشِدَ هشامُ بن عبد الملك قولَ الكميت:

فبِهِمْ صِرْتُ لِلْبَعِيدِ ابْنَ عَمٍ وَاثَّهَمْتُ الْقَرِيبَ أَيَّ اتِّهَامٍ
مُبْدِيًا صَفَحَتِي عَلَى الْمَوْقِفِ الْمُعْ لَمْ بِاللَّهِ قُوَّتِي وَاعْتِصَامِي
[الخفيف]

قال: استقتل المرائي:

قال: ودخل الكميت على خالد القسري فأنشده قوله فيه:

لَوْ قِيلَ لِلْجُودِ مِنْ حَلِيفُكَ مَا إِنْ كَانَ إِلَّا إِلَيْكَ يَنْتَسِبُ
أَنْتَ أَخُوهُ وَأَنْتَ صُورُتُهُ وَالرَّأْسُ مِنْهُ وَغَيْرُكَ الذَّنْبُ
أَحْرَزْتَ فَضْلَ النَّضَالِ فِي مَهَلٍ فَكُلَّ يَوْمٍ بِكَفِّكَ الْقَصَبُ
لَوْ أَنَّ كُعْبًا وَحَاتِمًا نُشِرَا كَانَا جَمِيعًا مِنْ بَعْضِ مَا تَهَبُ
لَا تُخْلَفُ الْوَعْدُ إِنْ وَعَدْتَ وَلَا أَنْتَ عَنِ الْمُعْتَفِينَ تَحْتَجِبُ
مَا دُونَكَ الْيَوْمَ مِنْ نَوَالٍ وَلَا خَلْفَكَ لِلرَّاعِبِينَ مُنْقَلَبُ
[المنسرح]

فأمر له بمائة ألف درهم.

قال: وحضر المستهلّ بن الكميت باب عيسى بن موسى وكان يكرمه، فبلغه أنه

قد غلب عليه الشراب، فاستخفَّ به، وكان آخر من يدخل إلى عيسى بن موسى قومٌ يقال لهم الرّاشدون يُؤذن لهم في القعود، فأُدخل المستهلّ معهم فقال:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي لَمَّا حَضَرْتُ دُعِيتُ فَكُنْتُ مَعَ الرَّاشِدِينَ
فَفَزْتُ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِمْ وَأَقْبَحِ مَنْزِلَةِ الدَّاخِلِينَ
[المقارب]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثنا عمر بن شبة قال:

دخل الكميّ على مَخْلَد بن يَزِيد بن المهلب فأنشده:

قَادَ الْجِيُوشَ لْخَمْسَ عَشْرَةِ حِجَّةَ وَلِدَاتُهُ عَنِ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ
قَعَدَتْ بِهِمْ هَمَّائُهُمْ وَسَمَتْ بِهِ هَمُّ الْمُلُوكِ وَسَوْرَةُ الْأَبْطَالِ
[الكامل]

قال: وَقَدَّامَ مَخْلَدٍ دَرَاهِمُ يُقَالُ لَهَا الرُّوَيْجَةُ فَقَالَ: خَذْ وَفَرِّكِ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ: الْبَغْلَةُ بِالْبَابِ وَهِيَ أَجْلَدُ مِنِّي، فَقَالَ: خَذْ وَفَرِّهَا، فَأَخَذَ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَقِيلَ لِأَبِيهِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَا أَرُدُّ مَكْرَمَةً فَعَلَهَا ابْنِي.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أبو بكر الأموي. قال: حدثني إسماعيل بن حفص. قال: حدثنا ابن فضيل. قال:

سَمِعْتُ ابْنَ شُبْرُومَةَ قَالَ: قُلْتُ لِلْكَمِيّ: إِنَّكَ قُلْتَ فِي بَنِي هَاشِمٍ فَأَحْسَنْتَ، وَقُلْتَ فِي بَنِي أُمِيَّةٍ أَفْضَلَ، قَالَ: إِنِّي إِذَا قُلْتُ أَحْبَبْتُ أَنْ أَحْسَنَ.

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا الحسن بن عُلَيْلِ العنزي قال: حدثنا محمد بن معاوية، عن ابن كناسة قال:

كَانَ الْكَمِيّ بَنَ زَيْدٍ طَوِيلًا أَصَمًّا، وَلَمْ يَكُنْ حَسَنَ الصَّوْتِ وَلَا جَيِّدَ الْإِنْشَادِ، فَكَانَ إِذَا اسْتُنْشِدَ أَمْرَ ابْنِهِ الْمُسْتَهْلِّ فأنشد، وكان فصيحاً حسن الإنشاد.

أخبرني عمي وابنُ عمار قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل.

أَنْ سَبَبَ هِجَاءَ الْكَمِيّ أَهْلَ الْيَمَنِ أَنَّ شَاعِرًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ حَكِيمُ بْنُ عِيَّاشِ الْكَلْبِيِّ كَانَ يَهْجُو عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنِي هَاشِمٍ جَمِيعًا، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ، فَانْتَدَبَ لَهُ الْكَمِيّ فَهْجَاهُ وَسَبَّهُ، فَأَجَابَهُ، وَلَجَّ الْهَجَاءُ بَيْنَهُمَا، وَكَانَ الْكَمِيّ يَخَافُ أَنْ يَنْضَحَ فِي شَعْرِهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَا وَقَعَ بَيْنَهُ

وبين هشام، وكان يُظهِر أنَّ هجاءه إياه في العصبية التي بين بني عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرمي يروون شعر الكلبي، فهجا أهل اليمن جميعاً إلا هذين فإنه قال في آل علقمة:

ولولا آل علقمة اجتَدَعْنَا بقايا من أنوف مُصَلِّمينا^(١)

[الوافر]

وقال في إسماعيل:

فإنَّ لإسماعيل حقاً وإننا له شاعبو الصَّدْعِ المُقَارِبِ للشَّعْبِ

[الوافر]

وكانت لآل علقمة عنده يدٌ، لأن علقمة آواه ليلة خرج إلى الشام، وأمَّ إسماعيل من بني أسد، فكفَّ عنهما لذلك.

قال الطلحي: قال أبو سلمة: حدثني محمد بن سهل قال: قال الكلبي:

ما سَرَّنِي أنَّ أُمِّي من بني أسد وأنَّ رَبِّي نَجَّانِي من النارِ
وأنَّهم زَوَّجُونِي من بناتِهِمْ وأنَّ لي كلَّ يومٍ ألفَ دينارٍ

[البسيط]

فأجابه الكميت:

يا كلبُ ما لك أُمٌّ من بني أسد معروفةٌ فاحترقَ يا كلبُ بالنارِ
لكنَّ أُمَّكَ من قومٍ شَنِئْتُ بِهِمْ قد قَنَعوكَ قِنَاعَ الخِزْيِ والعارِ

[البسيط]

قال: فقال له الكلبي:

لن يبرح اللؤمُ هذا الحيَّ من أسد حتى يُفَرِّقَ بين السَّبْتِ والأحدِ

[البسيط]

قال محمد بن أنس: حدثني المستهلُّ بن الكميت قال: قلت لأبي: يا أبت إنك هجوت الكلبي فقلت:

ألا يا سَلَمَ يا تَربِي أفي أسماءٍ من تَربِ

[الهج]

(١) مُصَلِّمين: مُقَطَّعين.

وغمرت عليه فيها ففخرت ببني أمية وأنت تشهد عليها بالكفر، فألاً فخرت بعليّ
وبني هاشم الذين تتولاهم^(١)؟ فقال: يا بني، أنت تعلم انقطاع الكلبيّ إلى بني أمية،
وهم أعداء عليّ عليه السلام، فلو ذكرتُ عليّاً لترك ذكري وأقبل على هجائه فأكون قد
عرّضتُ عليّاً له ولا أجد له ناصراً من بني أمية، ففخرتُ عليه ببني أمية وقلت: إن
نَقَضَها عليّ قتلوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته غمّاً وغلبته. فكان كما قال، أمسك
الكلبيّ عن جوابه فغلب عليه وأفحم الكلبيّ.

وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته:

صوت

ألا يا سلم يا تربي	أفي أسماء من ترب
ألا يا سلم حُييت	سلي عني وعن صَحبي
ألا يا سلم غُئينا	وإن هيّجتما حُبي
على حادثة الأيا	م لي نضباً من النضب

[الهج]

الغناء لابن سريج ثقیل أول بالنصر عن عمرو.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرني أبو سعيد السُكري، عن
محمد بن حبيب، عن إبراهيم بن عبد الله الطلحي قال: قال محمد بن سلمة:
كان الكميّ مدّاحاً لأبان بن الوليد البجليّ. وكان أبان له مُحِبّاً وإليه محسناً، فمدح
الكميّ الحكم بن الصلت، وهو يومئذٍ يخلف يوسف بن عمر بقصيدته التي أولها:

طربت وهاجك الشوق الحثيثُ

فلما أنشده إياها وفرغ دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة، ثم دعا بأبان بن الوليد
فأدخل إليه وهو مُكبّل في الحديد، فطالبه بالمال، فالتفت الكميّ فرآه قدمعت عيناه،
وأقبل على الحكم فقال: أصلح الله الأمير، اجعلْ جائرتي لأبان واحتسب بها له من
هذا النجم، فقال الحكم: قد فعلت، رُدّوه إلى السجن، فقال له أبان: يا أبا المستهلّ
ما حلّ له عليّ شيء بعدُ، فقال الكميّ للحكم: أبي تسخر أصلح الله الأمير؟ فقال
الحكم: كذب، قد حلّ عليه المال، ولو لم يحلّ لاحتسبنا له مما يحلّ، فقال له

(١) تتولاهم: تتخذهم أولياء.

حَوْشَبُ بْنُ يَزِيدِ الشَّيْبَانِي، وَكَانَ خَلِيفَةَ الْحَكَمِ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ أَتَشْفَعُ حِمَارُ بَنِي أَسَدٍ فِي عَبْدٍ بَجِيلَةٍ؟ فَقَالَ لَهُ الْكَمَيْتُ: لَنْ قُلْتُ ذَاكَ فَوَاللَّهِ مَا فَرَرْنَا عَنْ آبَائِنَا حَتَّى قُتِلُوا، وَلَا نَكْحِنَا حَلَائِلَ آبَائِنَا بَعْدَ أَنْ مَاتُوا. وَكَانَ يُقَالُ: إِنْ حَوْشَبًا فَرَّ عَنْ أَبِيهِ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ فَقُتِلَ أَبُوهُ وَنَجَا هُوَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ وَطِئَ جَارِيَةً لِأَبِيهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. فَسَكَتَ حَوْشَبٌ مُفْحَمًا خَجَلًا، فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ: مَا كَانَ نَعْرُضُكَ لِلْسَّانِ الْكَمَيْتِ؟

قال: وفي حَوْشَبٍ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

نَجَّى حُشَّاشَتَهُ وَأَسْلَمَ شَيْخَهُ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْنَةَ حَوْشَبُ
[الكامل]

قال الطلحي في هذا الخبر: وحدثني إبراهيم بن عليّ الأسدي قال:

إِلْتَقَيْتُ رِيًّا بِنْتُ الْكَمَيْتِ بْنِ زَيْدٍ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ أَبَانَ بْنِ الْوَلِيدِ بِمَكَّةَ وَهُمَا حَاجَتَانِ، فَتَسَاءَلْتَا حَتَّى تَعَارَفْتَا، فَدَفَعْتُ بِنْتُ أَبَانَ إِلَى بِنْتِ الْكَمَيْتِ خَلْخَالِي ذَهَبٍ كَانَا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهَا بِنْتُ الْكَمَيْتِ: جَزَاكَمُ اللَّهُ خَيْرًا يَا آلَ أَبَانَ، فَمَا تَتْرَكُونَ بَرِّكُمْ بِنَا قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا، فَقَالَتْ لَهَا بِنْتُ أَبَانَ: بَلْ أَنْتُمْ فَجَزَاكَمُ اللَّهُ خَيْرًا، فَإِنَّا أَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَبِيدُ وَيَفْنَى، وَأَعْطَيْتُمُونَا مِنَ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ مَا يَبْقَى أَبَدًا وَلَا يَبِيدُ، يَتَنَاشَدُهُ النَّاسُ فِي الْمَحَافِلِ فَيُحْيِي مَيِّتَ الذِّكْرِ، وَيَرْفَعُ بَقِيَّةَ الْعَقَبِ.

أخبرني عمي وابنُ عَمَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ الْخَصَّافِ الْطَلْحِي قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ لَمَّةَ بْنِ أَرْتَبِيلَ.

وُلِدَ الْكَمَيْتُ أَيَّامَ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سَنَةَ سِتِينَ، وَمَاتَ فِي سَنَةِ سِتٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ فِي خِلَافَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ مَبْلُغَ شَعْرِهِ حِينَ مَاتَ خَمْسَةَ آلَافٍ وَمِائَتَيْنِ وَتِسْعَةَ وَثَمَانِينَ بَيْتًا.

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَائِيلَ فِي رِوَايَةِ عَمِّي خَاصَّةً عَنْهُ: حَدَّثْتُ عَنِ الْمُسْتَهْلِ بْنِ الْكَمَيْتِ أَنَّهُ قَالَ: حَضَرْتُ أَبِي عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ثُمَّ أَفَاقَ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ آلَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ آلَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ آلَ مُحَمَّدٍ، ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بَنِي وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ هَجَوْتُ نِسَاءَ بَنِي كَلْبٍ بِهَذَا الْبَيْتِ:

مَعَ الْعُضْرُوطِ^(١) وَالْعُسْفَاءِ^(٢) أَلْقُوا بَرَادِعَهُنَّ غَيْرَ مُحَصَّنِينَ
[الوافر]

(١) العضروط: الأجير، والخادم مقابل الحصول على ما يأكله.

(٢) العُسفاء: مفردها العسيف وهو المملوك المستهان بشأنه.

فَعَمَمْتُهِنَّ قَذْفًا بِالْفَجُورِ، وَاللَّهِ مَا خَرَجْتَ بَلِيلَ قَطٍّ إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أُرْمَى بِنَجُومِ
السَّمَاءِ لَذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي إِهْ بِلْغَنِي فِي الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ يُحْفَرُ بِظَهْرِ الْكَوْفَةِ خَنْدَقٌ
يُخْرَجُ فِيهِ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ وَيُنْبَشُونَ مِنْهَا، فَيَحْوَلُونَ إِلَى قُبُورٍ غَيْرِ قُبُورِهِمْ، فَلَا
تُدْفَنِي فِي الظَّهْرِ، وَلَكِنْ إِذَا مِتُّ فَاْمُضْ بِي إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ مَكْرَانٌ فَادْفِنِي فِيهِ.
فُدْفِنَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دُفِنَ فِيهِ، وَهِيَ مَقْبَرَةُ بَنِي أَسَدٍ إِلَى السَّاعَةِ. قَالَ
الْمُسْتَهْلُّ: وَمَاتَ أَبِي فِي خِلَافَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً.
مَضَى الْحَدِيثُ.

صوت

أَسْتَعِينُ الَّذِي بِكَفِّيهِ نَفْعِي وَرَجَائِي عَلَى الَّتِي قَتَلَتْنِي
وَلَقَدْ كُنْتُ قَدْ عَرَفْتُ وَأَبْصَرُ تُمْ أُمُورًا لَوْ أَنَّهَا نَفَعَتْنِي
قُلْتُ إِنِّي أَهْوَى شِفَا مَا أَلَاقِي مِنْ خُطُوبٍ تَتَابَعَتْ فَدَحَتْنِي
[الخفيف]

عروضه من السريع، يقال: إِنْ الشَّعْرَ لَعُمَرُ، والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بِالْوَسْطَى عَنْ حَمَادٍ عَنْ أَبِيهِ، وَفِيهِ لَحْنٌ لِلْهَذَلِيِّ، وَقِيلَ: بَلْ لَحْنُ ابْنِ سُرَيْجٍ لِلْهَذَلِيِّ،
ذَكَرَ ذَلِكَ حَبِشٌ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مِمَّا نُسِبَ مِنْ غَنَاءِ ابْنِ سُرَيْجٍ إِلَى الْهَذَلِيِّ.

الفهرس العام

فهرس المحتويات

٥	أخبار النعمان بن بشير ونسبه
١٢	أول قول نعمان للشعر:
١٤	سعد بن الحصين:
١٤	الحصين بن سعد:
١٤	بشير بن سعد:
١٥	عود للنعمان:
١٩	عبد الله بن النعمان:
٢٠	عبد الخالق بن أبان:
٢٠	شبيب بن يزيد:
٢٠	إبراهيم بن بشير:
٢١	بنت النعمان:
٢٤	ذكر ربيعة بن مكدم ونسبه وخبره
٣٠	ربيعة ودريد:
٣٣	ربيعة وعمرو بن معد يكرب:
٤٠	أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه
٤٣	أول من خضب بالسواد:
٤٥	أقسام النساء:
٤٩	قصة اتهامه بامرأة:
٥٥	أخبار محمد بن بشير ونسبه
٧٧	ذكر سديف وأخباره
٧٩	أخبار الحسين بن علي ونسبه
٨٣	أخبار سكينه بنت الحسين
٨٤	قصة لأشعب:
٩٥	سكينه والشعراء:

- رجع الحديث إلى أخبار سكينه ١٠١
- أخبار الفضل بن العباس اللهي ونسبه ١٠٥
- فيه لحنان ١١٣
- منازعته مع ابن أبي ربيعة: ١١٣
- ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتي ١١٧
- [خليدة المكية] ١١٧
- أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد ١١٩
- خالد بن الوليد: ١١٩
- رجع الخبر إلى سياقة حديث خالد ١٢٢
- أخبار حمزة بن بيض ونسبه ١٢٥
- أخبار كعب بن مالك ونسبه ١٤٣
- أخبار مالك بن أبي كعب ١٥٠
- [مالك بن أبي كعب] ١٥٠
- أخبار عيسى بن موسى ونسبه ١٥٥
- ذكر الرقاشي وأخباره ١٥٨
- أخبار ابن دراج الطفيلي ١٦٣
- عود إلى الرقاشي: ١٦٤
- ذكر ربيعة الرقي وأخباره ١٦٦
- ذكر الخبر في مقتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ١٧٦
- مخاطبة بين علي وأخيه: ١٧٧
- رجع الحديث إلى سياقة مقتل الصبيين ١٧٩
- ذكر أم حكيم ١٨٢
- الخبر في هذه القصة وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما ١٨٩
- فيها ١٨٩
- ذكر أخبار أبي العباس الأعمى ونسبه ٢٠٠
- أخبار أبي حية النميري ونسبه ٢٠٧
- أخبار أحمد بن يحيى المكي ٢١١
- طرائف بسبب شعر لجري ٢١٥
- أخبار نائلة بنت الفرافصة ونسبها ٢١٩
- أخبار عبد يغوث ونسبه ٢٢٣

٢٢٣	يوم الكلاب الثاني :
٢٢٩	رجع الخبر إلى سبابة حديث عبد يغوث والوقعة
٢٣٣	أخبار ذات الخال
٢٤٤	نسب حجر بن عمرو والسبب الذي من أجله قال هذا الشعر
٢٤٨	أخبار محمد بن صالح العلوي ونسبه
٢٥٨	ذكر أخبار أبي دواد الإيادي ونسبه
٢٦٢	ابن الغز :
٢٦٥	أخبار أبي تمام ونسبه
٢٧٩	أخبار أبي الشيص ونسبه
٢٨٧	ذكر الكميت ونسبه وخبره